

**موسوعة
الليالي والأيام
(١)**

موسوعة الليالي والأيام

الجزء الأول
في رحاب ليالي شهري محرم وصفر

الشيخ
أيوب الحائري

الفهرس الإجمالي للموضوعات

مقدمة الناشر

مقدمة المؤلف

القسم الأول: ليالي محرم الحرام

الليلة الأولى: من صفات شيعة أهل البيت عليه السلام

الليلة الثانية: معرفة النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليه السلام

الليلة الثالثة: عنصر الإصلاح في النهضة الحسينية

الليلة الرابعة: الأبعاد الأخلاقية في النهضة الحسينية

الليلة الخامسة: السفير والسفارة في الإسلام

الليلة السادسة: الصحبة والصدقة في الإسلام

الليلة السابعة: الولاء الحقيقي لأهل البيت عليه السلام

الليلة الثامنة: نظرة الإسلام الي الشباب

الليلة التاسعة: الإسلام وحقوق الأبناء

الليلة العاشرة: الهجرة، الجهاد، الشهادة

الليلة الحادية عشر: دور المرأة في النهضة الحسينية

الليلة الثانية عشر: الإمام زين العابدين ومأساة الطف

الليلة الثالثة عشر: مكانة الشهيد والشهادة في الإسلام
 القسم الثاني: ليالي العشرة الأخيرة من شهر صفر
 الليلة العشرون: خاصية عدد الأربعين وآثار الزيارة
 الليلة الواحدة والعشرون: البلاء والامتحان الإلهي
 الليلة الثانية والعشرون: المرأة والكمالات الإلهية
 الليلة الثالثة والعشرون: العلاقات الاجتماعية في الإسلام
 الليلة الرابعة والعشرون: إنتفاضات وثورات بعد الطّف
 الليلة الخامسة والعشرون: حقيقة الموت وفلسفة الشهادة
 الليلة السادسة والعشرون: الإمام علي عليه السلام وحروبه الثلاث
 الليلة السابعة والعشرون: صلح الحسن وثورة الحسين عليه السلام
 الليلة الثامنة والعشرون: قبس من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
 الليلة التاسعة والعشرون: الرضا عليه السلام، عالم آل محمد صلى الله عليه وآله
 الملحق: حديث كربلاء (مقتل الحسين عليه السلام)

كلمة الختام

فهرس مصادر الموسوعة

الفهرس التفصيلي للموضوعات

صدر للمؤلف

مقدمة الناشر

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه المنتجبين.

إنّ من أهمّ مواسم الدعوة إلى الله وتبليغ الدين وارشاد المسلمين هو شهرا محرم الحرام وصفر، حيث أن دماء سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام واهل بيته عليهم السلام واصحابه، قد جعلت الطريق ممهداً لحضور الناس في المجالس الحسينية واستماع المواعظ الدينية ثم يليهما، شهر رمضان المبارك ثم تأتي بعدها مواسم الأشهر الأخرى، حيث فيها مجموعة من المناسبات الدينية والوطنية أو العالمية، طوال السنة، من ليالي وأيام مفرحة أو محزنة، حيث يحتفل فيها الناس ويستمعون للخطيب والمحاضر.

ولهذا فمن المهم جداً أن نستغل هذه الفرص بإفراغ أكبر قدر ممكن من المعارف الدينية وبالأخص الأخلاقية والقرآنية، وتاريخ الإسلام الصحيح من أجل تأصيل الارتباط بين العبد وربّه، الموصل إلى مرضاته، والتعريف بسفرائه في هذا الكون محمد وأهل بيته (عليهم أفضل صلوات المصلين)، وكذلك تثقيف الناس بثقافة عصرية إنسانية، حتى يتجهز العبد، بهذا المستوى من القابلية والاستعداد لمواصلة الطريق في ما تبقى من عمره، بحياة شريفة طاهرة.

ومن هنا تكون مسؤولية المبلغين العاملين عن إيصال الناس إلى ربهم، الذين نصبوا أنفسهم في مقام الوصل بين العباد وخالقهم، أكبر وأعظم وأكد، إذ عليهم أن يهيئوا أنفسهم للعمل الدؤوب على جعل هذه المواسم والمناسبات برنامجاً تربوياً، وميقاتاً إلهياً، يقربون به العباد من ربهم، ويهذبون نفوسهم على الإخلاص والطاعة، والتخلق بالأخلاق الإيمانية العالية حتى يكتبوا عند الله من المبلغين الرساليين.

ومن دافع الإحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا أحببنا المساهمة في هذا المشروع الرسالي وإعانة المبلغين في جهادهم ورسالتهم الإلهية، وقد بحثنا عن كتاب يشتمل على محاضرات وبحوث مركزة وهادفة، ليكون معيناً لهم في هذا المجال، فرأينا أنّ موسوعة الليالي والأيام الذي ألفه ودوّنه فضيلة الشيخ أيوب الحائري هو في إطار هذا الهدف المنشود، فقمنا بطباعته، فخرج بهذه الحلّة، ونحن إذ نقدّمه بين يدي مبلغينا الأعزاء نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومن المؤلف، هذا الجهد، وأن يوفق إخواننا المبلغين إلى أداء واجبهم، وأن يشركونا في دعائهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وسلام على المرسلين وصلى الله على نبيه محمد وآله الطاهرين، وصحبه الأخيار المنتجبين.

الناشر

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين لا سيما سيد الشهداء والمظلومين أبي عبد الله الحسين واهل بيته واصحابه صلى الله عليهم اجمعين .

بحلول شهري محرم الحرام وصفر المظفر يتذكر الإنسان تلك التضحيات في سبيل الله وما جرى علي أبي عبد الله الحسين عليه السلام واهل بيته عليهم السلام واصحابه في كربلاء في يوم عاشوراء وفي الكوفة والشام بعد هذه الواقعة الأليمة المحزنة؛ فهذان الشهران هما شهرا الجهاد والشهادة والتضحية في سبيل الدفاع عن الرسالة المحمدية وحرى بالمسلمين جميعا، بل بكل انسان حرّ ان يقتدي بهم ويأخذ الدروس والعبر منهم في محاربة الظالمين في أي مكان وزمان، كما فعل الإمام الخميني الراحل وانقذ الشعب الإيراني من الطاغوت البهلوي واحيا دين جده المصطفي في القرن العشرين ودعا إلى الإسلام المحمدي الأصيل وهو الذي كان يقول: «كل ما عندنا هو من محرم وصفر» .

والسؤال الذي يطرح دائماً كيف نستفيد من النهضة الحسينية لانقاذ الشعوب الإسلامية وسائر الشعوب المحرومة المضطهدة لكي تحرر نفسها من

الظلم والاستكبار وما هو دور المبلغ الرسالي والخطيب الحسيني للوصول إلى ذلك الهدف المقدس؟

والجواب: ان دماء سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين واهل بيته واصحابه، قد جعل الطريق ممهدا للوصول إلى ذلك الهدف المنشود، فإن تلك الدماء لا زال لها وقع وتأثير بين على عواطف الأمة ومواقفها وهذا ما يترجم في التجمعات الجماهيرية والحشود الحسينية اللافتة، التي تغص بها الساحات والشوارع والمساجد والحسينيات أيام عاشوراء في شرق الأرض وغربها وقد مهد ذلك لكي يرتقي الخطيب المنبر، ويخاطب تلك الجموع المحتشدة التي قد لاتتهدأ لأكابر العلماء وهذه هي النقطة التي تشكل المسؤولية الشرعية الكبيرة لجميع رجال الدين بالاختصاص المبلغين منه. والأمة تنتظر من هؤلاء أن ينطلقوا من أيام محرم وصفر ومواقف شهداء كربلاء وما بعد كربلاء إلى معالجة الأمور التي تهم المسلم، فيسعدوا لتهذيبه وتربيته وشدّه الي قيم الشريعة التي ضحي من أجلها هؤلاء، وكذلك الأمة الإسلامية تتوقع منهم أن يتحدثوا ويبينوا الأمور التي تهم العالم الإسلامي في قضاياها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الراهنة وما حيكت من مؤامرات من قبل الاستكبار العالمي لتضعيف الأمة والضغط التي يمارسونها ضد الدول التي تقف امام طموحاتهم اللاشرعية.

وفي شهري محرم الحرام وصفر المظفر فيها يصبح اجتماع الناس اكثر من أي وقت لأجل احياء نهضة الحسين عليه السلام واهدافها وتعظيمها لشعائر الله الذي فيه احياء لدينه وسنة نبيه وأهل بيته عليه السلام، فالبعض من تلك الجماهير يحضر المجالس الحسينية يشارك أهل البيت عليه السلام في مصائبهم واحزانهم ولاشك أنه يؤجر على ذلك والبعض منهم اضافة إلى الاجر يريد الاستفادة والتفقه في

الدين والبعض يطلب الاجابة على سوالاته وشبهاته حول الدين واحيانا حول نهضة الحسين عليه السلام، وغيرها من الأمور.

وعلى ضوء هذا الهدف والحاجة الضرورية ومن منطلق الاحساس بالمسؤولية لابد من المبلغ والخطيب ان يجمع بين المنبر الحسيني التقليدي والكلام الذي يحتاجه المجتمع في عصرنا الحاضر من جيل الشباب والفتيات، وطبقة المثقفين من الرجال والنساء من مواضيع عقائدية واخلاقية واحكام شرعية ومسائل اجتماعية وسياسية وثقافية عامة، وهذا ما أكد عليه علماؤنا الافاضل ومراجعنا العظام لاسيما الإمام الراحل رحمه الله وخليفته الإمام الخامنئي (دام ظله).

إذاً لابد ان يقوم المنبر الحسيني في عصرنا هذا بأدوار مهمة ويتحمل اعباء كبيرة في تربية الأمة واعدادها وربطها بمفاهيم الإسلام ومدرسة أهل البيت عليه السلام بالإضافة إلى دوره التاريخي الهادف لابقاء واقعة كربلاء حية في النفوس، تتجاوب معها الناس، إذ لم يعد خطيب المنبر الحسيني مجرد ناع يردد أبيات الرثاء بالاطوار الشجية والألحان المحزنة وإن كان هذا الجانب اساسياً في مهمة الخطيب، بل إن جماهير المنبر الحسيني تتوقع منه أن يتناول موضوعات وأبحاثاً تغني الأمة وتسهم في ربطها بدينها وتشدها الي علمائها العاملين.

ومن هذا المنطلق والاحساس بالمسؤولية التي نعيشها في هذه الأيام وينبغي أن نتحملها جميعاً، حاولنا بقدر ما أوتينا من بضاعة مزجاة ان نشارك الأخوة المبلغين الرساليين في هذه الدعوة الإلهية والوصول إلى ذلك الهدف المقدس المنشود فقمنا باعداد مجموعة من المحاضرات التي تناسب هذين الشهرين لكي يستفيد منها الخطيب الحسيني في ابلاغ رسالته.

وختاماً: أسأل المولى العزيز القدير أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبل هذا الجهد المتواضع ، ويوصل ثوابه إلى سيدي ومولاي أبي عبد الله الحسين وأهل بيته وأصحابه المستشهدين بين يديه صلوات الله عليهم اجمعين عسى الله أن يرزقني في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم، انه ولي التوفيق ومنه السداد وعليه التكلان.

وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

ايوب الحائري

محرم الحرام سنة ١٤٣١ هـ

قم المقدسة

القسم الأول

في رحاب ليالي محرم الحرام

الليلة الأولى

من صفات شيعة اهل البيت عليه السلام

قال تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾^(١)

عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام: يَا جَابِرُ أَيَكْتَفِي مِنْ انْتَحَلَ التَّشْيِعَ أَنْ يَقُولَ بِحُبِّنا أَهْلَ الْبَيْتِ فَوَ اللَّهُ مَا شِيعَتُنَا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَأَطَاعَهُ، وَمَا كَانُوا يُعْرِفُونَ يَا جَابِرُ إِلَّا بِالتَّوَاضُعِ وَالتَّخَشُّعِ وَالْأَمَانَةِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ وَالتَّعَاهُدِ لِلْجِيرَانِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْعَارِمِينَ وَالْأَيْتَامِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَكَفِّ الْأَلْسُنِ عَنِ النَّاسِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ،....^(٢).

إنَّ أئمةَ أهل البيت عليهم السلام قد تحدّثوا كثيراً عن صفات شيعتهم، وكان العلماء السابقون عليهم السلام يهتمون بتأليف الكتب حول موضوع صفات الشيعة، وذلك من أجل أن يشخّصوا معالم شخصية الشيعي، ليكون المثال الذي يقتدى به، حيث وردت نصوص عديدة عن أهل البيت عليهم السلام تتحدث عن صفات هؤلاء الشيعة

(١) الصفات: ٨٣

(٢) الكافي: ٢: ٧٤، صفات الشيعة: ١١.

ويبدو من النصوص التي وردت عن النبي ﷺ وأهل البيت عليه السلام التأكيد على توفر خصوصية التقوى والورع في هؤلاء الشيعة، ومن تلك النصوص المهمة هو حديث جابر عن الإمام الباقر عليه السلام، حيث يعطي المعالم الأساسية لاتباع أهل البيت عليه السلام سنتعرف على بعض مفرداته بعد ما نعرف معنى التشيع لغة واصطلاحاً.

التَّشِيعُ في اللغة، هو المشايعة أي: المتابعة والمناصرة والموالاتة فالشيعة بالمعنى اللغوي هم الأتباع والأنصار^(١) وبهذا المعنى اللغوي استعمل القرآن الكريم لفظة الشيعة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) أي: كان النبي إبراهيم الخليل عليه السلام على سنة النبي نوح عليه السلام، قولاً وعملاً وكان بينهما (٢٦٤٠ سنة) وكان بينهما هود وصالح، وكقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾^(٣).

وكلمة (شيعة) في حد ذاتها وبمعناها اللغوي ليس لها قداسة خاصة، وكما تطلق على أهل الحق، تطلق علي أتباع الباطل أيضاً، كما في قول الإمام الحسين عليه السلام لجيش يزيد بن معاوية: «يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم».

التشيع في الاصطلاح: هو إسم لمذهب أتباع الإمام علي عليه السلام، الذين يعتقدون بولايته وامامته بلا فصل من بعد النبي ﷺ، قال الشهيد الثاني في

(١) القاموس المحيط وكتاب المنجد في اللغة: مادة شاع.

(٢) الصافات: ٨٣.

(٣) القصص: ١٥.

كتابه شرح اللمعة: «والشيعة من شايع علياً - أي اتبعه وقدمه على غيره في الإمامة وإن لم يوافق على إمامة باقي الأئمة، فدخل فيهم الإمامية والجارودية من الزيدية والإسماعيلية غير الملاحدة منهم والواقفية والفضحية»^(١).

إذاً جوهر التشيع هو الالتزام بإمامة علي وولده، وتقديمه على غيره لوجود نصوص في ذلك، وينتج من ذلك أن الإمامة امتداد للنبوة يترتب عليها ما يترتب على النبوة من لوازم عدى الوحي فإن نزوله مختص بالأنبياء، وأن الإمامة لا تتم بالانتخاب والاختيار وإنما بالتعيين من الله تعالى فهو الذي ينص على الإمام عن طريق النبي، وإنما يختاره لتوفر مؤهلات عنده لا توجد عند غيره.

وبعد ما عرفنا معنى الشية والتشيع لغة وإصطلاحاً، السؤال الذي يطرح دائماً، من هم الشيعة الحقيقيون الناجون يوم القيامة؟

الإمام الصادق عليه السلام والخراساني

حدث إبراهيم عن أبي حمزة عن مأمون الرقي قال: كنت عند سيدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن حسن الخراساني فسلم عليه ثم جلس فقال له: يا ابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة وأنتم أهل بيت الإمام، ما الذي يمنعك أن يكون لك حقّ تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مئة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟ فقال عليه السلام له: «اجلس يا خراساني رعى الله حقك»، ثم قال عليه السلام: «يا حنيفة اسجري التّور»، فسجرت حتى صار كالجمرة وابتيضّ علوه، ثم

(١) شرح اللمعة ٢: ٢٢٨

قال عليه السلام: «يا خراساني قم فاجلس في التنور»، فقال الخراساني: يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار، أقلني أقالك الله، قال عليه السلام: «قد أقلتك». فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي ونعله في سبابته، فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال له الصادق عليه السلام: «القي النعل من يدك واجلس في التنور»، قال: فألقى النعل من سبابته، وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها، ثم قال عليه السلام: «قم يا خراساني وانظر ما في التنور»، قال: فقممت إليه فرأيتته متربعا فخرج إلينا وسلم علينا، فقال له الإمام عليه السلام: «كم تجد بخراسان مثل هذا؟» فقلت: والله ولا واحد. فقال عليه السلام: «لا والله ولا واحد، أما إنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت»^(١).

هل يكفي حب أهل البيت عليه السلام؟

يا تري أيكثني من انتحل التشيع أن يقول بحب أهل البيت؟ هذه شبهة في سياق سؤال، كانت ولا تزال موجودة عند بعض منتحلي مذهب التشيع، وهي أنهم قد يكتفون بمجرد الإدعاء لحب أهل البيت عليه السلام، وأن ذلك الحب أو إدعاءه يكفيهم في تحصيل النجاة، مع أنهم في سيرتهم غالباً مخالفون لأهل البيت عليه السلام، ومنشأ هذه الشبهة عندهم هو ما تواتر عن النبي الصادق الأمين عليه السلام وأهل بيته عليه السلام، في ما رواه الخاصة والعامة من البشائر العديدة لشيعه أهل البيت عليه السلام ومحبيهم وأنهم هم الناجون لا غير، والواقع أن تلك البشائر هي حقيقة ثابتة لا ينكرها إلا جاهل أو معاند، ولكن السؤال الذي

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٢٣٧، بحار الأنوار ٤٧: ١٢٧، ب ٥.

يُطرح دائماً من هم شيعتهم الحقيقيون؟^(١)

ويجيب الإمام الباقر عليه السلام عن هذا الاستفهام فيقول مقسماً بالله العظيم لتأكيد واقعية جوابه: فَوَاللَّهِ مَا شِيعَتُنَا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَأَطَاعَهُ... وهذه الصفات كلها في الحقيقة والواقع قلَّ من اجتمعت فيه من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومن هنا قال جابر الجعفي الراوي عن الإمام الباقر عليه السلام حديثه هذا قال: قلت له: يابن رسول الله ما نعرف أحداً بهذه الصفة؟ (الصفات) فأجاب الإمام عليه السلام: يَا جَابِرُ لَا تَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَذَاهِبُ حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ أَحَبُّ عَلِيًّا وَأَتَوَلَّاهُ ثُمَّ لَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فَعَالًا فَلَوْ قَالَ إِنِّي أَحَبُّ رَسُولِ اللَّهِ فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام، ثُمَّ لَا يَتَّبِعُ سِيرَتَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ مَا نَفَعَهُ حُبُّهُ إِيَّاهُ شَيْئًا فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْمَلُوا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ اتَّقَاهُمْ وَأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِهِ، يَا جَابِرُ وَاللَّهِ مَا يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا بِالطَّاعَةِ، وَمَا مَعَنَا بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَلَا عَلَى اللَّهِ لِأَحَدٍ مِنْ حُجَّةٍ مَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعاً فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِياً فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ، وَمَا تُنَالُ وَلَا يَتُّنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ^(٢)

ومن المسلم أنَّه لا تنال ولاية أهل البيت عليهم السلام إلا بالعمل الصالح والورع عن المحرّمات، ويؤيد ذلك ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «لا تدعوا العمل الصالح والاجتهاد في العبادة اتكالا على حبِّ آل محمد ﷺ ولا تدعوا حبِّ آل محمد والتسليم لأمرهم اتكالا على العبادة فإنه لا يقبل أحدهما

(١) راجع ما روى من البشائر لشيعة أهل البيت عليهم السلام كتاب فضائل الشيعة، للصدوق وبحار الانوار ج ٦٨ باب فضائل الشيعة.

(٢) الكافي: ٢: ٧٤، صفات الشيعة: ١١.

دون الآخر... الخ»^(١).

وإذا جمع العبد المؤمن بين حبِّ آل محمد عليهم السلام وبين العمل الصالح فهو الناجي، بل هو الذي تكون له الدرجات العالية والمقامات السامية عند الله ورسوله وأهل بيته، ويكون محبوباً عند أئمته فحينئذٍ يغتمون لغمّه ويفرحون لفرحه كما في قول إمامنا أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث له: «من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لأنّهم منّا، خلقوا من طينتنا، ومن أحبّهم فهو منّا، ومن أبغضهم فليس منّا، شيعتنا ينظرون بنور الله،...، ما من أحد من شيعتنا يمرض إلا مرضنا لمرضه، ولا اغتم إلا اغتمنا لغمّه، ولا يفرح إلا فرحنا،...»^(٢).

إذاً لابدّ من توفر خصوصية التقوى والورع فيمن يدّعي التشيّع حتى يصدق عليه هذا الإسم والعنوان، فينبغي ان نركز البحث علي هذه المفردة من الحديث ثمّ الكلام حول المفردات الأخرى.

شِيعَتُنَا أَهْلُ التَّقْوَى

التقوى لغةً، مأخوذة من الوقاية، والوقاية تعني الحذر والاحتراز والبعد والاجتناب، ولها مراتب بحيث كلما كان الحذر والاجتناب أكثر كانت التقوى أكمل، ولكن مجرد الحذر والاجتناب عن شيء ليس معناه التقوى المطلوبة في الإسلام، وإلّا التقوى التي دعا إليها الإسلام وأكد عليها القرآن الكريم: عبارة عن قوة روحية نفسية تتولد في الإنسان بسبب التمرين على العمل الذي

(١) راجع بحار الأنوار ٧٨: ٣٤٧.

(٢) صفات الشيعة للصدوق: ٤، ونقله عنه المجلسي في بحار الأنوار ٦٨: ١٦٧.

يحصل منه الحذر والاجتناب من الذنوب^(١).

وأما التقوى في الإصطلاح الإسلامي فهو: اجتناب ما حرم الله وإتيان ما أوجبه على العبد، كما جاء هذا المعنى في كثير من الروايات، وإذا ترك الإنسان المحرمات والمكروهات وحتى المشتبهات وعمل بالمستحبات فهذا هو الورع.

وإنَّ للتقوى آثاراً عظيمةً جداً تعود فوائدها إلى الفرد المتقي، والمجتمع، نذكر بعضها:

آثار التقوى في الدنيا والآخرة

أولاً: بالتقوى خروج من الضيق: الإنسان في هذه الدنيا غالباً ما يتطوق بالمصائب والابتلاءات، وهذه الابتلاءات على نوعين، فمنها ما يتمكن الإنسان من حلّها، ورفع مشاكلها، ومنها ما لا يتمكن من حلّها، ويقف عاجزاً أمام هذا النمط منها، وليس له أدنى حول، إلا أن يغيثه الله تبارك وتعالى، ويخرجه من هذا الضيق، وبالتقوى يخرج المتقون من هذا الضيق، وتحلّ مشاكلهم، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾^(٢)، أي من الضيق، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾^(٣) وعن أمير المؤمنين عليه السلام لأبي ذر: «... ولو أن السّماوات والأرض كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً...»^(٤).

(١) هذا التعريف للتقوى هو المشهور بين علمائنا لا سيما عند الإستاذ الشهيد مطهري.

(٢) الطلاق: ٢.

(٣) الطلاق: ٤.

(٤) بحار الأنوار ٢٢: ٤١١، ح ٣٠.

ثانياً: بالتقوى تُدَّر الأرزاق: إِنَّ من أكثر ما يشغل بال الفرد في المجتمع الرزق، وكم يسعى لتحصيله، وكم ينفق من عمره في سبيل تحصيل قوته وقوت عياله، ويمكننا القول بأنَّ حركة المجتمعات البشرية في معظم الأوقات تفرغ في سبيل تحصيل الرزق والقوت، ولا ريب أنَّ من أهمِّ العوامل التي تحقق للإنسان رزقه وما يكفيه، هو التقوى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١).

ثالثاً: بالتقوى تقبل الأعمال: لا شكَّ أنَّ أهم ما يهتم به المؤمن أن يقبل الله أعماله التي يقوم بها من الطاعات كالصلاة والصيام والزكاة والحج، وكثير من الأعمال الحسنة والخيرات.

ودائماً يخاف الإنسان من أن لا تكون هذه الجهود من عباداته موضع قبول الله تعالى، والطريق الذي رسمه الله تعالى لقبول الأعمال هو التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، فالتقوى سبب من أسباب القبول، بل هي السبب الوحيد بدلالة إفادة (إِنَّمَا) على الحصر، وقد وردت هذه الآية في قصة هابيل وقايل ابني آدم حيث اختلفا في أمر فحكما فيه أباهما آدم، فأشار عليهما أن يقدموا قرباناً إلى الله فمن يتقبل الله قربانه يكون هو الصائب، فقدم قابيل عنزاً، وقدم هابيل كبشاً عظيماً وسنابل قمح، وكانت علامة القبول، أن يضعا القربانين على جبل فإذا نزلت النار وأكلت قربان أحدهما دل ذلك على قبول الله له، وفعلاً نزلت النار على قربان هابيل وتركت سنابل القمح، فتعجب قابيل، واستغرب من قبول الله السنابل والكبش، فقال له أخوه هابيل:

(١) الطلاق: ٢، ٣.

(٢) المائدة: ٢٧.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)، فعظمة العمل وكثرته لا تعدوا شيئاً عند الله إلا بالتقوى، ومن هنا قال علي عليه السلام: «لا يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل ما يتقبل»^(٢)، ومما أوصى به رسول الله ﷺ أباذر، قال: يا أباذر كن للعمل بالتقوى أشد اهتماماً منك بالعمل»^(٣).

رابعاً: بالتقوى تنال كرامة الله تعالى: لقد خلق الله تعالى الإنسان كريماً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ وإنما يذل ويهان بالمعاصي والذنوب، وهذه الكرامة أعطاها ووهبها لجميع البشر على نمط واحد، وبحد متساوٍ، غير أنه بإمكان كل فرد من البشر أن يصبح أكرم من سائر الأفراد وذلك بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٤).

خامساً: بالتقوى ينال الإنسان الجنة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٦).

ولعل أعظم الآثار للتقوى، تعكسها خطبة المتقين لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، ولا يسع المجال لذكرها وشرحها^(٧)، وهناك آثار أخرى عزفنا عن ذكرها مراعاة للاختصار.

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) بحار الأنوار ٦: ٣٨ ح ٦٢.

(٣) كنز العمال: ٨٥١.

(٤) الحجرات: ١٣.

(٥) الحجر: ٤٥.

(٦) النحل: ٣١.

(٧) لقد ذكرنا بعض فقراتها في الجزء الأول من الموسوعة فراجع.

صدق الحديث وأداء الأمانة

ومن أهم صفات شيعة أهل البيت عليهم السلام صدق الحديث وأداء الأمانة وقد وردت احاديث أهل البيت عليهم السلام لتؤكد هذتين الصفتين كثيراً فقد روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ الله عزوجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الامانة إلى البرِّ والفاجر»^(١)، وعنه عليه السلام: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم؛ فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الامانة»^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كونوا دعاة للناس بالخير بغير السنتكم؛ ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع»^(٣).

والصدق هو زينة الحديث كما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «زينة الحديث الصدق»^(٤) وقد عرف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يوصف قبل البعثة بالصادق الأمين وكان لهذه الصفة دور مهم في التأثير على مسيرة الدعوة الاسلامية. والأمانة: شيء يودع عند شخص ليحتفظ به ثم يرده إلى من أودعه عنده، أو ليقضي به ما ربه ثم يرجعه إليه، فهناك أناس يؤدون الأمانة إلى أهلها، وهناك أناس يخونونها، فمن صفات شيعة أهل البيت عليهم السلام الإلتزام بأداء الأمانة طاعة لله وتبعاً لأئمتهم عليهم السلام.

وقد أكد القرآن الكريم هذه الصفة فأمر بها ووصف عباده المؤمنين بها في آيات عديدة، كما وصف بها بعض أنبيائه في مقام التأكيد لأهميتها، ومنه قوله

(١) الكافي ٢: ١٠٤، ح ١.

(٢) الكافي ٢: ١٠٤، ح ٢.

(٣) الكافي ٢: ١٠٥، ح ١٠.

(٤) الأمالي للصدوق: ٢٩٢، بحار الانوار ٩: ٧١.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^(١) ونهى عن الخيانة في الامانة في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ونشير بهذه المناسبة إلى ما ورد من أن أحد العلماء كتب إلى السيد المرتضى يسأله فيما معناه - أن أحداً إذا اعتدى على أحدٍ وقطع يده فعليه الدية، وقدرها خمسمائة دينار ذهباً، في حين لو سرق أحد أحداً ربع دينار يحكم عليه الشرع بقطع يده ويجب أن تقطع يده.

ووجه السؤال أن اليد هل قيمتها خمسمائة دينار، ونظم له هذا المعنى شعراً فقال:

يد بخمس مئين عسجداً وُديت

ما بالها قُطعت في ربع دينار

فأجابه السيد المرتضى: اليد إذا كانت أمانة كانت ثمينة، وإذا خانت هانت، ونظم هذا المعنى شعراً فقال:

عِزُّ الأمانة أغلاها، وأرخصها

ذل الخيانة، فافهم حكمة الباري

الشيعة وكثرة ذكر الله تعالى

ومن صفات الشيعة في حديث جابر هو كثرة ذكر الله وقد جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً»^(٣).

(١) المؤمنون: ٨.

(٢) الأنفال: ٢٨.

(٣) جامع احاديث الشيعة ١٥: ٣٦٧، الباب ٥، ح ٢

والذكر مجموع الكلمات التي يذكر بها الله تعالى بالثناء والتمجيد أو الاستعانة، من قبيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والخ...، وأيضاً الاستغفار والدعاء بالصلاة على النبي محمد وآله^(١).

والذكر بهذا المعنى الواسع عبادة من العبادات الإسلامية التي حث عليها القرآن الكريم في كثير من آياته، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٢) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٣) ومن أهم مواضع الذكر عند تظافر النعم على الإنسان، وفي الحاح الفقر، قال رسول الله ﷺ: «من تظاهرت عليه النعم فليقل الحمد لله رب العالمين، ومن ألح عليه الفقر فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ فإنه كنز من كنوز الجنة وفيه الشفاء من اثنين وسبعين داء أدناها الهم»^(٤).

وذكر الله على قسمين، ذكر في اللسان كالأدعية والاستغفار وما شابه ذلك من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والقسم الثاني هو ذكر الله تعالى في ما أحلّ وحرّم، أي يذكر الإنسان ربّه فيما أباحه له وأمره به فيأتي به، وما حرّمه عليه ونهاه عنه فيتركه، والقسم الأول هو المقصود من قول الإمام الباقر عليه السلام في وصف الشيعة بكثرة ذكر الله، وهذا الذكر هو الدواء النافع النافع للإنسان الذي يريد صلاح نفسه ورضا ربّه، وقد يكون إلى هذا القسم

(١) الظاهر أن الاستغفار والصلاة على النبي محمد وآله من الدعاء وليس من الذكر، ولكنها تذكر لمشابتها الذكر في البناء اللفظي في جمل قصيرة، وأيضاً لأنه ورد في استحبابها تكرارها في بعض المواضع مرات عديدة، شأنها في ذلك شأن الذكر، ولذا يتم الحديث عنها في هذا الباب، كما أنه ورد في بعض الروايات أن الصلاة على النبي ﷺ تعوض عن ذكر الله وتسبيحه (الشهيد السعيد سيدباقر الحكيم).

(٢) الانسان: ٢٥.

(٣) الأحزاب: ٤٢-٤٣.

(٤) جامع احاديث الشيعة ١٥: ٣٨٥، ح ١.

من الذكر يشير الشاعر بقوله:

وإذا سقمت من الذنوب فدواها

بالذكر إنَّ الذكر خير دواء

الشيعة وموالاتة أهل البيت عليهم السلام

ومن أظهر صفات شيعة أهل البيت عليهم السلام وأهمها التي توجب لهم النجاة، ويمتازون ويعرفون بها، هي موالاتة أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، والفرح لفرحهم، والحزن لحزنهم، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له: «إنَّ الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاخترنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا»^(١).

وقال عليه السلام في حديث آخر: «رحم الله شيعتنا والله هم المؤمنون، فقد والله شاركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة»^(٢).

شيعتنا يحزنون لحزننا

قد تعرض أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لأنواع الأذى والظلم والاضطهاد في سبيل حفظ الإسلام من الانحراف، بوقوفهم ضد الظالمين، من الحكام الأمويين والعباسيين، وقد حدَّثنا التاريخ وروايات أهل البيت عليهم السلام عن بعض ما وقع عليهم من الظلم والاضطهاد، بحيث يقول الإمام الحسن عليه السلام في حديثه بعد

(١) الخصال للصدوق: ٦٣٥، بحار الأنوار ٤٤: ٢٧٨.

(٢) اللهوف: ١٣٧، بحار الأنوار ٤٣: ٢٢١ب٨.

قتل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام: حدثني جدي رسول الله ﷺ «أَنَّ الأَمْرَ يَمْلِكُهُ إِثْنَا عَشَرَ إِمَاماً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَفْوَتِهِ مَا مَنَّا إِلَّا مُقْتُولٌ أَوْ مَسْمُومٌ»^(١).

إنَّ شِيعَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَدْ شَارَكُوا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي مَصَائِبِهِمْ بِطُولِ الْحُزْنِ وَالْأَسَى خُصُوصاً عَلَى مَصَابِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ هُنَا تَرَاهُمْ فِي أَيَّامِ عَشْرَةِ الْمُحَرَّمِ بِالْخُصُوصِ فِي غَايَةِ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ حَيْثُ أَنْ أُمَّتَهُمْ كَانُوا كَذَلِكَ، إِذَا هَلْ هَلَالَ الْمُحَرَّمُ تَرَاكُمَتْ عَلَيْهِمُ الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَحْزَانُ وَالْكَرُوبُ وَكَانُوا يَعْقِدُونَ مَجَالِسَ الْعِزَاءِ، وَيَأْمُرُونَ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ بِالرِّثَاءِ وَالْإِنْشَادِ، فَكَانَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا هَلْ هَلَالَ عَاشُورَاءَ اشْتَدَّ حُزْنُهُ وَعَظُمَ بُكَاءُهُ عَلَى مَصَابِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَكَانٍ يَعْزُونَهُ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَبْكُونَ مَعَهُ عَلَى مَصَابِهِ.

وفي خبر عن الإمام الرضا عليه السلام: «كَانَ أَبِي إِذَا هَلَّ الْمُحَرَّمُ لَا يَرَى ضَاحِكاً وَكَانَتِ الْكَأَبَةُ تَغْلِبُ عَلَيْهِ حَتَّى تَمُضِيَ مِنْهُ عَشْرَةُ أَيَّامٍ، فَإِذَا كَانَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ مَصِيبَتِهِ وَحُزْنِهِ وَبُكَائِهِ وَيَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ جَدِّي الْحُسَيْنُ»^(٢).

الإمام الرضا عليه السلام وأيام محرم

دخل دعبل الخزاعي على الإمام الرضا عليه السلام، ولعلَّه كان في أيام المحرم فرآه وقد عقد مجلس العزاء، وهو جالس جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من

(١) كفاية الأثر: ١٦٠.

(٢) الأمالي للصدوق ١٢٨، المجلس ٢٧، بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٣ ب ٣٤.

حوله كذلك، قال دعبل: فلما رأيته مقبلاً قال لي: «مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه»، ثم إنه وسَّع لي في مجلسه وأجلسني إلى جنبه، ثم قال لي: «يا دعبل أحب أن تنشدني في الحسين شعراً، فإنَّ هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت، وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية، يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا، وبكى لما أصابنا من أعدائنا، حشره الله تعالي معنا في زمرتنا، يا دعبل من بكى على مصاب جدي الحسين عليه السلام، غفر الله ذنوبه»، ثم إنه نهض وضرب سترأ بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبيكوا على مصاب جدهم الحسين عليه السلام، ثم التفت إليَّ وقال: «يا دعبل ارث الحسين عليه السلام، فأنت ناصرنا ومادحنا فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت ما دمت حياً»، قال دعبل فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً

وقد مات عطشاناً بشط فرات

إذاً للطمت الخد فاطم عنده

وأجريت دمع العين في الوجنات

أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي

نجوم سماوات بأرض فلاة

قبور بجنب النهر في أرض كربلاء

معرسهم فيها بشط فرات

توفوا عطاشى بالعراء فليتني

توفيت فيهم قبل حين وفاتي

الليلة الثانية

معرفة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ
نَنزَعْنَكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١)

وكان من دعاء الإمام الصادق عليه السلام في زمن الغيبة: «اللهم عرّفني
نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني نبيك
فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك فإنك إن
لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني، أَللّهُم لا تمتني ميتة جاهلية ولا تزغ
قلبي بعد إذ هديتني...»^(٢).

بحسب مضمون ومعنى دعاء الإمام الصادق عليه السلام في زمن الغيبة،
ينبغي على كل مسلم ان يدعو الله دائماً أن يوفقه لمعرفة معرفته وهي أم المعارف،

(١) النساء: ٥٩

(٢) أصول الكافي ٢٣٧: ١ ح ٥ وعنه في بحار الأنوار ٥٣: ١٨٧، وهو فقرات من دعاء زمن الغيبة الذي علّمه الإمام
الصادق لزرارة، ويستحب قراءته على الدوام بعد فريضة العصر يوم الجمعة.

وبها تحصل كل معرفة وهي حق من حقوق الله علينا ولأجلها خلق الإنسان حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) أي: ليعرفون، كما جاء في تفسير الآية، ثم يجب عليه أن يسعى بقدر الامكان لتحصيل معرفة النبي والحجج من بعده، فإذا حصل على هذه المعرفة وسار على ضوئها، يصبح على بصيرة من دينه وشريعته ويصلح دنياه وآخرته، وإذا غفل عن هذه المعرفة، ولم يهتدِ ضلّ عن دينه، ويموت ميتة جاهلية، كما جاء في الحديث النبوي الشريف، ولكن من جهة أخرى نرى بآئه من الصعب ولعلّه من المحال أن نحصل على المعرفة الحقيقية الكاملة لله وللنبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام، فالرسول ﷺ وأهل بيته عليه السلام الذين خلقهم الله من نور واحد، وأمرهم صعب مستصعب لا يستطيع أحد أن يعرفهم بالمعرفة الحقيقية الكاملة إلا الله ورسوله، ولكن من باب ما لا يدرك كله لا يترك كله، يمكننا ان نتعرف على بعض من سيرتهم من خلال مراجعة القرآن الكريم لأنهم عدله وأحاديث الرسول ﷺ وأهل بيته عليه السلام، فإنّ ذلك أحسن الطريق وأسلمه لمعرفةهم عليه السلام، فنرى كيف يعرف القرآن الرسول ﷺ وأهل بيته عليه السلام، وكيف يعرف الرسول ﷺ وأهل بيته، وبعضهم البعض، وهذه المعرفة بهذا المقدار هي من أهم حقوق النبي وأهل بيته على المسلمين.

أهل البيت عليه السلام في الكتاب والسنة

نزلت آيات كثيرة تُعرّف بالنبي ﷺ وأهل بيته، وتبين فضلهم ومقامهم، ومنزلتهم، وتثني عليهم وتوجه المسلمين نحوهم، وتدعوهم بالإقتداء بهم

(١) الذّاريات: ٥٦.

والمودة لهم، ويجب على جميع المسلمين مراجعة تلك الآيات لكي يتعرفوا على النبي وأهل بيته عليهم السلام ويؤدّوا حقوقهم التي فرض الله لهم، وها نحن للاختصار نكتفي بذكر آية التطهير والأحاديث المرتبطة بها في هذا الباب.

قال تعالى واصفاً أهل البيت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

لقد تظافر في كتب التفاسير أنّ المقصود بأهل البيت عليهم السلام في هذه الآية: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ومن خلال حديث الكساء وبمقتضى التأمل في الأحاديث الأخرى التي وردت في شأن نزول آية التطهير، نعلم أنّ الآية نزلت على النبي ﷺ في بيت أم سلمة، حيث أنه لما نزلت جمع رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ثم أدار عليهم الكساء، وقال ﷺ: «هؤلاء أهل بيتي، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وهمّت أم سلمة أن تدخل معهم تحت الكساء، فمنعها النبي ﷺ، وقال لها مرتين أو ثلاث مرات: إنك على خير، واستأذن بعد ذلك جبرائيل عليه السلام ليدخل معهم تحت الكساء، فأذن له الرسول ﷺ فدخل.

وجاء في روايات متعددة أنّ رسول الله ﷺ بعد نزول آية التطهير والآية الكريمة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٢)، كان يمرّ على بيت فاطمة عليها السلام ستة أشهر - على بعض الروايات - كلما خرج إلى صلاة الفجر، ويقول: «الصلاة يا أهل البيت... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهير»، وما حديث الكساء ومواظبة الرسول ﷺ على الوقوف على باب علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، شهوراً عديدة ومناداته ﷺ لهم عند

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) سورة طه: ١٣٢.

الفجر، يدعوهم إلى الصلاة، ويسمّيهم أهل البيت، إلّا ليُعرف شخصيات أهل البيت عليه السلام ويفسّر للمسلمين آية التطهير، لكي لا يشتبه عليهم أن الآية تشمل الآخرين، أو تشمل نساء النبي صلى الله عليه وآله بحسب السياق الموجود فيها، كما استدلّ بذلك إخواننا أهل السنة، وإن كانت الآية واضحة الدلالة معنى ولفظاً على أن المراد بأهل البيت هم فقط فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها عليه السلام، لأنّ الآية إنّما تدلّ على الطهارة المطلقة والعصمة من الذنوب، وليس في المسلمين من يشهد له التاريخ بالطهارة المطلقة والعصمة من الذنوب والآثام بعد الأنبياء والمرسلين سوى أهل البيت عليه السلام بهذا المعنى والمصاديق.

وقد أقرّت عائشة وسائر نساء النبي صلى الله عليه وآله كما اعترف الكثير من الصحابة بهذه الحقيقة، ونقلها الكثير من الرواة والمحدثين والمفسرين^(١).

ثم إنه وإن كان شأن نزول آية التطهير أصحاب الكساء الخمس إلّا أنّ الآية تشمل سائر الأئمة الاثني عشر عليه السلام أيضاً وذلك لتطبيق الأئمة لها على ذواتهم المقدسة، وأيضاً وقد وردت أحاديث عديدة عن النبي صلى الله عليه وآله تبين منزلتهم عليهم السلام، وكونهم الأئمة الاثني عشر من أهل البيت، فعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني مَخْلَفٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يرثي الحوض. فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري وقال: يا رسول الله من عترتك؟ قال: ع لي والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة»^(٢).

هكذا يتحدث القرآن والنبي صلى الله عليه وآله عن أهل البيت عليه السلام بحيث يحددان

(١) مزيد الإطلاع راجع تفسير آية التطهير وشأن نزولها في كتب تفاسير الفريقين.

(٢) كمال الدين: ٢٤٤.

شخصياتهم، الطاهرة المعصومة، ليتضح للمسلمين مقامهم ومكانتهم في الإسلام،
ليُتخذوا قدوة وقادة للأمة، بعد رسول الله ﷺ في جميع المجالات.

هذا ولكي نحقق معرفة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ويكون لهم مصداقاً
في الخارج لابد من الولاء لهم بشتي أنواعه من الولاء العاطفي وهو محبتهم
ومودتهم والولاء العقائدي وهو أن يأخذ المسلم أصول دينه وفروعه منهم
والولاء بالعمل والطاعة لهم وسلوك منهجهم.

مودة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام

اجتمع في النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام كل ما يفرض المحبة والمودة،
ويدعوا إلى الإعجاب، من الصفات والفضائل والخصال الحميدة والكمالات
الإنسانية، إضافة لشرف إنتمائهم لرسول الله ﷺ، ولا أظن أن أحداً من المسلمين
يجهل ذلك أو يشك فيه، وقد وردت آيات عديدة وأخبار كثيرة تصف أهل بيته،
وتدعوا إلى مودتهم وتعتبر ذلك أساس الإيمان والإسلام، وقد فرض الله تلك
المودة في كتابه، وجعلها أجراً لرسالة النبي ﷺ على أمته، فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١) وقد أجمع علماء الإمامية ووافقهم الكثير من
المفسرين والمحدثين من علماء أهل السنة^(٢)، أن المراد بالقربى في الآية الكريمة،
أهل بيت النبي ﷺ وهم فاطمة عليها السلام وعلي وأولادهما الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام،
فمحبتهم ومودتهم والإحسان إليهم والتبر بهم وإلي ذراريهم هو فرض وحق من
حقوقهم على جميع المسلمين، وقد أكدت روايات الفريقين على ذلك، منها

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) كالزمخشري والرازي وأحمد بن حنبل وغيرهم.

قول رسول الله ﷺ: «أساس الإسلام حبي وحب أهل بيتي»^(١).
 وقال ﷺ: «أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت عليه السلام»^(٢).
 وقال ﷺ: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً»^(٣).
 وقال ﷺ: «أدبوا أولادكم على حبي وحب أهل بيتي والقرآن»^(٤).
 وقال ﷺ: «من رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة»^(٥).

وكل ما ورد من آيات وأحاديث في لزوم محبة أهل البيت عليه السلام لا يعني الارتباط والولاء العاطفي والحب القلبي فقط، وإن كان هذا حسناً ويؤجر ويثاب عليه الإنسان إلا أن الهدف والغاية الأصلية من الدعوة إلى مودة القربى، والتأكيد على محبتهم عليه السلام من قبل الرسول ﷺ هو معرفة قدرهم ومنزلتهم ثم الاقتداء بهم في كل الأمور، والسير على منهجهم، والالتزام بمدرستهم ومذهبهم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٦).

إطاعة النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام

وهذا الجانب الذي يمثل الولاء العقائدي، للنبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام، وقد فرض الله طاعته وطاعة النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام في آيات عديدة منها

(١) كنز العمال ١٠٥: ١٢ ح ٣٤٢٠٦.

(٢) عيون أخبار الرضا ٨: ٦٢.

(٣) الكشاف ٣: ٤٠٣.

(٤) احقاق الحق ١٨: ٤٩٨.

(٥) الخصال ١: ٥١٥.

(٦) آل عمران: ٣١.

قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) فلقد قرن الله طاعة أولي الأمر، وهم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وهذا ما يشعر بخلافاتهم الحقة عن رسول الله ﷺ، وعصمتهم المطلقة فمن الخطأ الكبير تأويل أولي الأمر وحملها على سائر أمراء المسلمين، لمخالفة الكثيرين منهم لله تعالى ورسوله وانحرافهم عن الحق، قال الإمام الصادق عليه السلام: «وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاية الأمر لم يطع الله ولا رسوله»^(٢). وإن الصلاة على النبي ﷺ وعلى أهل بيته عليهم السلام وإعطاء حقهم الخمس من الغنائم وزيارة قبورهم ونشر فضائلهم وذكر مصائبهم، وهو الذي يمثل الولاء العملي لهم.

الصلاة على النبي ﷺ وعلى أهل بيته عليهم السلام

درج الناس على إجلال العظماء وتوقيرهم، تكريماً لهم وتقديراً لجهودهم ومساعدتهم في سبيل أمهم، فلا غرابة أن تكون من حقوق النبي ﷺ على أمته - وهو سيد الخلق وأشرفهم جميعاً - تعظيمه بالصلاة عليه، عند ذكر اسمه المبارك أو سماعه، وقد أفتى علماء الإمامية وبعض المذاهب الأخرى بوجوب الصلاة على محمد وآل محمد في تشهد الصلاة.

وقد صرحت الآية الكريمة عن بالغ تكريم الله تعالى وملائكته للنبي ﷺ ثم وجهت الآية الخطاب إلى المؤمنين بضرورة تعظيمه والصلاة عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سفينة البحار ٢: ٦٩١.

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(١)، فالصلاة من الله عز وجل رحمة، ومن الملائكة تزكية، ومن الناس دعاء وأما قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، يعنى أطيعوه في كل الأمور وسلموها إليه.

وجاءت نصوص النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام توضح كيفية الصلاة عليه، والأجر والثواب المترتب على ذلك، فمن تلك النصوص قوله ﷺ: «لا تصلوا علي الصلاة البتراء فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون (اللهم صل على محمد وآل محمد)»، وفي رواية أخرى قال ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من صلى على محمد وآل محمد عشراً صلى الله عليه وملائكته مئة مرة، ومن صلى على محمد وآل محمد مئة صلى الله عليه وملائكته ألفاً»^(٣).

وقال عليه السلام: «كل دعاء يُدعى الله تعالى به، محجوب عن السماء حتى يصل على محمد وآل محمد عليه السلام»^(٤).

وقال الشافعي:

يا آل بيت رسول الله حبكم

فرض من الله في القرآن أنزله

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) الصواعق المحرقة: ٨٧.

(٣) الوافي ٥: ٢٢٨.

(٤) بحار الأنوار ٢٧: ٢٦ ح ١٥.

كفاكم من عظيم القدر أنكم
 من لم يُصلِّ عليكم لا صلاة له

حق النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من الغنائم

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
 وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(١)، ومفهوم الغنيمة عند أهل السنة مختص
 بغنائم الحرب، وعند الشيعة الإمامية عام يطلق على جميع الفوائد والأرباح،
 والبحث عن أدلة الطرفين يخرج هذا المقال عن موضوعه الاعتقادي والأخلاقي،
 فلتراجع المصادر الفقهية.

والغنيمة سواء كانت من الحرب فقط، أو من جميع المكاسب، فإن
 خمسها يقسم إلى ستة أقسام، لله «عز وجل» ولرسوله ولذي القربى، (قربة
 الرسول ﷺ)، وما كان لله وللنبي فهو للإمام القائم مقامه، فنصف الخمس في
 هذه العصور لإمام العصر # سهمان له بالإمامة، وسهم مقسوم له من الله
 وهو سهم ذي القربى، والسهم الثلاثة الأخرى التي يعبر عنها: بسهم السادة،
 سهم لايتامهم وسهم لمساكينهم وسهم لابناء سبيلهم، وهم بنو هاشم.

وقد فرض الله الخمس لآل محمد وذرائعهم، تكريماً للنبي ﷺ، وتقديراً
 لجهاده وجهده وتضحياته في سبيل الإسلام والأمة الإسلامية، وتنزيهاً له ولهم
 عن الصدقة والزكاة، التي هي من أوساخ أيدي الناس، كما جاء هذا المعنى
 في كثير من الروايات.

(١) الأنفال: ٤١.

والخمس، حق طبيعي يحكم العقل بحسنه، ويدرك الوجدان أثره، كما يفرضه الشرع، ومما يقربه إلى الاذهان ما درجت عليه الدول من تكريم موظفيها فتمنحهم راتباً تقاعدياً يتقاضوه عند كبر سنهم، أو جائزة جزيلة لما أسدوه تقديراً لجهودهم في صالح أمهم وشعوبهم، وبعد هذا كان لهم الحق في جعلها لذويهم، من أبنائهم وأقربائهم.

زيارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام

من حقوق النبي ﷺ وأهل بيته على المسلمين زيارة قبورهم ومشاهدتهم المشرفة، والتسليم عليهم، فهم سيّان أحياء وأمواتاً، يسمعون كلامنا ويردون جوابنا، كما جاءت به الروايات والأدعية، وهذا مذهب الإمامية، وهذه الزيارة تعبّر عن مظاهر الحب والولاء ومصاديق الإخلاص والوفاء، قال ﷺ: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»^(١).

وقد تواترت نصوص أهل البيت عليه السلام، في فضل زيارة مشاهدهم، وما تشتمل عليه من الخصائص والفوائد، والأجر والثواب العظيم، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة»^(٢)، وعن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ما لمن زار واحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله ﷺ»^(٣).

(١) وفاء الوفاء ٤: ١٣٤٠.

(٢) بحار الأنوار ١٠٠: ١١٦ ح ١.

(٣) بحار الأنوار ١٠٠: ١١٧ ح ٥.

نشر فضائل وعلوم النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام

جرت سيرة الناس على تقدير العظماء وتكريمهم، بذكر فضائلهم وكراماتهم، والمدح والثناء عليهم ونشر علومهم وآثارهم، وحيث كان النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرون أرفع الناس حسباً ونسباً، وأسبقهم وأجمعهم للفضائل والكمالات الإنسانية استحقوا من محبيهم ومواليهم أن يبرزوا هذا الحب والولاء، وذلك بمدحهم، ونشر فضائلهم وعلومهم، تكريماً لهم، وتقديراً لجهادهم وتضحياتهم الغالية في خدمة الإسلام والمسلمين، وكان النبي ﷺ والأئمة عليه السلام يستقبلون الذاكرين لمصائبهم بكل رحابة صدر، شاكرين عواطفهم، ويكافئونهم بما جادت به أيديهم من البر والدعاء بالغفران، وجزيل الأجر والثواب.

فهذا حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، كان يمدح النبي ﷺ وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام في مواقف عديدة، ومنها في واقعة غدير خم المعروفة، وهذا الكميت الاسدي والفرزدق، ودعبل الخزاعي وغيرهم من الشعراء والعلماء كانوا يمدحون ويرثون أئمة أهل البيت عليه السلام، ويذكرون فضائلهم ومناقبهم وما جرى عليهم من الظلم والمحن والمصائب، ولا يخافون من حكام زمانهم فكانت لهم مواقف مشرفة وأشعار مدهشة، وما ذلك إلا لأداء القليل من واجبهم الشرعي تجاه أئمتهم وسادتهم في بيان الحقائق، وأداء الحقوق المفروضة عليهم.

ذكر مصائب النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام

قد تعرض الرسول ﷺ لأنواع الأذى في سبيل تبليغ الرسالة والدعوة

إلى الله، حتى قال ﷺ: «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت..»^(١)، وهكذا تعرض أهل بيت النبي ﷺ لأنواع الأذى والظلم والاضطهاد في سبيل حفظ الإسلام من الانحراف، ووقوفهم ضد الظلم والظالمين، من الحكّام الأمويين والعباسيين، ولو أنّ النبي ﷺ قد أمرهم بإيذاء أهل بيته لم يمكن أن يلاقوا أكثر ممّا لاقوه بالفعل من الأذى والظلم والمحن والمصائب، بحيث يعجز عن بيانها القلم، ويكلّ عن ذكرها اللسان، وجدير بتلك المآسي أن تبكيها العيون دماً.

وقد أخبر الرّسول ﷺ بتلك المظالم التي سوف تقع على أهل بيته عليه السلام، وأوصاهم بالصبر. قال النبي ﷺ: «إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضاً بنو أميّة وبنو المغيرة وبنو مخزوم»^(٢)، وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «قد وضع بنو أمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلتين: أحدهما أنّهم كانوا يعلمون أنه ليس لهم في الخلافة حقّ فيخافون من ادعائنا إيّاها وأن تستقرّ في مركزها. وثانيها أنّهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على أن زوال ملك الجبابرة والظلمة على يد القائم ممّا، وكانوا لا يشكون أنّهم من الجبابرة والظلمة، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله ﷺ وإيادته نسله، طمعاً منهم في الوصول إلى منع تولّد القائم # أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم، إلّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون»^(٣).

وقد حدّثنا التاريخ وروايات أهل البيت عليه السلام عن بعض ما وقع عليهم

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٥٦ ح ١٥.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٥٣٤.

(٣) إثبات الهداة ٣: ٥٧٠، عن التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري عليه السلام.

من الظلم والاضطهاد، بحيث يقول الإمام الحسن عليه السلام في حديثه بعد قتل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام: حدثني جدي رسول الله ﷺ «إِنَّ الْأَمْرَ يَمْلِكُهُ إِثْنَا عَشَرَ إِمَامًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَفْوَتِهِ مَا مَنَّا إِلَّا مَقْتُولٌ أَوْ مَسْمُومٌ»^(١).

وهكذا نرى أن الشعراء الرساليين أيضاً قد تحدّثوا عن المصائب والمحن التي جرت على أهل البيت عليه السلام، ونظموا الشعر الحزين في رثائهم، ومن تلك القصائد المحزنة من أحد هؤلاء الشعراء الرساليين الذي يرثي بها أهل البيت عليه السلام ويخاطب ويعاتب بها الدهر الخؤون هذه القصيدة:

لا تأمن الدهر إنّ الدهر ذو غيرٍ
وذو لسانين في الدنيا ووجهين
أخنى على عترة الهادي فشتتهم
فما ترى جامعاً منهم بشخصين
بعض بطيبة مدفون وبعضهم
بكربلاد وبعض بالغريين
وأرض طوس وسامرا وقد ضمنت
بغداد بدرين حلاً وسط سطين
يا سادتي ألمن أنعى أسى ولن
أبكي بجفنين من عينيّن قريحين
أبكي على الحسن المسموم مضطهداً
أم للحسين قضى بين الخميسين

(١) كفاية الأثر: ١٦٠، بحار الأنوار ٢١: ٢٧٠ب٩، وج ٤٣: ٣٦٣ب١٧.

الليلة الثالثة

عنصر الإصلاح في النهضة الحسينية

قال تعالى:

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)

عن الإمام الحسين عليه السلام في وصيته لاختيه محمد بن الحنفية عند خروجه من المدينة: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي رسول الله وأبي أمير المؤمنين عليه السلام...»^(٢).

معاني الإصلاح

كلمة (الإصلاح) لها عدة معاني، تأتي بمعنى القيام بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) أي: انهم

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

(٣) سورة آل عمران: ٨٩.

عملوا اعمالاً صالحة بعد توبتهم، وتأتي بمعنى رفع الاختلاف بين فردين أو فئتين كما في الآيات التالية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾^(١) أي: إذا حدث الاختلاف والشجار بين المرأة وزوجها فإنه يتم اختيار حكم من قبل أهل الزوج وحكم آخر من قبل أهل امرأته، فإن كانت المرأة وزوجها طالبين للإصلاح واقعاً فإن الله سبحانه سوف يُصلح بينهما.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرُهُ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(٢).

وهناك تعبير آخر في هذا المجال وهو شائع بين الناس ووارد في القرآن الكريم أيضاً وهو إصلاح ذات البين الذي يعني إيجاد السلام والعلاقة الحسنة بين شخصين أو فئتين مختلفتين. يقول القرآن الكريم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣). وقد ذكرت الروايات الشريفة ثواباً عظيماً لإصلاح ذات البين، فإذا كان هناك مؤمنان أو عائلتان أو فئتان بينهما اختلاف ونزاع فلا بد من المبادرة الى إصلاح الوضع بينهما، ويترتب على هذا الإصلاح ثواب يفوق ثواب الصلاة المستحبة والصوم المستحب.^(٤)

ويتسع مجال إصلاح ذات البين ليشمل هذه الحالة وهي ما إذا حدث

(١) سورة النساء، الآية ٣٥.

(٢) سورة النساء، الآية ١٢٨.

(٣) سورة الأنفال، الآية ١.

(٤) راجع بحار الأنوار: ٤٢، الباب ١٢٧ ج ٧٥، ب ٣٤، ج ٧٦، ب ١٠١.

نزاع مسلح بين فئتين منتسبتين الى المجتمع الاسلامي وتقاتلتا، يقول تعالى: ﴿وَلِإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْبَلُوا إِلَيْهَا فَعَلَّيْهَا أَنْ تُقْبَلَ ۚ إِنَّ أَكْبَرَ الْمَقْسِطِينَ﴾^(١)، فالحل الأول الذي تطرحه الآية الكريمة هو الإصلاح برفع الاختلاف سلمياً، ثم تتعرض الآية بعد ذلك لموضوع الجهاد بعد فشل الحل السلمي وهو خارج عن بحثنا الحاضر.

إذاً كلمة الإصلاح في هذه الموارد تعني ايجاد السلام ورفع الاختلاف بين فردين أو فئتين من الناس.

إصلاح المجتمع من الفساد

كل ما تقدّم من معاني الإصلاح هو نوع من رفع الفساد أو الحيلولة دون وقوعه بين فردين أو فئتين من الناس، ولكن المراد من كلام الإمام الحسين عليه السلام: «وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله ﷺ...»، هو إصلاح المجتمع من الفساد، وإصلاح الدين من الانحراف، والإصلاح بهذا المعنى يكون في مقابل الإفساد، ويُطلق اسم «المصلح» على الشخص الذي يقوم بأعمال صالحة تماماً ويرفع ألوان الفساد من المجتمع والانحراف من الدين، ويكون في مقابله اسم «المفسد» الذي يطلق على من يوجد الفساد ويروج له في الوسط الاجتماعي، وبهذا المعنى جاء إصطلاح (المفسد في الأرض)، وهذا المعنى للإصلاح يختلف عن الإصلاح بمعنى رفع الاختلاف بين فردين

(١) سورة الحجرات، الآية ٩

أوفئتين. وهذا الإصلاح الذي تميّز بالبُعد الاجتماعيّ هو المطروح في أحاديث أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وفي الدراسات السياسيّة والاجتماعيّة المعاصرة^(١). نحن حينما نتكلم عن ثورة الحسين وعن أهدافه الإصلاحية لا بدّ أن نأخذ بعين الاعتبار القاعدة التي انطلق منها، والأساس الذي اعتمد عليه فقد انطلق من القرآن الكريم الذي نهى عن الفساد في الأرض بقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٢).

إذاً فيمكننا القول، بأنّ عنصر الإصلاح في أمة رسول الله ﷺ هو الذي حرّك الإمام الحسين عليه السلام، ليثور على الطاغية يزيد بن معاوية، لما وجده من انحراف خطير وفساد كبير وتردّي في المجتمع الإسلامي، وقد رأى بأنّ تحقق الإصلاح في المجتمع والدين يكون عبر العمل بذلك المبدأ القرآني وهو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتّمسك بسيرة النبي وأهل بيته ولذا قال عليه السلام: «أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي»، ولكي يتضح أهمية هذا المبدأ والعنصر لا بد أن نتعرف على معناه وأهميته وشرائط العمل به ومراتبه الثلاث كما جاء في الكتب الفقهيّة.

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قبل أن نتعرف على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي أن نعرف ماهو المعروف الذي يجب ان نأمر به وماعنى المنكرالذي يجب النهي عنه. فنقول: إن كلمة «المعروف» تشمل في الواقع كل ما أمر به الشرع المقدس

(١) راجع بارقة من سماء كربلاء للإستاذ الشيخ مصباح اليزدي: ١٥٠

(٢) الأعراف: ٥٦.

وارتضاه، وبالمقابل فإن كلمة «المنكر» تشمل كل ما نهى عنه الشرع المقدس ورفضه، فالصلاة والصيام والزكاة والخمس والحج، وصلة الرحم والصدق والتوبة من الذنوب... وغيرها كل ذلك يشمل الجانب الايجابي من مفاهيم الإسلام، كما أن ترك هذه الواجبات وقطيعة الرحم والكذب والعقوق والاستمرار في اقتراف الذنوب كل ذلك يمثل الجانب السلبي، والذي أمر الإسلام بتركه، ونهى عنه.

إن كثيراً من الآيات والروايات جاءت لتعكس الأهمية القصوى التي حظي بها هذا المبدأ في الإسلام، ففي بعض هذه الآيات تصف الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالمفلحين قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، وفي بعضها تصف المسلمين بخير أمة لمكان أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢)، وفي بعضها تجعل للمؤمنين والمؤمنات ولاية لبعضهم على بعض وتعتبر هذه الولاية هي ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣).

هذا وقد بينت الروايات الصادرة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام، أهمية هذا الأمر ففي بعضها تصفه بأنه قوام الشريعة فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) التوبة: ٧١.

«قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود»^(١)، وفي بعضها تصفه بأنه سبيل الأنبياء وهو فريضة عظيمة، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصالحاء، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض وتأمين المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر»^(٢).

وبعد أن بين القرآن والعرة الطاهرة أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بينوا للمجتمع خطورة تركه، وما يؤدي بالمجتمع إلى الانحطاط والفساد، فقد جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام، للحسين عليه السلام قال: «لا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيؤلى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم»^(٣) فهذا النص وغيره يبرز خطورة ترك هذا المبدأ، إذ إن نتيجة تركه؛ أن يتسلط الأشرار على المسلمين، وإن تسلطهم يوجب الفساد في الأرض وانحطاط المجتمع، وابتعاده عن الإسلام ومبادئه، وهذا ما حصل في المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأمة قد تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أدى ذلك في نهاية المطاف إلى تسلط معاوية بن أبي سفيان، ومن بعده ولده يزيد اللذين عاثا في الأرض فسادا.

كاشف الغطاء، والأمر بالمعروف

قدّم الواعظ التقي الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفى سنة ١٢٢٨هـ)

(١) غرر الحكم: ح ٦٨١٧.

(٢) الكافي ٥: ٥٧ ح ٦.

(٣) نهج البلاغة: كتاب ٤٧.

من العراق الى ايران، فمرّ بإحدى المدن الشمالية الجميلة والتي كان الالتزام الديني فيها ضعيفاً، فطلب منه المؤمنون أن يصلي بهم جماعة، فحيث كانوا يتوقعون حضور كثيرين لا يسعهم المسجد، أقاموا الصلاة في ساحة المدينة وطلبوا من سماحة الشيخ ان يحدثهم بعد الصلاة. فاعتذر لهم بضعف لغته الفارسية. ولكن المؤمنين أصروا، فارتقى المنبر وقال:

أيها الناس كلکم تموتون، والشيخ أيضاً يموت، إذن فكروا في يوم الآخرة.

ومما قاله ترطيباً ومزاحاً: أيها الناس.. انّ مدينتکم هذه كالجنة، ففي الجنة قصور وفي مدينتکم قصور، وفي الجنة بساتين وحدائق، وفي مدينتکم بساتين وحدائق، وفي الجنة لا صلاة ولا صيام ولا عبادة، وفي مدينتکم كذلك لا صلاة ولا صيام ولا عبادة! فضحك الحاضرون وانتبهوا لمقصود الشيخ كاشف الغطاء.

بهذا الأسلوب اللبق فتح الشيخ آفاقاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعا الناس والمؤمنين الى الالتزام الأكبر بالصلاة والصيام^(١)

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هناك مراتب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يجوز التخطي من مرتبة إلى أخرى إذا علم بحصول المطلوب وأنّ المكلف اتّعظ بها وارتدع.

المرتبة الأولى: الإنزعاج والإنكار القلبي: وهو أن يقوم الأمر بالمعروف

(١) الفوائد الرضوية ٧٣.

أو التَّاهي عن المنكر بعمل يظهر من خلاله انزعاجه القلبي وأنه لا يرضى من هذا العمل، وهذا ما يسمى بالإنكار القلبي قال الإمام الصادق عليه السلام: «حسب المؤمن عزاً إذا رأى منكراً أن يعلم الله من قلبه إنكاره»^(١)، وعن علي عليه السلام قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقي أهل المعاصي بوجوه مكفهرة»^(٢).

المرتبة الثانية: الأمر والنهي باللسان: وهو أن يأمر باللسان وينهى به، فإذا علم أنه لا ينفع العاصي القيام بعمل يظهر من خلاله الإنكار القلبي ينتقل إلى التصريح باللسان فيعرّف العاصي من خلال القول أن ما يقوم به منكر، أو ترك معروف ولكن ينبغي رعاية شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومتابعة الحكمة في ذلك والأساليب المؤثرة على قلوب أهل المنكر حتى لا يؤدي إلى إصرارهم أكثر على المنكر، وكم رأينا إصرار المتمردين، لسوء أسلوب الأمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر.

المرتبة الثالثة: الأمر والنهي باليد: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم يفلح الإنكار القلبي واللساني يتحول بعد ذلك الوجوب إلى الإنكار باليد، فيأمر وينهى ولو استلزم ذلك الضرب والقتال، وقيام الحروب^(٣)، وإذا ترك المكلف هذه المراتب الثلاث فلا خير فيه أبداً، قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(٤) وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «من ترك

(١) الكافي ٥: ٥٩ ح ١٠.

(٢) الكافي ٥: ٦٠ ح ١.

(٣) تحرير الوسيلة ١: ٤٢٩-٤٣٤.

(٤) عوالي اللآلي ١: ٤٣١، وعنه في بحار الأنوار ٩٧: ٨٠ ب ١.

إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه؛ فهو ميت بين الأحياء»^(١)، ولذا نرى ان الإمام الحسين عليه السلام قد استعمل مع حكومة الطاغية يزيد بن معاوية وجلاوزته هذه المراتب، فكان منكراً لأعمالهم وتصرفاتهم وظلمهم بقلبه، ثم أخذ ينهائهم عن المنكر بلسانه، وهو في مدينة جده ولما رأى بأن ذلك لم يؤثر فيهم، ورأى أنّ الظلم والفساد وتدهور الأمة الإسلامية يزداد يوماً بعد يوم، قام بثورته الإصلاحية ضد الطاغية يزيد ومن هنا كان يروي الإمام الحسين عليه السلام في مقام بيان سبب قيامه وتحركه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن جده رسول الله ﷺ: «من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم ينكر عليه بفعل، ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(٢) فكان عليه السلام يستند إلى سنة جده النبي ﷺ في تحركه المناهض ليزيد، ولذا قرّر الإمام ليقابلهم بيده بالفعل.

خروج الحسين عليه السلام من المدينة

لما عزم الإمام الحسين عليه السلام على الخروج من المدينة، أتاه أخوه محمد بن الحنفية وابن عمه عبد الله بن عباس وكانا سياسيين عالمين، ومنطلقهما منطق السياسة والمصلحة، ولقد اقترح ابن عباس على الحسين ان يسلك طريقاً سياسياً من نوع الطرق التي يسلكها الأذكىاء فقال للإمام: «يا ابن عمّ انّي أتصبر ولا أصبر، انّي أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، انّ اهل العراق

(١) تهذيب الأحكام ٦: ١٨١ ح ٣٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٤.

قوم غدر فلا تقربهم، أقم في هذا البلد، فانك سيد أهل الحجاز، فان كان أهل العراق يريدونك فاكتب اليهم، فلينفوا عاملهم وعدوهم، ثم أقدم عليهم»^(١). يقول الشهيد مطهري: «يريد ابن عباس أن يضع جماهير العراق في مقدّمة الجبهة والحسين عليه السلام في المؤخّرة، ويريد أن يقول للحسين عليه السلام: دع أهل العراق يواجهون العدو بأنفسهم، فان انتصروا فقد استتب الأمر لك، وان لم يفعلوا كنت في حلّ منهم، ولن يصيبك مكروه.

لم يعر الحسين أيّ اهتمام لهذا الاقتراح وأعلن عن عزمه على الذهاب، لأنّه كان منطقته، منطق الشهيد، وهو منطق الأنسان المصلح والعارف العاشق للقاء ربّه، ثمّ قال ابن عباس للإمام عليه السلام: فان كنت سائراً فلا تسر بنساءك وصبيتك، فأجابه الحسين: يا ابن عمّ، اني لأعلم أنّك ناصح مشفق، وقد عزمْتُ وأجمعتُ المسير»^(٢)!

وخرج الإمام الحسين من مدينه جدّه يوم الأحد ليومين بقين من رجب سنة ستين من الهجرة وكان خروجه ليلاً خائفاً يتكتم كما قال المرحوم جعفر الحلي في قصيدته الغراء:

خرج الحسين من المدينة خائفاً

كخروج موسى خائفاً يتكتم

ولكن هناك فرق عظيم بين خروج الحسين وخروج موسى خرج موسى من مدينة فرعون شر خلق الله والحسين خرج من مدينة جده خير خلق الله موسى خرج خائفاً علي نفسه والحسين خرج خائفاً من ان يقتل بالمدينة وتهتك

(١) وقعة الطف عن الطبري، وراجع الكامل في التاريخ ٤: ١٦.

(٢) شهيد يتحدث عن الشهيد، محاضرة القاها الشهيد مطهري في ليلة عاشوراء.

حرمة رسول الله ﷺ موسى خرج وحده والحسين عليهما السلام خرج بعيالاته واطفاله قالت سكينه خرج أبي بنا في ليلة ظلماء وماكان احداشد خوفاً منا موسى لما وصل إلى مدينه شعيب آمن على نفسه ونجا والحسين عليهما السلام لما وصل إلى مكة حرم الله وبيته لم يأمن على نفسه من القتل.

نعم خرج الحسين مع أهل بيته من مدينة جدّه وبقيت منازلهم خالية:

وخلت منازلهم فها هي بعدهم

قفري ومافيها سوى الأوتاد

يادار أين مضى ذووك أمالهم

بعدالترحل عنك يوم معادي

ألا لاتزان الدّار إلّا بأهلها

على الدّارمن بعد الحسين سلام

الليلة الرابعة

الأبعاد الأخلاقية، في النهضة الحسينية

قال تعالى:

﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهْمُ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَآتَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١)

قال الإمام الحسين عليه السلام، عند خروجه: «... ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصباحاً إن شاء الله»^(٢).

الإسلام والأخلاق

الأخلاق يحتل في النظرية الإسلامية موقعاً مهماً، وهو القاعدة التي يقوم عليها خلال النظرية الإسلامية في قضية المجتمع الإسلامي، فالنظرية الإسلامية ترى بأن المجتمع إنما يكون قوياً ومحكماً وقادراً على الاستمرار والبقاء والثبات، إذا قام على أساسين رئيسين:

الأساس الأول: هو (العقيدة) التي تتمثل في نظر الإسلام بعقيدة التوحيد،

(١) آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) اللهوف عن مقتل الخوارزمي، وراجع بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦، الباب ٣٧.

والإيمان بجميع صفات الله ومنها العدل وكل متفرعات التوحيد من النبوة، وامتدادها في الإمامة، والإيمان بالدار الآخرة والحساب والجزاء.

والأساس الثاني: هو (الأخلاق) الذي يعبر عنه بالقيم والمثل في حركة الإنسان نحو الكمال، ولقد جاءت روايات أهل البيت للتأكيد على أهمية حسن الخلق، وتصفه بأنه دليل كمال الإيمان والعقل ويؤجر صاحبه كأجر الصائم القائم والمجاهد في سبيل الله، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً»^(١) وعنه عليه السلام: «إن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم»^(٢)، وقال عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله»^(٣). وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٤)

لا شك أن الخطوة الأولى المهمة في طريق السلوك الأخلاقي وكسب محبة الناس هو التودد والمجاملة ومداراتهم حيث تُعدّ تعبيراً عن الحب، وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يؤكد هذا المضمون، فعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إن أعرابياً من بني تميم أتى النبي ﷺ فقال له: أوصني، فكان مما أوصاه: تحبب إلى الناس يحبوك»^(٥). ولقد جاء التأكيد في أحاديث أهل البيت عليه السلام أن يحب الإنسان لأخيه المسلم أو للناس ما يحب لنفسه، ففي وصية لأمير المؤمنين لولده الحسن عليه السلام: «فأحب لغيرك، ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها»^(٦).

(١) وسائل الشيعة ٨: ح ٩.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ح ٤.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ح ٥ و ١٥.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٠٣، أبواب أحكام العشرة، ب ١٠٤، ح ١.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٣، أبواب أحكام العشرة، ب ٢٩، ح ١.

(٦) نهج البلاغة، صبحي الصالح: ٣٩٧، كتاب ٣١، غرر الحكم: ٤٧٩.

أخلاق النبي الأكرم ﷺ

لقد كرّس النبي الأكرم ﷺ جلّ حياته في سبيل دعوة الناس إلى الله تعالى وإلى تعاليمه، دون أن يستعين بأية وسيلة مادية كبيرة أو قوّة عسكرية هائلة، واستطاع أن يغير مجتمعه المنحط في ربع قرن، فحل الإيمان والعلم والأخلاق في هذا المجتمع مكان الكفر والجهل والفساد، فما الذي مكّن رسول الله ﷺ من إحراز ذلك النجاح الباهر في مجتمع جاهليّ مغرق في الكفر والفساد؟! وكيف لم تحتج عملية الهداية المحمدية والتغيير الاجتماعي والفكري العميق إلى زمن طويل؟!!

ويأتي الجواب من القرآن نفسه من خلال وصفه تعالى لرسوله الكريم بالخلق العظيم حيث وصف به نبيه تارة على نحو الإجمال، إذ قال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وتارة بالتفصيل، نسيباً، إذ قال: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَافْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) فكان خلقه العظيم، هو سرّ نجاحه.

لقد سطعت أنوار رسول الله ﷺ في جميع الساحات والميادين، سواء منها الفردية أو الاجتماعية، للمجتمع، وفي كل أمر كبير أو صغير نجده ﷺ، كيف لا؟! وهو الإنسان الأكمل الذي قدّمه الله قدوة للبشرية، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٤).

(١) القلم: الآية ٤.

(٢) آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) التوبة: الآية ١٣٨.

(٤) الأحزاب: الآية ٢١.

وقال الإمام الحسين بن علي عليه السلام، سألتُ أبي عن رسول الله، فقال عليه السلام:
«كان رسول الله إذا انتهى إلى قوم، جَلَسَ حيث ينتهي به المجلس...»
وكان عليه السلام دائمَ البشر، سَهْلَ الخُلُقِ،... وكان «يأكل على الأرض، ويجلس
جِلْسَةَ العبد، ويخسفُ بيده نَعْلَهُ، ويرقِّع ثوبَهُ»،^(١).

أبعاد النهضة الحسينية^(٢)

لم تخلد ثورة بجميع تفاصيلها في تاريخ البشرية كما خلدت ثورة الإمام
الحسين عليه السلام، ولم تدخل إلى أعماق الناس بمختلف أصنافهم وجنسياتهم،
ولغاتهم كما دخلت هذه النهضة المقدسة، فما هو سرّ نجاحها هذا؟ وما هو علة
نوفوذها في القلوب؟

للنهضة الحسينية أبعاد وجوانب متعددة، كانت ولا تزال تستحق
الدراسة والتأمل، فهناك البعد الديني والدوافع الدينية وراء هذه النهضة،
وما حققته من أهداف وهناك البعد السياسي، والأسباب التي آلت إلى هذه
النهضة، والآثار والنتائج التي خلّفتها وأوجدتها في هذا المجال، وهناك البعد
العسكري، وهناك البعد الإنساني، والأثر الذي تركته هذه النهضة في الفكر
والضمير، وما قاله أو استلهمه الآخرون، مسلمون وغير مسلمين.

وقد استقطبت كلّ أو جلّ هذه الأبعاد والجوانب اهتمام العلماء والمفكرين
والدارسين والمحلّلين لهذه النهضة المباركة، وحظيت بعنايتهم البالغة، غير
أن هناك بعداً مهماً غفل عنه، ولم يحظ بالعناية المركزة والاهتمام الخاص،

(١) بحار الأنوار ١٦: ٢٨٤.

(٢) إقتباس من كراس للشيخ جعفر الهادي بتلخيص وإضافات.

والتحليل الكافي، رغم أهميته القصوى في ملف النهضة الحسينية، ورغم منزلته العليا في قائمة الدروس المطلوب إعطاؤها عن هذه الحركة القدوة، وهذا البعد أو الجانب هو البعد الأخلاقي والإنساني في هذه النهضة وهو الذي جذب القلوب إلى هذه النهضة وزاد من فاعليتها وتأثيرها، وجعلها كالمشعل الذي لا ينطفئ.

نظرة عامة في سلوك الثورات

إنّ كثيراً من الثورات رغم أنها حملت أو تحمل أهدافاً إنسانية، ورفعت أو ترفع شعارات مقدسة مثل: تحرير الإنسان من العبودية والذل، وتخليص الشعوب من الظلم، وإنقاذ الجماعات من الفساد والانحراف، ومن الانحطاط الأخلاقي والحضاري، وتبشّرها بالعدالة الاجتماعية والحياة الكريمة، والحقوق العادلة، ولكن بعدها تنسى القيم التي تبشّر بها، والعدالة التي تسعى لأجل تحقيقها، فتدوس الحقوق والمبادئ، حتى قبل انتصارها وسيطرتها على مقاليد الأمور، وتعامل حتى أبنائها وأتباعها وأنصارها وجنودها بأقبح أنواع التعامل، فضلاً عن أعدائها وخصومها. وبذلك تكشف عن نفسيات قادتها الشريرة، وروحياتهم المنحرفة، فإذا بين الأهداف والوسائل، وبين الممارسات العملية والشعارات المرفوعة لاجتذاب الجماهير، بون شاسع، وفرق كبير!!

وهذا هو شأن أكثر الثورات غير الإسلامية في العالم البشري، بل هو سلوكها جميعاً إلا نادراً، ولكن النهضة الحسينية قلبت هذا الأمر، فكانت نظيفة في أهدافها ووسائلها، سليمة في مواقفها وشعاراتها، بل كانت في أوج الالتزام بالأخلاق الفاضلة حتى في ذروة الصراع الدامي، والمواجهة الساخنة.

ويتجلى عمق هذا الجانب المضيء في مرآة النهضة الحسينية، وروعته وعظمته، إذا وقفنا أولاً على مدى البشاعة والفظاعة التي اتسمت بها ممارسات الجيش الكوفي الأموي، فقد ارتكب هذا الجيش بحق الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره ونسائه وأطفاله ما لم يرتكبه جيش من الجيوش بحق خصمه وعدوه، بحيث يعتبر هذا النمط من التعامل البشع الفظيع منعطفاً جديداً في أسلوب معاملة الخصوم، وبداية لكل الجرائم الفظيعة التي ارتكبت فيما بعد في المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي، وهو أمر يستحق وقفة تأمل طويلة.

نظرة في جرائم الجيش الكوفي الأموي

لا نستطيع هنا ذكر جميع ما وقع وارتكب من جرائم في وقعة كربلاء الأليمة على أيدي عناصر الجيش الأموي، ولكن نشير إلى أنواع تلك الجرائم وأمهاتها، ونترك للقارئ التفتيش عن المصاديق.

لقد ارتكبت عناصر الجيش الأموي في وقعة كربلاء قبل وبعد وفي أثناء الوقعة ما يلي:

- ١- منع إقامة الصلاة وممارسة العبادة، التي هي من أبسط حقوق الإنسان.
- ٢- قتل قرّاء القرآن والصالحين المؤمنين والاستهزاء بالمقدسات الإسلامية.
- ٣- تعطيش الأطفال وترويعهم وتجويعهم وضربهم، بل قتلهم.
- ٤- حرق الخيام على أهلها، وفيها المرضى والأطفال الصغار.
- ٥- رضّ أجساد الشهداء بالخنيل وقطع رؤوسهم، وحملها أمام عيون أهلهم.

٦- عدم الإشفاق حتى بالمرضى، العاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، وضربهم وغلّهم في السلاسل.

٧- إرعاب النساء والصبايا الثواكل واليتامى، وتجويعهنّ وضربهنّ وتسييرهنّ من بلد إلى بلد ومنعهن من النياح والبكاء على قتلاهن، وسلب حليهنّ بصورة مروّعة وفجيعة، بل وحتى قتلهن.

إلى غير ذلك من أنواع الجرائم الفظيعة التي استمرّت مدة شهر كامل، وارتكبت بحق الحسين عليه السلام وأهل بيته وجماعته، لا لجرم اقترفته هذه الثلّة المؤمنة الطيّبة بل لأنهم رفعوا أصواتهم بوجه الظلم والجور، واعترضوا على الفساد والانحراف وأطلقوا كلمة حق عند سلطان جائر.

ولكن رغم كل ذلك بقي الإمام الحسين عليه السلام يتعامل مع العدو الشرس الدنيء في إطار الأخلاق في أدقّ معانيها الإنسانية.

المعطيات الأخلاقية في النهضة الحسينية

وفي عصر الإمام الحسين عليه السلام، أتهزت قضية الأخلاق عند الناس، من خلال التوسع في الدنيا، والتمكن من الشهوات واللذات، وكثرة الأموال، والتوسع في القدرة والسلطة، وغير ذلك من الأمور التي أدت إلى ضعف الحالة الأخلاقية، ولذلك نجد في قضية الإمام الحسين عليه السلام، سلوكين متعاكسين:

الأول: تعامل أعداء الإمام الحسين معه عليه السلام، وكان سلوكهم يتصف بالتدني التسافل الشديد والسقوط الأخلاقي.

الثاني: تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع أعدائه، الذي كان يتصف دائماً

بالسمو الأخلاقي والارتفاع في المشاعر والعواطف والمواقف.

وعند متابعة سيرة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، منذ خروجه، وحتى شهادته، نلاحظ هذين الخطين، الخط الأول السلوك اللاخلاقي المتمثل في أعداء الإمام الحسين عليه السلام والثاني السلوك الأخلاقي المتمثل فيه وفي أصحابه، بحيث كانت قضية الأخلاق من القضايا البارزة والمهمة في هذه المعركة.

والأسلوب الأخلاقي الذي سلكه الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه في كربلاء وفي يوم عاشوراء مقابل الأعداء كان أقوى فاعلية من جميع الأساليب، وأبقى أثراً من كل وسيلة، وأشدّ تدميراً وتحطيماً للعدوّ من جميع الأسلحة.. فهو سلاح يفعل في النفوس ويغير القلوب، ويترك أثراً إيجابياً على العقول، ويجرّ إلى صاحبه أكبر الانتصارات على أعدائه المتوسّلين بسلاح الجناية والجريمة.. كما أنه أبلغ في فضح العدو، وكشف نيّاته أمام الناس ولهذا أصبحت نهضة الإمام الحسين عليه السلام مدرسة أخلاقية للثوّار والناهضين في كل عصر ومصر.. مدرسة لكل من يريد من ثورته هدفاً مقدساً وغاية شريفة وكانت المعطيات الاخلاقية في النهضة الحسينية كثيرة نلخصها في الأمور التالية:

الأمر الأول . التصريح بأهداف النهضة

لقد جرت العادة في أغلب الثورات أن يقوم المتبني للنهضة بتقديم المغريات لاجتذاب الجماهير، وممارسة التضليل الإعلامي، والخداع الجماهيري، وكتمان الأهداف الحقيقية، وإخفاء ما قد يحفّ بالثورة من مخاطر ومشاكل، وما قد تعترضه من مفاجآت، ولكن الإمام الحسين عليه السلام لم يفعل شيئاً من هذا قط، ولم يخدع أحداً، بل صرّح منذ البداية بأهداف ثورته وذلك في وصيته

لاخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من مدينة جده رسول الله ﷺ إذ يقول: ((... وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليهما السلام...))^(١).

وفي خطابٍ آخر صرّح بما يعتزم فعله من تضحية وفداء في هذا السبيل، وبين نتائج نهضته فقال: «... وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النووايس وكربلاء... ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصباحاً إن شاء الله».

الأمر الثاني - الرحمة بالعدو واللفظ به

جرت عادة الثوار على أن ينسوا في حالة الهياج الثوري الناحية الإنسانية، ويغفلوا عن قضايا الرحمة والعطف، ويقترفوا أبشع الجرائم وصولاً إلى الهدف، ولكن الإمام الحسين عليه السلام لم يفعل هذا، بل تعامل مع أعدائه من منطلق الرحمة واللفظ والكرم والمروءة.

فهذا التاريخ الصحيح يحدثنا كيف أنه عليه السلام أمر فتيانته وهو في أثناء الطريق أن يستقوا ويحملوا كميات كبيرة من الماء ففعلوا، ثم ساروا، فبينما هم يسيرون إذ التقوا بالحرّ بن يزيد الرياحي على رأس ألف فارس بعثهم ابن زياد (والي الكوفة الأموي) ليحاصروا الإمام الحسين عليه السلام وجماعته، وكانوا قد تاهوا في الصحراء، وانقطع عنهم الماء وبلغ بهم العطش حدّ الموت، فقال

(١) بحار الانوار ٤٤: ٣٢٩.

الإمام الحسين عليه السلام لفتيانه: «اسقوا القوم واروهم من الماء وارشفوا الخيل ترشيفاً» ففعلوا، وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم، وأقبلوا يملأون الأواني الكبيرة من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبّ منها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها.

وهكذا سقى الإمام الحسين عليه السلام طليعة عدوّه الظامئ في حرّ الظهيرة، وسقى خيله، بل وساعد الحسين عليه السلام بنفسه على سقي بعض الأفراد، رحمةً منه ولطفاً ومروءةً وكرماً، وقد كان في إمكانه أن يستغلّ ظمأهم وضعفهم ويحاربهم وهم في تلك الحالة ويتخلّص منهم.

الأمر الثالث - العناية بالمولى من الأنصار

وجرت العادة على أن ينسى القادة في زحمة الصراع العناصر الهامشية من الأتباع والأنصار، ويهملوا شأنهم، وينشغلوا عنهم، وينصرف اهتمامهم بكبار الشخصيات وخاصة من ينتسب إليهم من الأقرباء، أو يفرّقوا بين عرق وآخر ولون وآخر، ولكن الإمام الحسين عليه السلام لم ينس أصحابه وأنصاره في ساحة القتال، بل اعتنى حتى بالخدام منهم كما اعتنى بولده سواء بسواء.

فهذا (جون بن حوى) مولى أبي ذر الغفاري كان عبداً أسود، صحب الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق، فلما نشب القتال وقف أمام الحسين عليه السلام يستأذنه في القتال، فقال له الحسين عليه السلام: «أنت في إذن مني، فإنما تبعنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقتنا».

فقال: يا ابن رسول الله، أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة

أخذ لكم، والله إنَّ ريحي لنتن، وإن حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفّس عليّ بالجنة، فتطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، ثم قاتل فقتل خمسة وعشرين رجلاً، ثم قُتل، فوقف عليه الحسين عليه السلام، وقال: «اللهم بيّض وجهه، وطيب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعزّف بينه وبين محمد وآل محمد».

ولما صرع «واضح التركي» وهو غلام لأحد أصحاب الحسين عليه السلام، بعد أن قاتل قتال الأبطال استغاث بالحسين عليه السلام، فأتاه أبو عبد الله عليه السلام واعتنقه، فقال واضح وهو يطوي آخر اللحظات من حياته مفتخراً ومباهياً: من مثلي وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضع خدّه على خدي؟! ثم فاضت نفسه الطاهرة.

فالإمام عليه السلام يضع خدّه على خدّ غلام حبشي أو تركي قُتل بين يديه دفاعاً عن الإسلام، كما وضع خدّه فيما بعد على خدّ ولده علي الأكبر عليه السلام، فهل هناك قائد يتواضع هكذا لأصغر جنديّ من جنوده منزلة، ويحنو عليه كما يحنو على ولده الحبيب؟! *

الأمر الرابع - الوفاء بالعهد والوعد

كما جرت عادة قادة الثورات أن ينسوا أو يتناسوا ما قطعوه على أنفسهم لجنودهم من الوعد، عند اشتداد الظروف، ويرفضوا الوفاء بما تعهّدوا به عند إقبال البلاء وتفاقم الأمور، ولكن الإمام الحسين عليه السلام كان عند وعده وعهده، يهّمه أن تنتصر الفضيلة، وإن خسر هو ناصراً ومعيناً.

فقد جاء رجل إلى الحسين عليه السلام يدعى الضحّاك بن عبد الله المشرقي،

وقال للإمام عليّ عليه السلام: إني أقاتل عنك ما رأيت معك مقاتلاً، فإذا لم أرى مقاتلاً فأنا في حلّ من الانصراف. فقال له الحسين عليه السلام: «نعم». فخبياً (الضحك) فرسه في بعض الخيام، ولما رأى خيل أصحاب الحسين عليه السلام تُعقر صار يقاتل راجلاً، ولما بقي الحسين عليه السلام وحده قال للإمام: إني على الشرط، فقال الحسين عليه السلام: «نعم أنت في حلّ إن قدرت على النجاة»، فأخرج فرسه من الفسطاط وركبه وهرب ونجا بنفسه!

الأمر الخامس - احترام الحسين عليه السلام لوشيجة القربى

من الطبيعي أن يغفل المرء في ذروة المواجهة الساخنة، وفي حالات المعاداة الشديدة، قضية الرحم ووشيجة القربى، أو تسوّل له نفسه أن يتجاهلها، وبخاصة إذا كان الطرف الآخر دنيء النفس ساقط الشخصية، ولكن الحسين عليه السلام يرى للرحم، ولوشيجة القربى منزلة أعلى مما يتصوّر.

فهذا «شمر بن ذي الجوشن» الشرس الحاقد على الحسين عليه السلام يسعى إلى أن يشتت أصحاب الإمام ويفرقهم عنه ويشنهم عن نصرته في محاولة مكرة، وذلك بإعطاء الأمان لبعض من تربطه بهم ووشيجة القربى من إخوة الإمام، كالعباس بن علي وإخوته، ولكونه من «بني كلاب» من جانب الأم والشمر من بني كلاب أيضاً، فيتقدم إلى معسكر الحسين عليه السلام ويصيح بأعلى صوته: أين بنو أختنا؟ أين العباس وإخوته؟ فيعرض عنه العباس وإخوته ولا يجيبونه، فيقول الحسين عليه السلام، «أجيبوه ولو كان فاسقاً»، فيقولون له: ما شأنك وما تريد؟

فيقول: يا بني أختي أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد، فيقول له العباس في ردّ صاعق: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله ﷺ لا أمان له، وتأمّرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأبناء اللعناء.

الأمر السادس - عدم استغلال النساء كترس حماية

جرت العادة أيضاً في أغلب الثورات على استخدام المرأة كترس حماية في أفضل التقادير، إن لم تستخدم كوسيلة للترفيه.

ولكن الحسين عليه السلام، تعالى بالمرأة، ووضعها في مكانها اللائق بها، واحترم شأنها، وراعى أحاسيسها، ولم يصطحب معه النسوة إلا ليلّغن نداء الثورة المقدسة إلى مسامع العالم، مع منتهى المحافظة على الحشمة والالتزان، والعفة والوقار، ولهذا لم يرض بأن يدخلن إلى ساحة القتال، والتعرض بالحرب للرجال.

فحين رُمي برأس وهب بن عبد الله الكلبي إلى جهة الحسين عليه السلام، أخذت أمه رأسه ومسحت عنه الدم والتراب، ثم أخذت عموداً وخرجت لتقاتل، فأقبل الحسين عليه السلام كي يردّها إلى النساء والخيام، فأخذت بجانب ثوبه، وقالت: لن أعود أو أموت معك. فقال الحسين: «جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً، ارجعي إلى النساء رحمك الله»، أو أنه قال لها: «ارجعي يا أمّ وهب، أنتِ وابنتك مع رسول الله ﷺ، فإن الجهاد مرفوع عن النساء».

الأمر السابع - المحافظة على العواطف ومراعاة الأحاسيس

إن مراعاة الأحاسيس والعواطف أمر يكاد تفقده غالبية العمليات الثورية التي ترى الأمور العاطفية مانعاً في طريق نجاحها.

فحين خرج «عمرو بن جنادة الأنصاري» يستأذن الحسين عليه السلام لمقاتلة الأعداء، وهو ابن إحدى عشرة سنة، وممتلئ قوةً وحماساً، وذلك بعد أن قُتل والده في نفس المعركة، فأبى الحسين عليه السلام أن يأذن له وقال: «هذا غلام قُتل أبوه في الحملة الأولى، ولعل أمه تكره ذلك!» فقال ذلك الغلام: إن أمي أمرتني، فأذن له، فما أسرع أن قُتل، ورُمي برأسه إلى جهة الحسين عليه السلام، فأخذته أمه ومسحت الدم عنه، وضربت به رجلاً قريباً منها، وعادت إلى المخيم، فأخذت عموداً وأنشأت تقول:

إني عجوز في النساء ضعيفة

خاوية بالية نحيفة

أضربكم بضربةٍ عنيفة

دون بني فاطمة الشريفة

فردّها الحسين عليه السلام إلى الخيمة بعد أن أصابت بالمورد رجلين.

وها هو أحد أصحابه (محمد بن بشر الحضرمي) عندما يبلغه خبر أسر ابنه عند حدود الري يقول: عند الله أحاسبه ونفسي، وما أحب أن يؤسر وأبقى بعده، فلمّا سمع الحسين عليه السلام مقالته هذه، قال له: «رحمك الله، أنت في حلٍّ من بيعتي، فاذهب واعمل في فكاك ابنك».

فيقول ابن بشر: أكلتني السباع حيّاً إن أنا فارقتك يا أبا عبد الله، فقال له

الإمام عليّ عليه السلام: «إذن خذ هذه الأثواب والبرود (وكانت الأثواب خمسة قيمتها ألف دينار) وأعطها ابنك محمداً يستعين بها في فكاك أخيه».

الأمر الثامن - العفو عن العدو

جرت عادة المتخاصمين على أن لا يصفح أحدهم عن الآخر ولا يعفو إلا ما ندر، أما إذا كان الطرف الآخر عاملاً قوياً من عوامل المشكلة، فالعفو يبدو حينئذ أبعد منالاً، ولكن الإمام الحسين عليه السلام عفا في كربلاء حتى عمّن كان سبباً في نزوله في أرض كربلاء، وعدم التمكن من التوجه إلى الكوفة، أو العودة إلى مكة، وبالتالي مواجهته جيوش الأعداء.

فالحرّ بن يزيد الرياحي الذي جمع بالحسين عليه السلام، ورفض كلّ عروض الحسين عليه السلام، كالعودة إلى المدينة، أو سلوك طريق آخر غير هذا وذاك، رغم إحسان الحسين عليه السلام إليه، وإنقاذه وجيشه من العطش المهلك، الحرّ هذا عندما يؤوب إلى رشده، ويندم على ما فعل، ويعتذر إلى الحسين عليه السلام، ويطلب منه عليه السلام أن يغفر له جريمته، يستقبله الحسين عليه السلام بصدر رحب، ويقبل معذرتة، ويرحب به، ويعفو عنه، بل ويقلّده وساماً خالداً، بعد أن قاتل دون الإسلام، ودافع عن حياض الشريعة، إذ يقول وهو يؤبّنه بعيد استشهادة، وقد سار إليه ووقف عند جثمانه وهو صريع: «ما أخطأت أمك إذ سمّتك حرّاً، فأنت حرّ في الدنيا وسعيد في الآخرة».

الأمر التاسع - الهداية لا إراقة الدماء

كما جرت عادة أصحاب الثورات على أن ينطلقوا إذا اشتدّ عليهم الأمر من موقع الانتقام، ويشتدّ فيهم التعطش إلى دماء الأعداء، فلا يكون همّهم إلا إزهاق النفوس، وإراقة المزيد من الدماء، إلا أن نهضة كنهضة الحسين عليه السلام لا يمكن أن تنطلق من هذا المنطلق، وتتورط في مثل هذه الحالة، فنهضة الحسين عليه السلام نهضة هداية وإيقاظ، وبخاصة مع الذين غرّهم الطغاة.

ولهذا فإن الحسين عليه السلام أبى في الدرجة الأولى أن يبدأ بالقتال إلى جانب الإكثار من النصيح والوعظ والتذكير والتحذير، فحين يحاصره الحرّ في أثناء الطريق يقول زهير بن القين: يا ابن رسول الله، إن قتال هؤلاء علينا أيسر من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا ما لا قبّل لنا به. يجيبه الإمام عليه السلام قائلاً: «ما كنت أبدأهم بالقتال»، ثم عمد إلى نصيحتهم ووعظهم والتعريف بنفسه لهم.

ويحدثنا التاريخ بأنه عليه السلام بقي يرشد ويعظ، ويذكر ويُنبّه طوال مدة النهضة بدءاً من خروجه من المدينة المنورة وحتى آخر اللحظات من حياته الشريفة وقبيل استشهاده، وقد سجّل التاريخ كلّ مواعظه وخطاباته وكلماته مع الأفراد والجماعات مما يدلّ على أنه لم يألُ جهداً ولم يدخر وسعاً في الإيقاظ والتوعية، والإرشاد والهداية، رغبةً في إيقاف الأمة على واجباتها الدينية والسياسية، وتجنّباً من إراقة الدماء، وحتى عندما كان يضطرّ للمقاتلة كان يقتل بهدف الدفاع، ويكتفي بالقدر اللازم من دون رغبة في إزهاق النفوس.

الأمر العاشر - لا إكراه على المناصرة

لقد ترك الإمام الحسين عليه السلام في نهضته الباب مفتوحاً أمام من يحب مناصرته أو لا يحب، فلم يكره على خلاف أغلب الثورات في الحياة البشرية أحداً ولم يرغمه على الانخراط في جماعته، والانضواء تحت رايته، ففي ليلة عاشوراء يقف في أصحابه ويقول: «ألا وإني أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً فأنتم في حلّ، ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم، فإنّ القوم إنما يطلبونني، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري».

ويجيبه أصحابه وإخوته وأبنائه بإعلان النصر الصادقة له عن رغبة، وشوق إلى الشهادة.

التصريح بأهداف النهضة الثانية

دخل الإمام الحسين عليه السلام مكة يوم الجمعة لثلاث مضيّن من شعبان..... وقرّر الخروج منها يوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية)، وفي طريقه إلى العراق قام خطيباً، وأعلن عن أهداف نهضته ثانية وقال: خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّري مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النووايس وكربلاء، فيملأنّ مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوقينا أجور الصابرين، ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، وموطئاً على

لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا فإني راحل مصباحاً إن شاء الله .

وقد أنجلى عن مكة وهو ابنها

وبه تشرفت الحطيم وزمزم

نعم خرج الإمام مع أهل بيته من مكة وسار نحو كربلاء و كان يعلم أنَّ
المنايات سير معه ونزلها في يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين ، ولما
نزلها سأل الإمام عليه السلام عن اسم هذه الأرض ف قيل له العقر فقال : « اللهم أعوذ
بك من العقر » وقيل له كربلاء ، عندها دمعت عيناه وهو يقول : « اللهم أعوذ
بك من الكرب والبلاء » ، وقبض الإمام عليه السلام قبضةً من ترابها فشتمها وقال :
« هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله أنني أقتل فيها ،
أخبرتني أم سلمة » ، ثم قال : « ها هنا محط رحالنا ومسفك دماننا وهنا محل
قبورنا ، بهذا حدّثني جدي رسول الله » ، فنزلوا جميعاً^(١) .

بنفسي وهويسري والمنايا

أمام الركب تسري بالحمول

يقول ألا أخبروني ما اسم أرض

أراني كارهاً فيها نزولي

أبينوا ما اسمها المشهور منها

فقالوا كربلا يا بن الرسول

فقال هي البلاء وفي ثراها

تريق دماننا أيدي النغول

(١) راجع الكامل في التاريخ ٤: ٥٢ ، اللهوف: ٧٠ ، تذكرة الخواص: ٢٦٠ ، ونفس المهموم: ٢٠٥ .

الليلة الخامسة

السفير والسفارة في الإسلام

قال تعالى:

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ، ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾﴾﴾^(١)

قال الإمام الحسين عليه السلام، حين وجّه ابن عمّه مسلم إلى أهل الكوفة: «... وقد بعثت اليكم اخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل...»^(٢).
سفرة، جمع السفير والسفير له معاني متعددة منها: بمعنى الكاتب كما هو في هذه الآية بأيدي سفرة أي: كتبة من الملائكة ومنها: بمعنى الرسول وهو الواسطة والرسول مرة يكون روحانياً من جنس الملك وهو على أنواع، ومرة يكون الرسول من جنس البشر وهو على أنواع أيضاً.

(١) سورة عبس: ١٢-١٦.

(٢) الارشاد: ٣١٠، تاريخ الطبري ٦: ١٩٧.

انواع الرسل من الملائكة

إنَّ الاعتقاد بوجود الملائكة من الاصول الثابتة في العقيدة الإسلامية، وهي بمنزلة الاعتقاد بالرسل والكتب السماوية، قال تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَأَلْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ وَأَلْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٢)، وغيرها من الآيات.

والملائكة جنود الله الذين يدبّر بهم الأمور في العالم، وقد أقسم الله بهم في قوله تعالى: ﴿فَالْمَدِيرَاتِ أَمْرًا﴾^(٣) وتمثل القوة الإلهية في الكون ولا أحد يستطيع تقدير هذه القوة، ولا حصرها ولا معرفتها... لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾^(٤).

ولكن بإمكاننا ان نتعرف ولو بالإجمال على بعض أوصاف الملائكة وأعمالها من خلال ما ورد في القرآن المجيد وأحاديث المعصومين عليه السلام، ونكتفي بالمشهور منها ما جاء ذكرهم في الكتب السماوية، وعلى ألسن الناس

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) سورة النساء: ١٣٦.

(٣) النازعات: ٥.

(٤) المدثر: ٣١.

وهم الرُّسل الأربعة، جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل، والملائكة الكرام الكاتبين.

١- جبرئيل عليه السلام: هو من الرسل الروحانيين الذين لا يدرك وصفهم إلا الله تعالى ومن افضل الملائكة المقربين، وهو الملك الموكل بركن الخلق والإيجاد وإبلاغ الوحي إلى الأنبياء، فهو الروح الأمين وأمين الوحي ومن افضل كراماته أنه صار من أهل البيت عليه السلام، كما في حديث الكساء المعروف.

وإلى رسالة جبرئيل يشير بعض الشعراء بقوله وفيه الإيهام واللغز.

وإنَّ رسول الله ليس من البشر

شهدت بأنَّ الله ليس بخالق

ومن شك في هذا المقال فقد كفر

وإنَّ علياً لم يكن بابن عمه

وليس بخالق بمعنى ليس ببائِد، من خلق الثوب إذا باد وتمزق وإنَّ رسول الله الذي هو جبرئيل ليس من البشر بل هو من الملائكة، وليس علي عليه السلام بابن عمِّ لجبرئيل عليه السلام.

٢- اسرافيل عليه السلام: هو من الملائكة المقربين والمبلغ لأوامر الله لجبرائيل، وهو الملك الموكل بركن الحياة فينفخ في الصور في الأيام الأخيرة من حياة الدنيا فيموت من في السماوات والأرض، وينفخ مرة أخرى فيخرج الأموات من الأجداث (القبور) وهو يوم الحشر والنشور، وقد أخبر الله تعالى عن هاتين النفختين في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾^(١)، وفي آية أخرى يقول تعالى:

(١) الزُّمَر: ٦٨.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^(١) ويقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾^(٢)، ففي النفخ الأول موت كل ذي حياة في السموات والارض وفي النفخة الثانية إحيائهم وجمعهم للحساب وهو يوم القيامة.

٣- ميكائيل عليه السلام: هو الملك الموكل بركن الرزق لجميع المخلوقات.

٤- عزرائيل عليه السلام: أو ملك الموت وهو الرّسول الموكل بركن الممات، فهو قابض الأرواح بأمر الله قال تعالى: ﴿قُلْ يَنفِقُكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾^(٤).

الكرام الكاتبان: هما الملكان الموكلان بالإنسان اللذان يكتبان ما ينوي ويعمل وقد جعلهما الله شهوداً علي خلقه فالملك الذي علي الجانب الأيمن يكتب الحسنات والذي علي الجانب الأيسر يكتب السيئات، يقول تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٥). ويقول تعالى: ﴿وَإِن عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كُنِينٌ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٦).

إبليس لم يكن من الملائكة: لقد خلق الله الملائكة من نور فهم كالأرواح مجردات عن المادة بينما خلق الله الجن من النار السموم وهي نار لا حر لها ولا دخان، قال تعا لى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾^(٧) فالجن من

(١) يس: ٥١

(٢) الكهف: ٩٩.

(٣) السجدة: ١١.

(٤) الأنعام: ٦١.

(٥) سورة ق: ١٨.

(٦) الإنفطار: ١٠-١٢.

(٧) الحجر: ٢٧.

المخلوقات والكائنات الماديّة.

وإبليس هو من جنس الجن الذي خلق من النار، وما كان من جنس الملائكة، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(١)، حيث شمله الخطاب فلأنه كان معهم يعبد الله آلاف السنين، ولكن لما تكبر وعصى ربه عند ما امره بالسجود لآدم، أصبح من المبعدين، وقد استدلل إبليس با فضيلة خلقه على آدم بقوله: خلقتني من نار وخلقته من طين وفي هذا يقول الإمام الصادق عليه السلام لأبي حنيفة: «يا ابا حنيفة قد بلغني أنك تقيس فقال: نعم، فقال عليه السلام: لا تقس فإن أول من قاس إبليس لعنه الله، حين قال: خلقتني من نار وخلقته من طين»^(٢).

وإبليس إسم علم للشيطان الذي وسوس لآدم، وأمّا الشيطان فهو إسم جنس شامل للشيطان الأول (إبليس) ولجميع الشياطين من ولده، ويطلق الشيطان أيضاً على كل موجود مغول لآخرين وعاصٍ وعدوّ للحق، من الجن والإنس لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾^(٣)، كذلك يطلق الشيطان على كل مؤذٍ من الموجودات الكبيرة أم الصغيرة كالميكروبات كما جاء في روايات المعصومين عليه السلام^(٤).

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الكافي ١: ٥٨، وفي بحار الأنوار ٢: ٢٨٨، عن الإحتجاج.

(٣) الأنعام: ١١٢.

(٤) راجع التفسير الأمثل ١: ١٢٣-١٣٠.

السفارة وانواعها (الرسال من البشر)^(١)

النوع الأول - السفارة الربانية:

وهي إرسال الرسل من البشر وهم الانبياء المرسلون من الخالق إلى المخلوق بواسطة جبرئيل عليه السلام، ملك الوحي إلى أمة دون أمة كإرسال النبي موسى إلى أمة بني إسرائيل أو الي الأمم كإرسال نبي الإسلام إلى جميع الأمم، وكان اول من ارسلهم الله، هو النبي ادم عليه السلام، واخرهم النبي محمد ﷺ فهؤلاء سفارتهم سفارة ربّانية بواسطة جبرئيل عليه السلام، ملك الوحي، ومن وقع عليه اختيار الله تعالى فهو كامل الصفات، ولا يحتاج إلى الشروط لإختياره، وانما تعتبر الشروط وتراعى الاوصاف فيمن دونهم في الرتبة من السفراء الدينيين والسياسيين.

النوع الثاني - السفارة الدينية

وهي إرسال رسول لبث الدعوة الالهية وتنقسم إلى قسمين:

- ١- إرسال الرسول بأمر من الله تعالى بواسطة الوحي على النبي ﷺ.
- ٢ - إرسال الرسول بإختيار من النبي نفسه أو الامام المعصوم وإليك توضيح هذين القسمين:

القسم الأول: رسول لبث الدعوة الالهية بأمر من الله تعالى بواسطة الوحي على النبي ﷺ وهذا القسم لا يحتاج إلى شروط فإنّ الذي اختاره النبي بأمر من الله فهو جامع للشروط. كما يقال في رسل عيسى عليه السلام، لأهل انطاكية رسل الله وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ

(١) مقتبس من كتاب سفير الحسين عليه السلام، للعلامة عبدالواحد المظفر بتلخيص واضافات.

فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٠﴾، والذين يكون اختيارهم بسبب الوحي تكون لهم فضيلة، فهم كالأوصياء للأنبياء فان الأوصياء سفراء بين الأنبياء وامهم في حال حياتهم وبعد وفاتهم، فالأئمة الاثنا عشر الذين نص عليهم رسول الله ﷺ واقامهم بعده اعلاماً للأمة وجعلهم مناراً للمسترشدين وهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأحد عشر من ولده آخرهم المهدي المنتظر.

القسم الثاني: رسول لبث الدعوة الآلهية بإختيار من النبي نفسه، أو من قبل الإمام المعصوم، والشروط المعتبرة في السفير الديني الذي نصبه النبي أو الإمام هي: العلم والحلم والعقل والحنكة والتجربة، والمعرفة بطرق المحاورات وفنون الجدل، وقوة الايمان، والبصيرة في الدين، وصحة العقيدة، ومن الذين بعثهم رسول الله ﷺ إلى الأمم وملوك الاطراف لأجل دعايتهم إلى دين الإسلام، كهرقل وكسرى والمقوقس وامثالهم، وكارسال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إلى اليمن فاسفرت سفارته عن نتائج صالحة للإسلام اسلمت قبيلة همدان كلها في يوم واحد واسلمت مذحج عدا زييد جرت لهم معه مناوشات كانت له فيها العاقبة الحميدة ورجع مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ظافراً محموداً.

وكارسال رسول الله ﷺ مصعب بن عمير العبدي رحمه الله إلى المدينة لنشر مبادئ الإسلام فيها مع سعد بن زرارة الخزرجي النجاري فاسفرت تلك السفارة عن اعظم النتائج باسلام زعماء الاوس والخزرج مثل سعد بن معاذ الاوسي الاشهلي، وسعد بن عباد الخزرجي الساعدي.

ومن الذين كانوا من قبل المعصوم كالسفراء الاربعة الذين هم نواب مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه في الغيبة الصغرى عقيب وفاة مولانا العسكري عليه السلام، وقد جدّ سلطان ذلك العصر في طلب المهدي عليه السلام، فاحتجب واقام للشيعة نواباً عنه متعاقبين، جعلهم سفراء بينه وبين شيعته يخلف بعضهم بعضاً إلى تمام أربعة حتى وقعت الغيبة الكبرى وانقطعت السفارة، وأول هؤلاء السفراء ابو عمرو عثمان بن سعيد الاسدي توفي سنة ٢٥٤، والسفير الثاني ولده محمد ابن عثمان وقد توفي في جمادى الثانية سنة ٣٠٤ وبقي نائباً وسفيراً للامام المهدي عليه السلام مدة ٤٠ سنة، والسفير الثالث: الحسين بن روح النوبختي، أبو القاسم المتوفى سنة ٣٢٦هـ، والسفير الرابع: أبو الحسن علي بن محمد السمرى، وهو آخر السفراء وبموته انقطعت السفارة بين الامام والشيعة ووفاته سنة ٣٢٩ وقبورهم جميعاً في بغداد معروفة.

النوع الثالث - السفارة السياسية

وهي إرسال رسول من بشر إلى بشر لتمهيد القواعد السياسية وربط العلاقات الودية بين حكومتين أو شعبين وضبط شؤون الدولة والمناقشة في انظمة البلاد وتقرير الحقوق المدنية الدولية والمطالبة بمالها من الرسمىات من الاوسمة والامتيازات أو تأكيد رابطة السلام، وتمهيد قواعد الأمن بين دولتين أو دول، فذاك كثير في الأمم قديمها وحديثها، وهو في الأمم القديمة وان لم يرتبط كما هو اليوم بنظام قانوني ومشروع دستوري، لكنه مقرر على اصول يطالعها الرسول دراسة أو يتلقاها شفاها من المرسل ولا يقع هذا النوع تحت الضبط لكثرتة كرسل ملوك بني أمية، وبني العباس إلى الأمم والملوك المعاصرة لهم وكرسلهم إلى قواد جيوشهم وامراء ممالكهم.

ويعتبر في السفير السياسي، الحزم واليقظة والكفاءة والفتنة والعلم بالقوانين السياسية وان يكون اميناً لينصح لشعبه ولبلاده .

ومن اظهر افراد السفارة السياسية المحضة وكلاء الدول اليوم في البلاد الاجنبية، وهم السفراء المخصصون لربط العلائق الودية في تلك البلاد، وعلى ايديهم تجري المراجعات بين الحكومتين في الشؤون السلمية والحربية.

النوع الرابع - السفارة الدينية والسياسية

فهي كثيرة منها: ما وقع بين رسول الله ﷺ وبين قريش في غزوة الحديبية، فترددت السفراء بينه وبينهم، ومنها: ما وقع في حرب صفين بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية وترددت السفراء بينهما فآخفت ولم تنجح السفارة إلا بعد ان صبغت الأرض بدماء القتلى، فتمت الهدنة على شروط مذكورة في تاريخها، وكذلك صلح الحسن ابن علي عليهما السلام ومعاوية مشى السفراء بينهما وتمت على الشروط المعروفة.

ومنها: ارسال مولانا الحسين بن علي عليهما السلام لابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة سفيراً دينياً لأجل الدعوة لأهل البيت النبوي ولأجل رفع السلطة الاموية العابثة بالدين والشرف، حيث اجتمعت الشروط في سفارة مسلم بن عقيل وكان اهلاً لهذه المسؤولية.

شخصية مسلم ومنشور سفارته

قد نشأ مسلم بن عقيل، في بيت عمه أمير المؤمنين عليه السلام، وحضر معه وقائع الجمل وصفين والنهروان، وكان لنشأته مع ابني عمه الحسن

والحسين عليهما السلام أثره البالغ في سلوكه وتربيته الرسالية، وتحمله مسؤولية السفارة بين الحسين عليهما السلام، وأهل الكوفة.

وقد كانت زوجته رقية الصغرى بنت أمير المؤمنين عليهما السلام مع الحسين عليهما السلام في ركبته مع بنتها وأولادها الذين استشهدوا في واقعة الطف وبعدها. ولعلّ ميزاته الشخصية الفريدة جعلت الإمام عليهما السلام يرى فيه الشخص المؤهل الوحيد القادر على القيام بالمهمة التي قام بها.

لقد ذكر المؤرخون: وتلاقت الرسل عند الحسين عليهما السلام، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن أمر الناس، ثم كتب مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكانا آخر الرسل:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين أما بعد: فإن هانياً وسعيداً قدما علي بكتبكم وكان آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة جلکم انه ليس علينا امام فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت اليكم اخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته ان يكتب إلي بحالكم وامركم ورأيكم فان كتب إلي انه قد اجمع رأي ملاكم وذوي الحجج منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم وقرأت في كتبكم اتقدم عليكم وشيكاً انشاء الله، فلعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام»^(١)

ثم دعا مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس بن مسهر الصيدائي، وعمارة ابن

(١) الارشاد، ٣١٠، تاريخ الطبري ١٩٧: ٦.

عبيد الله السلولي، وعبدالرحمن بن عبد الله الكدن الارجبي فامره بتقوي الله وكتمان امره، وقد أوصاه قائلاً: «إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتي فعجل عليّ بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى»^(١).

لقد بعثه إلى الكوفة ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتماً وأمرأ حازماً محكماً بعث له ليركب في أهله وذويه ويأتي الكوفة، وقد مضى مسلم في مهمته دون أن يتردد أو يجبن^(٢).

مسلم في بيت المختار الثقفي

وأقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن عبيدة، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام، فيبكون، ويعدونه من أنفسهم القتال والنصرة^(٣) وكان اختيار مسلم لدار المختار صائباً وموفقاً، فالمختار من الشخصيات النادرة القوية التي التزمت خط أهل البيت عليه السلام، بالإضافة إلى مصاهرة المختار لوالي الكوفة النعمان بن بشير حيث كان زوجاً لعمرة بنت أبي عبيدة مما يجعله في مأمن من الوالي ما دام مقيماً في دار صهره^(٤).

(١) تاريخ الطبري ٦: ١٠٨، الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٦، بحار الأنوار ٤٤: ٣٣٤.

(٢) راجع ابن كثير ٨: ١٥٤، وبحار الأنوار ٤٤: ٣٣٥.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٢٧٩، الكامل في التاريخ ٣: ٢٦٧، الإرشاد: ٢٢٦.

(٤) حياة المختار للخرطوبلي: ٦٣.

وقد أُلقيت الخطب الحماسية أمام الوفود التي جاءت لتقديم البيعة، وكان الخطباء بمستوى أقوالهم، فقال عابس بن أبي شبيب الشاكري موجهاً الخطاب لمسلم: «فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله لأحدثنك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتهم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله».

وقد اختلف المؤرخون حول عدد الذين بايعوا مسلم للإمام الحسين عليه السلام، فذكر أغلبهم أنهم كانوا ثمانية عشر ألفاً، وهو عدد كبير يشكّل جيشاً قوياً لو أنهم استمروا على مواقفهم خلف مسلم. لذلك كتب مسلم إلى ابن عمه الحسين عليه السلام في رسالة له، وهو يقول فيها: «أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإن الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام»^(١).

ومضت الدعوة إلى الحسين عليه السلام تتسع في الكوفة وجوارها، وأصبح الناس يهتفون باسمه حتى ضاق الأمر على النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة، وعندها كتب أنصار الأمويين إلى يزيد بن معاوية بالشام، وعرفوه إقبال الناس على مسلم ودعوته، وبيعة الحسين عليه السلام، وضعف الوالي النعمان، فجمع يزيد أنصاره ومستشاريه وعلى رأسهم سرجون الرومي، وسألهم ما العمل؟ فأشاروا عليه بتولية عبيد الله بن زياد وعزل النعمان بن بشير^(٢).

(١) راجع الإرشاد: ٢٠٥، تاريخ الطبري ٣: ٢٩٠.

(٢) أنساب الأشراف، وعنه في أعيان الشيعة، ١: ٥٨٩.

دخول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة

خرج عبيد الله بن زياد من البصرة، وأقبل إلى الكوفة حيث عُيِّن والياً عليها بدلاً من الوالي السابق النعمان، ولما قدم ابن زياد الكوفة انفضَّ أنصار مسلم بن عقيل من حوله، لأن ابن زياد استخدم بحكم نفسيته الخبيثة التهيب تارة والترغيب أخرى، واستمال الذين في قلوبهم مرض، وأرهب الضعفاء، فتوارى مسلم عن الأنظار وأقام في دار هاني بن عروة متكتماً لا يعلم بوجوده سوى خواص الشيعة، وجاء شريك بن الأعور من البصرة فنزل ضيفاً على هاني، واجتمع بمسلم، وتشاء الصدف أن يمرض شريك وهو في بيت هاني.

مسلم لا يغدر حتى بعدوّه

جاءت الأخبار لابن زياد: أن شريك بن الأعور مريض في بيت هاني فسارع لعيادته ابن زياد لأنَّ شريك بن الأعور كان من كبار الأشراف والوجهاء.

ولما علم شريك أن ابن زياد قادم لاحت بفكره خطة فقال لمسلم بن عقيل: إن غايتك وغايتي هلاك الظالمين وهذا عبيد الله قادم لزيارتي فاقتله وأرح البلاد والعباد من جوره، فقال مسلم: وكيف ذلك؟ فقال شريك: أقم في هذه الخزانة - وأشار بيده إلى خزانة في الحائط - حتى إذا دخل ابن زياد وأخذ في الحديث أخرج أنت إليه فاقتله وأرح الناس من شره، وضع يدك على زمام الحكم ريثما يحضر مولانا الحسين عليه السلام.

اختبأ مسلم في الخزانة، دخل ابن زياد منزل هاني بن عروة وجلس

بالقرب من شريك وراح يستفسر عن صحته، وكانت عين شريك ترمق الخزانة بين الحين والآخر يتوقع خروج ابن عقيل شاهراً سيفه يضرب ابن زياد ضربة واحدة ويقتله، لكن طال الانتظار ولم يخرج مسلم، فنادى شريك بأعلى صوته:

ما الانتظار بسلمي لا تحيها

فإن أحست سلمي منك داهية

حيوا سلمي وحيوا من يحيها

فلست تأمن يوماً من دواهيها

ثم صاح شريك بصوت رفيع لسمع مسلماً: اسقونيها ولو كان فيها حتفي.

وأحسَّ ابن زياد بالمؤامرة وخرج من دار هاني، ثم التفت شريك إلى مسلم بن عقيل وقال له معاتباً: بالله عليك يا ابن عقيل ألا أخبرتني لماذا لم تقتله؟ وما الذي منعك من قتله؟ فقال مسلم منعني خلتان: الأولى، حديث علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ «إِن إِيمَانَ قَيْدِ الْفَتْكِ فَلَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ...»، والثاني: امرأة هاني، فإنها تعلقت بي وأقسمت عليّ بالله أن لا أفعل هذا في دارها، وبكت في وجهي^(١).

فكان مسلم صلباً في دينه وعقيدته، فهم الإمامة كما أنزلها الله، وعرف إن الغدر ممقوت عند أهل البيت عليه السلام حتى في حق الفاسق الفاجر، ولم يعهد من أهل بيت النبي ﷺ غدر حتى في حق أعدائهم، فأمر المؤمنين عليه السلام كان

(١) مثير الأحزان: ١٤.

يقول: «لولا كراهية الغدر لكنت أدهى العرب»^(١).

ثم استطاع ابن زياد العثور على موضع اختفاء مسلم بواسطة جواسيسه، فقبض على هاني بن عروة الذي كان يخفيه في داره، فاضطرّ مسلم إلى إعلان ثورته قبل موعدها المقرّر، وحاصر ابن زياد في قصر الإمارة وكانت الخيانة، فانقلب الأشراف والرؤساء الذين عظمت رشوتهم وملئت جيوبهم من الدرهم والدينار، فمالوا إلى جانب ابن زياد وخذلوا مسلماً.

مسلم في دار طوعة

استطاع ابن زياد من السيطرة على أوضاع الكوفة بالإغراء والوعيد، وفرض عليها من الخوف والرعب، فتفرق أصحاب مسلم من حوله، وظل وحيداً غريباً بالكوفة بلا مأوى، فما زالوا يتفرقون حتى لم يبق من الأربعة آلاف الذين كانوا معه إلا ثلاثمائة رجل، ولما أمسى المساء صلّى مسلم بن عقيل المغرب والعشاء بالمسجد فلم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً، ولما خرج من المسجد لم يبق معه غير عشرة نفر، وبعد برهة رأى خلفه وإذا به وحيداً ليس معه أحد يدّله على الطريق، مشى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، واستبد بمسلم العطش والتعب، حتى وصل إلى باب دار امرأة يقال لها طوعة، فاتجه نحوها وقال لها: السلام عليك يا أمة الله. فردّت طوعة بلطف وأدب: وعليك السلام يا عبد الله.

فقال مسلم: يا أمة الله هل لك أن تسقيني شربة ماء؟

(١) وسائل الشيعة ٢: ٢٤٥.

أجابت طوعة: حباً وكرامة، ودخلت الدار بسرعة وجاءت بالماء، فشرب مسلم، ثم جلس ليستريح، فقالت له طوعة باستنكار: يا عبد الله قم فاذهب إلى أهلك، فإنه لا يصحّ لك الجلوس على باب داري.

عندها قام مسلم وقال: يا أمة الله ما لي في هذا البلد أهل ولا عشيرة فهل إلى أجر ومعروف؟ ولعلّي أكافئك به بعد هذا اليوم.

فقالت طوعة بدهشة وتعجب: يا عبد الله ما هذه المكافأة وكيف ذلك؟ فقال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل من آل بيت رسول الله وأنا سفير الحسين إلى أهل الكوفة.

ولما سمعت بذلك رحبت به وامتلاً قلبها سروراً، وأدخلته بيتاً غير الذي يأوي إليه ابنها وعرضت عليه الطعام فأبى.

ولما وافى ابنها المنزل ورآها تكثر الدخول لذلك البيت استراب منه فاستفهمها عنه فأعرضت وألحّ عليها فلم تخبره إلا بعد أن أخذت عليه العهود لا يعلم أحداً بمن في البيت فبات الغلام فرحاً بجائزة ابن زياد^(١).

وما كاد الصبح يتنفس حتى أسرع ولدها إلى القصر وأخبر بمكان مسلم، وفور وصول النبأ إلى ابن زياد أرسل قوة كبيرة إليه، وما أن سمع مسلم بالضجة حتى أدرك أن القوم يطلبونه، فخرج إليهم بسيفه وكانوا قد طوّقوا الدار من كل جهاتها فانهزموا بين يديه وهم أكثر من مائتي مقاتل، وبعد معركة ضارية بينه وبينهم في الشوارع استعملوا فيها النار والحجارة من أعلى السطوح استسلم لهم بعد أن أئمنه ابن الأشعث وأعطاه العهود.

(١) مقاتل الطالبين: ٤١.

شهادة مسلم ابن عكيل

قبض ابن الأشعث على مسلم وأخذه إلى قصر الإمارة فأدخل على ابن زياد ولم يسلم عليه وجرى بينهما حوار طويل، ثم أمر ابن زياد جلاوزته أن يصعدوا به إلى أعلى القصر، فصعدوا به إلى أعلاه، فكان يتوجه بوجهه إلى جهة مكة ويبكي، ف قيل له: أتبكي خوفاً من الموت، فقال: لا والله، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي لحسين وآل حسين، ثم امر ابن زياد أن يقتلوه ويرموا جسده إلى الناس ويسحبوه في شوارع الكوفة ثم يصلبوه إلى جانب هانيء بن عروة، فلما ارادوا أن يفعلوا ذلك طلب مسلم أن يصلي ركعتين ولما صَلَّى توجّه نحو المدينة قائلاً: «السلام عليك يا ابا عبد الله» وبينما أهل الكوفة وقوف عند القصر يترقبون مسلم وإذا بجسمه قد القي من أعلي القصر وشُدَّ بحبل هو وهاني وجعلوا يجرّان في الشوارع والأسواق، وكان ذلك يوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) سنة ٦٠ للهجرة.

بكتك دماً يا ابن عم الحسين

مدامعُ شيعتك السافحه

أتقضي ولم تبكك الباقيات

أمالك في المصر من نائحه

رموك من القصر إذ أو ثقوك

فهل سلمت فيك من جارحه

وسحباً تجرُّ بأسواقهم

أست أميرهم البارحه

وكم طفلة لك قد أعولت
وجمرتها في الحشي قاده
يعززها السبط في حجره
وتغدو في غربة فاده
مسح الحسين برأسها فاستشعرت باليتم وهي علامة تكفيها
لم يبكها عدم الوثوق بعمها
كلا ولا الوجد المبرح فيها
لكنها تبكي مخافة أنّها
تسي يتيمة عمها وأبيها

الليلة السادسة

الصحة والصدقة في الإسلام

قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يُنَوِّلُ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(١).

قال الإمام الحسين عليه السلام، ليلة عاشوراء: «أما بعد فإنني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرُّ ولا أوصل ولا أفضل من أهل بيتي...»^(٢).

خلق الله تعالى الإنسان، وفطره على التآلف والتحابب بين أفراد نوعه، فهو دائماً يميل إلى تكثير العلاقات والروابط فلا يتمكن المرء أن يعيش بعيداً وبمعزل عن الناس، وقد جاءت الأديان السماوية لتؤكد على نداء الفطرة،

(١) الفرقان: ٢٧-٢٨.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٣٣٥، إعلام الوري: ٢٣٧.

وتربط بين أفراد المجتمع ، وتوطّد الروابط والعلاقات بينهم .

ولقد حتّ الإسلام كثيراً على أنّه ينبغي للمؤمن أن يتخذ الأخ والصديق ، ويسعى جاهداً لتكثير الأصدقاء ، وأن من سعادة المؤمن الظفر بأكثر عدد ممكن منهم ، قال الإمام علي عليه السلام : « أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان ، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم »^(١) ، بل في جملة من الأخبار أن ذخيرة المرء في الدنيا الصديق ، ومن لا صداقة له كان خاسراً ، ولا ذخره ، كما جاء عن الإمام علي عليه السلام : « من لا صديق له لا ذخره »^(٢) ، وعلى ما ذكرناه نعرف أن الإسلام يحث حثاً شديداً على إقامة الروابط والعلاقات بين أفراد الإنسان .

وفي قبال ذلك نجد الآيات والروايات تؤكد على ترك صحبة الفساق وأهل الذنوب والمعاصي ، وكم لاحظنا في مجتمعاتنا ، أن هناك بعض الناس ممن رافق أهل المعاصي فابتلي بها ، وفي هذا المجال يخبر القرآن الكريم عن ندم أقوام لأنهم اتبعوا من أضلهم عن السبيل والصراط المستقيم ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعْزُزُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْيلاً ﴾ ﴿ يَوْمَ لَقِيَ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَا خَلِيلاً ﴾ ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾^(٣) ،

وقد ورد الكثير من الأخبار التي تحذّر من صحبة الأشرار ، فعن الإمام علي عليه السلام : « احذر مصاحبة الفساق والفجار والمجاهرين بمعاصي الله »^(٤) ،

(١) بحار الأنوار ٧٤: ٢٧٨ ح ١٢ .

(٢) غرر الحكم: ح ٨٧٦٠ .

(٣) الفرقان: ٢٧-٢٩ .

(٤) غرر الحكم: ح ٢٦٠١ .

وعن الإمام الجواد عليه السلام: «إِيَّاكَ وَمَصَاحِبَةَ الشَّرِّيرِ، فَإِنَّهُ كَالسِّيفِ الْمَسْلُوكِ يَحْسُنُ مَنْظَرَهُ، وَيَقْبَحُ أَثَرُهُ»^(١).

معنى الصداقة وصفات الصديق

ربما يكون للوهلة الأولى يعتبر معنى الصداقة من توضيح الواضحات، ولكن الأمر ليس كذلك، فإنه حينما ننظر إلى طائفة من الأحاديث الشريفة، نجد قد رسمت وعينت مواصفات للصديق الحقيقي، وحذرت من تجاوزها كالتصادق على حقوق المودة والنزاهة عن الخيانة... وغيرها، ففي حديث الصادق عليه السلام في بيان سبب تسمية الإخوان والأصدقاء، قال: «إِنَّمَا سَمَّوْا إِخْوَانًا لِنَزَاهَتِهِمْ عَنِ الْخِيَانَةِ، وَسَمَّوْا أَصْدِقَاءَ لِأَنَّهُمْ تَصَادَقُوا عَلَى حَقُوقِ الْمُدَّةِ»^(٢)، ومن الواضح أنَّ الحديث ليس بصدد بيان تمام معنى الصداقة، وإنما يشير إلى بعد من أبعادها، وهناك مواصفات أخرى ذكرتها الروايات، ينبغي على المؤمن أن لا يتخذ صديقاً حتى يجد فيه تلك المواصفات:

أ- أن يكون الصديق عاقلاً: ينبغي على المؤمن إذا أراد أن يتخذ صديقاً، أن يختار العاقل والحكيم في رأيه وفعله، فإن من تزين بالعقل، واتصفت أفعاله وآراؤه بالعقلانية، ينفع المؤمن في مواقع الحيرة والتردد، فعن الإمام علي عليه السلام: «صَاحِبُ الْعَاقِلِ وَجَالِسُ الْعُلَمَاءِ، وَاغْلِبَ الْهَوَى تَرَفَّقَ الْمَلَأُ الْأَعْلَى»^(٣)، و عنه عليه السلام: «عَدُوُّ عَاقِلٍ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ أَحْمَقٍ»^(٤)، لأنَّ مرافقة

(١) بحار الأنوار ٧٤: ١٩٩ ح ٣٦.

(٢) مستدرک الوسائل ٨: ٣٣١.

(٣) غرر الحكم ح ٥٨٣٧.

(٤) بحار الأنوار ٧٨: ١٠ ح ٦٨.

الأحمق توجب التعب، وتنعكس آثارها أمام المجتمع عليك، لأنه في غالب الأحيان لا يدرك ما يحسن مما يسوء، فقد يكون من نيته الاحسان اليك، فيكون ذلك إساءة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك»^(١).

ب - أن يكون الصديق مؤمناً: ومما ينبغي أن يتوفر في الصديق الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فإن هذه الأوصاف من شأنها أن تنعكس على صديقه بكثرة المخالطة والمجالسة، فإن من طبع الإنسان أنه إذا أنس بشخص أنس بأفعاله وسيرته وأخلاقه وسجاياه، ومن هنا أكدت الروايات على هذه الخصوصية، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه»^(٢)، وعن الإمام علي عليه السلام: «المعين على الطاعة خير الأصحاب»^(٣).

ج - أن يكون الصديق ذا خلق حسن: لا بد يكون الصديق ذا أخلاق رفيعة، وسجية كريمة، فإن صاحب الخلق الحسن يطمئن إليه العقل، وتميل وترتاح إليه النفس، مع ماله من سمعة طيبة في المجتمع تنعكس على سمعة من يصاحبه، ذلك لتأثير الصديق بشكل مباشر على أخلاق صديقه، ومن هنا فللصدقة أثر عميق على أفراد المجتمع، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال»^(٤).

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ٧٧: ١٦٤ ح ٢.

(٣) غرر الحكم ح ١١٤٢.

(٤) مستدرک الوسائل ٨: ٣٢٧.

هذه أهم خصائص الصديق، وهناك صفات أخرى ماثورة في الأخبار، تركنا ذكرها اختصاراً.

آثار الصداقة في الدنيا والآخرة

لا شك في أنّ كل عمل يقوم به الإنسان له آثار تنعكس وتظهر في حياته الفردية والاجتماعية، فجميع الأعمال السيئة التي يرتكبها الإنسان تظهر آثارها على حياته الدنيوية والأخروية، وكذا الأعمال الحسنة إذا قام بها الإنسان تظهر آثارها الخيرة على حياته، والصداقة هي واحدة من تلك الأعمال الحسنة التي تظهر آثارها على حياة الفرد والمجتمع، وفيما يلي ذكر بعض تلك الآثار:

١- **الصداقة تلاحم وتعاضد:** إنّ من المبادئ التي ينادي بها الإسلام، ويدعو إليها العقل، الوحدة والتلاحم بين أفراد المسلمين والمجتمعات الإسلامية، فكم من الآيات والروايات طلبت من المسلمين جميعاً تحقيق هذا المبدأ، والالتفاف حوله، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّفَقَى﴾^(٢) وقال: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣)، إلى غير ذلك من الآيات المؤكدة على الاجتماع والتعاضد والتلاحم بين أفراد المسلمين، والإبتعاد عن التفرقة والتنازع، وكذلك كم أكد النبي ﷺ على هذا المبدأ، فقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى بعضه تداعى سائرُه بالسهر والحمى»^(٤).

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) المائدة: ٢.

(٣) الأنفال: ٤٦.

(٤) بحار الأنوار ٦١: ١٥٠ ح ٢٩.

ولعلّ أهم منهج يحقق هذا المبدأ المهم هو الصداقة، فإنّ بالصداقة تحصل المحبة والألفة، ولذلك قال علي عليه السلام: «الأصدقاء نفس واحدة في جسوم متفرقة»^(١).

٢- الصداقة، منهاج الصلاح: لقد جاء الإسلام ليصلح المجتمع بأفراده، نسائه ورجاله، صغاره وكباره، فالإسلام هو منهاج الصلاح والفلاح لجميع أفراد البشر، ويتحقق الصلاح في أن يوطّن الإنسان عقله لقبول عقائد الإسلام ونظرياته، عبر الأدلة والبراهين الصحيحة، وأن يوطّن روحه ونفسه فيقبل على العبادة، والعمل وفق الدستور الإلهي، والصداقة بين المؤمنين والأخير توجب انتشار الصلاح في المجتمع، ويكثر الصواب والصحة في أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أكثر الصلاح والصواب في صحبة أولي النهى والألباب»^(٢).

٣- آثار الصداقة في الآخرة: من أهم آثار الصداقة في الآخرة شفاعة الصديق لصديقه، فلقد أعطى الله تعالى الحق لبعض البشر ليشفع في عباده، فأعطاهم للأنبياء والأئمة عليهم السلام وللشهداء وللمؤمنين، وأيضاً أعطاهم للصديق، ومن هنا فإن أهل النار يندمون أنه ليس لهم صديق حميم يشفع لهم، حيث قالوا كما أخبر عنهم الله تعالى بقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾^(٣).

(١) غرر الحكم: ج ١٦٦٩.

(٢) غرر الحكم: ج ٤٢٩.

(٣) الشعراء: ١٠١، ١٠٠.

من حقوق الصديق

عن الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «أما حق صاحب،
فأن تصحبه بالتفضل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك، ولا تدعه يسبق إلى
مكرمة، فإن سبق كافأته، وتودّه كما يودك، وتزجره عما به من معصية،
وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً»^(١)، وعنه عليه السلام: «حق الخليط أن لا
تغره ولا تغشه ولا تخدعه، ...»^(٢).

وبهذا نعرف أن الصداقة ليست قضية أهوائية، ولا جعلت للتسلي،
وإنما هي صداقة هادفة يطالب من خلالها الأصدقاء أن يتكاملوا في سلوكهم
العملي، ومن هنا كان مفهوم الصداقة مقدساً في الإسلام، بل لعله من أعظم
الروابط قداسةً بعد الارتباط بالله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام والوالدين والأرحام
والأعلام.

إختبار الصديق

لا يمكن لأي أحد أن يدرك صدق الصديق وإخلاصه، إلا بعد أن يمتحنه
ويختبره، فكم من الأشخاص كانوا مغرورين بأصدقائهم، ولكن سرعان ما
خذلوهم وتركوهم بمجرد أن احتاجوهم، ولهذا فالأولى قبل أن يتخذ الإنسان
صديقاً أن يدخله في اختبار، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا
تشق بصديق قبل الخبرة»^(٣)، وقد ورد في الأخبار جملة من الطرق لإمتحان

(١) بحار الأنوار ٧٧: ١٦٤ ح ٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٢٣.

(٣) غرر الحكم: ح ١٠٢٥٧.

الصديق أهمها ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « يمتحن الصديق بثلاث خصال، فإن كان مؤاتياً فيها فهو الصديق المصافي، وإلا كان صديق رخاء لا صديق شدة: تبتغي منه مالا، أو تأمنه على مال، أو تشاركه في مكروه»^(١)، وعن الصادق عليه السلام: «لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها، وإلا فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة، فأولها: أن تكون سريره وعلايته لك واحدة، والثانية: أن يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالثة: أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال، والرابعة: لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته، والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال: أن لا يسلمك عند النكبات»^(٢)

وهناك طرق أخرى لإختبار الصديق، فقد يجد الإنسان طريقة تناسب مع صديقه يمكن أن يقوم باختباره بها وتنجح في بيان حاله، وقد اكتفينا بذكر هذه الروايات على سبيل المثال.

الحسين عليه السلام يختبر أصحابه

ومن أعظم مصاديق الصداقة، أصحاب أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً أصحاب الإمام الحسين الذين وقفوا معه في عرصات كربلاء، وقد اجتمعت فيهم صفات الصداقة من العلم والحلم والإيمان الصادق والعقل السليم والأخلاق الحسنة وأهم من كل ذلك وهي التي تجمع تلك الخصال، هو عدم خذلان إمامهم عند الضيق وساعة النكبة، حيث يروى أن زينباً عليها السلام خشيت

(١) تحف العقول: ٣٢١.

(٢) بحار الأنوار ٧٨: ٢٤٧ ح ١٠٨.

خذلان الأصحاب عند ساعة النكبة والعسرة، فقالت لأخيها الحسين عليه السلام: «هل اختبرت أصحابك»، فقال عليه السلام: «لقد اختبرتهم فما وجدت فيهم إلاّ الأسد الأشعث يرغبون في المنية دوني»، وحقّاً سَطَّروا بدمائهم أروع وأعظم روابط الصداقة والولاء لإمامهم الحسين عليه السلام، وأهل بيته عليهم السلام.

ما رأيت أصحاباً أبرّ وأوفى من أصحابي

هذه الكمة قالها الإمام الحسين عليه السلام، في حق أصحابه، ثم إنّ أحد كبار العلماء كان يشكك في نسبة هذا القول إلى الإمام الحسين، وكان يستدل على عدم تصديقه ذلك النص بقوله: «إني كلما فكرت مع نفسي توصلت إلى أن أصحاب الحسين لم يقوموا بعمل جليل، بل إن عدوهم هو الذي اظهر خسة وضعة إلى أقصى حدّ، فالإمام الحسين هو سبط النبي وريحانة، وهو أبن علي والزهراء، وهو إمام عصره، وهو وهو... ولذا فمن الطبيعي أن ينصر الحسين أي مسلم يراه في ذلك الوضع، فأولئك الذين نصروه لم يظهروا شجاعة فائقة، وخارقة للعادة، بل إن الذين حاربوه هم الذين كانوا سيئين جداً»، ويستطرد هذا العالم الكبير قائلاً:

«ويبدو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن ينقذني من هذه الغفلة والجهالة والضلالة، فرأيت في عالم الرويا وكأني حاضر في وقعة الطف، فأعلمت الإمام الحسين باستعدادي لنصرته، إذ ذهبت إليه وسلّمت وقلت: يا ابن رسول الله أتيت ملبياً لندائك لأكون من أنصارك.

فقال عليه السلام: «إذا فانتظر أمرنا»... ثم حل وقت الصلاة.

فقال عليه السلام: «نحن نريد إقامة الصلاة، فقف أنت هنا كي تحول دون وصول سهام العدو إلينا، حتى نتم الصلاة».

فقلت: أفعل يا ابن رسول الله، فشرع بالصلاة ووقفت بحيث أحجبه عن أعدائه، وبعد هنيهة رأيت سهماً ينطلق بسرعة نحوي، فلما اقترب طأطأت رأسي دون إرادتي، فإذا بالسهم يصيب الإمام، فقلت: استغفر الله وأتوب إليه، ما أقبح ما فعلت، ولن أسمح بعد هذا لتكرار مثله، وبعد هنيهة أخرى أتى سهم ثان، فحدث مني ما حدث في المرة الأولى، وأصيب الإمام ثانية بسهم آخر، وتكرر الحال الثالثة ورابعة، والسهم تصيب أبا عبدالله وأنا لا أمنعها من الوصول إليه، فحانت مني التفاتة فرأيت الإمام ينظر إليّ مبتسماً، ثم قال: «ما رأيت أصحاباً أبر وأوفى من أصحابي...»^(١).

من مواقف اصحاب الحسين عليه السلام

قال الإمام زين العابدين: «عندما جمع الحسين أصحابه قرب المسا، فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: «...أما بعد فإنني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل ولا أفضل من أهل بيتي، فجزاكم الله عتي خيراً، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإنّ القوم يطلبوني ولو قد

(١) الهجرة والجهاد (كتيب للشهيد مطهري).

أصابوني للهوا عن طلب غيري»^(١)

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابننا عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك؟! لنبقي بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العباس بن علي وتابعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه .

فقال الحسين عليه السلام: «يا بني عقيل حسبكم من القتل فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم».

قالوا: سبحان الله، فما يقول الناس لنا؟ يقولون تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومنا خيراً الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله لا نفعل ذلك، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في اداء حقك، أما والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي، ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقد فتهم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيى ثم أقتل ثم أحرق ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإتما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة العظمى التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين فقال: والله لوددت أنني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة، وأن الله جلّ وعزّ يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن

(١) الإرشاد للمفيد: ٣٣٥، إعلام الوری: ٢٣٧.

أنفس هولاء الفتيان من أهل بيتك.

وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد، فقالوا:
والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، فنقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا،
فإذا نحن قتلنا كُتِّنا وقُضينا ما علينا.

نعم صدقوا ما عاهدوا الله عليه ففي يوم عاشوراء فدوا أنفسهم للامامهم
واهل بيته وعندما استشهدوا جميعاً وقف الإمام الحسين عليه السلام عليهم واخذ
يبكي ويندبهم: ياكرام القوم ما لي أناديكم فلا تجيبون، وأدعوكم فلا تسمعون

لَمَّا رَأَى السَّبْطُ أَصْحَابَ الْوَفَا قَتَلُوا نادى أبا الفضل أين الفارس البطلُ
وأين من دوني الأرواح قد بذلوا بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا

وخلّفوا في سويدا القلب نيرانا

سألت ربع الندى والدّمع ينهملُ عن معشرٍ ههنا عهدي بهم نزلوا
أين استقلّوا عن الأوطان وانتقلوا بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا

وخلّفوا في سويدا القلب نيرانا

احبائي لو غير الحمام اصابكم عتبت ولكن ماعلى الموت معتب
إلى الله أشكوا إلى الناس أشتكى على الأرض ابقى والأخلاء تذهب

الليلة السابعة

الولاء الحقيقي لأهل البيت عليه السلام

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)

عن الإمام الباقر عليه السلام: «بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية»^(٢).

ولاية أهل البيت عليه السلام

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية». قال زرارة: قلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال عليه السلام: «الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن»، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال عليه السلام: «الصلاة»؛

(١) النساء: ٥٩

(٢) الكافي ٢: ١٨، ح ٣.

إن رسول الله ﷺ قال: الصلاة عمود دينكم»، قال: قلت: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال عليه السلام: «الزكاة لأنه قرن بها وبدأ بالصلاة قبلها وقال رسول الله ﷺ: الزكاة تذهب الذنوب». قلت: والذي يليها في الفضل؟ قال عليه السلام: الحج، قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، وقال رسول الله ﷺ: «الحجة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة، ومن طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه اسبوعه واحسن ركعتيه غفر الله له، وقال في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال»، قلت: فماذا يتبعه؟ قال عليه السلام: الصوم، قلت: وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع؟ قال عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: الصوم جنة من النار». قال (زرارة): ثم قال الامام: «إن أفضل الاشياء ما إذا فاتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤديه بعينه؛ إن الصلاة والزكاة والحج والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها، وإن الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أديت مكانه اياماً غيرها وجزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك، وليس من تلك الاربعة شيء يجزيك مكانه غيره». قال زرارة: ثم قال الامام: ذروة الامر وسنانه ومفتاحه وباب الاشياء ورضا الرحمن، الطاعة للامام بعد معرفته؛ إن الله عز وجل يقول: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾^(٢) أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه ولا كان من اهل

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) النساء: ٨٠.

الايمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته^(١). ولا بد أن نلتفت هنا إلى أن عبادة الجهاد هي فرع من فروع ركن (الولاية) الذي ورد في الحديث انه مما بني عليه الإسلام، كما هو الحال في فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يمكن ارجاع الخمس إليها إذا لم نلحقه بالزكاة لان القرار في الجهاد وكذلك في نظام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المرجع والمالكية في الخمس هو (الولاية).

إن من أهم شعب الإيمان مسألة التولي للإمام والتبري من أعدائه، ولذا فقد ورد الحث المؤكّد من النبي ﷺ والأئمة على هذه المسألة المهمة، حتى انعكس هذا الأمر على زيارتنا لهم، فلقد جاء في الزيارات عموماً القول: «إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم، ووليّ لمن والاكم، وعدوّ لمن عاداكم إلى يوم القيامة»، فأصبحت مسألة التولي للإمام والتبري من أعدائهم من ضروريات المذهب، وإنّ هذا الولاء لأهل البيت يحمل معاني ثلاثة، الولاء العاطفي، والولاء العقائدي، والولاء العملي:

أولاً - الولاء العاطفي لأهل البيت عليه السلام

من أهم أنحاء الولاء لأهل البيت عليه السلام أن تكون عواطف الإنسان المؤمن منساقة إليهم، فيمتلئ قلبه حباً لهم، ذلك أن أساس العمل والطاعة الحب، والود، وقد أمر الله تعالى عباده بمودتهم في كتابه العزيز في قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢)، إذ يروى أن أصحاب النبي ﷺ المهاجرين منهم والأنصار، كانوا يتذاكرون منازل بالنبي من أذى وتعب في سبيل تبليغ الإسلام

(١) الكافي ٢: ١٨، ح ٣ و ٥.

(٢) الشورى: ٢٣.

وإيصال الهداية لهم، فقرروا أن يجمعوا له قسطاً من أموالهم ويقدموها له مقابل ما بذله لأجلهم، وفعلاً جمعوا المال وطرحوه بين يدي رسول الله ﷺ، وعند ذلك نزل جبرئيل عليه السلام، بآية المودة وأخبر النبي ﷺ: «ان المولى تبارك وتعالى جعل مودة أهل بيته أجراً للرسالة».

وفي هذا الصدد يقول النبي ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أعز إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته»^(١).

ثانياً - الولاء العقائدي لأهل البيت عليه السلام

من الواضح أن الإسلام على قسمين: عقائد وأحكام، فالأصول العقائدية هي التي يعقد عليها المؤمن قلبه وعقله، وهي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد الجسماني، وأما الأحكام الفرعية، فهو ما يصطلح عليه بـ (فروع الدين)، وهي كالصلاة والصيام والزكاة والحج...، وقد نهى الإسلام أن يأخذ الإنسان المسلم عقائده من أي أحد وكيف اتفق، بل عليه أن يركن إلى ركن ركين ونبع ونهر صاف، وليس ذلك إلا أهل البيت عليه السلام، ومن هنا جاء الأمر باتباعهم وأن من يتركهم ويتعد عنهم سيغرق في ظلمات الجهل والضلال، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق»^(٢)، فالنجاة مقرونة بأهل البيت عليه السلام، كما أن الغرق والضياع بتركهم وعدم الأخذ من علومهم ومعارفهم.

(١) علل الشرائع: ١٤٠ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٨: ٢٥١ ب ٤.

ونقرأ في دعاء شعبان: «اللهم صل على محمد وآل محمد الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها، المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق»^(١).

ونقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: «من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم»^(٢).

فإذاً، من يوالي الأئمة عليهم السلام عليه أن يأخذ عقائده منهم، ويسلم قلبه وفكره وعقله إليهم، وهذا النحو من الولاء هو ما يطلق عليه الولاء العقائدي، وهو من أهم أنواع الولاء، لأنه بواسطته يعرف العبد ربه ونبيه عليه السلام وإمامه وآخرته، ومن هنا جاء عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين»^(٣).

ثالثاً - الولاء العملي لأهل البيت عليهم السلام

ونعني به أن يتابع المؤمن أهل البيت عليهم السلام في سلوكهم وأفعالهم، ذلك أن الله تعالى قد عصمهم وطهرهم من كل خطأ وذنوب ونسيان، فكل ما يصدر عنهم حق لا لبس فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٤)، وبعد هذا فنحن نقطع بأن أفعال أهل البيت عليهم السلام وأقوالهم، وكل ما يصدر عنهم موافق لإرادة الله تعالى، ومحقق لمرضاته، وحيث كانوا كذلك أمر النبي باتباعهم والتمسك بهم في نصوص

(١) مفاتيح الجنان: الباب الثاني، الفصل الثاني، في فضل شهر شعبان.

(٢) مفاتيح الجنان: الباب الثالث في الزيارات، من زيارة الجامعة الكبيرة.

(٣) الكافي ١: ٢٠٠.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

كثيرة ومتواترة عند المسلمين جميعاً، منها ما اشتهر بحديث الثقلين، حيث قال ﷺ بعد عودته من حجة الوداع: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١)، فقد وصفهما بعدم الافتراق إلى يوم القيامة، ومن هنا فإن الإمامية لا تناقش في أقوال أهل البيت عليه السلام، ولا تجتهد عليها، بل تنقاد وتسلم إليهم تسليماً، تطبيقاً لأمر الله ورسوله ﷺ.

وبعد هذا العرض نستطيع تلخيص ماضى من معنى الولاء بأنه عبارة عن إتباع أهل البيت عليه السلام عاطفياً وعقائدياً وسلوكياً، فلا يكفي في ولايتهم التوجه العاطفي، وإن كان مهماً ويثاب عليه المرء، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن شيعتنا من شيعنا واتبع آثارنا واقتدى بأعمالنا»^(٢)، وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا».

وبعد هذا فيوجد في التاريخ شخصيات عرفت أهل البيت عليه السلام بهذه المعرفة، واتبعتهم بصدق وإخلاص، ونحن نسلط الأضواء على صاحب المناسبة في هذه الليلة، وهو: أبو الفضل العباس عليه السلام، حيث اتصف بالولاء الصادق لأخيه وإمامه الحسين عليه السلام، بجميع معانيه.

من سيرة أبي الفضل العباس عليه السلام

ولد أبو الفضل العباس عليه السلام في الرابع من شعبان سنة ٢٦ هجرية، كما

(١) وسائل الشيعة ٢٧: ٣٣.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٣٠٧ ح ١٤٩.

ذكره بعض المحققين^(١)، أبوه أمير المؤمنين وسيد الموحدين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وأمه السيدة الجليلة، والمرأة العظيمة، فاطمة بنت حزام الكلابية، الملقبة بـ (أم البنين)^(٢)، تزوجها أمير المؤمنين بإشارة من أخيه عقيل بن أبي طالب الذي كان عالماً بأنساب العرب، فقد قال عليه السلام له: «أنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً». فأشار عليه بها^(٣)، وقد ولدت لأمير المؤمنين أربعة أولاد هم: العباس، وعبد الله، وجعفر، وعثمان، وبهم كانت تكتى (أم البنين)، وقد استشهدوا جميعاً بين أيدي أخيهم الحسين عليه السلام في كربلاء^(٤).

عاش العباس مع أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أربعة عشر عاماً، ومع أخيه الحسن عليه السلام بعد شهادة أبيه عشر سنوات، ومع أخيه الحسين عليه السلام بعد شهادة الحسن عليه السلام عشر سنوات، فكان عمره يوم استشهد حوالي أربعة وثلاثين سنة^(٥).

تزوج من لبابة بنت عبيد الله بن العباس، وولد له منها ولدان هما: عبيد الله، والفضل، وكان عليه السلام عابداً، عالماً، فارساً، طويل القامة، شجاعاً وسيماً، يركب الفرس المطهم^(٦) ورجلاه تخطان في الأرض. كُتبي بأبي الفضل، وأبي القاسم، وله ألقاب عظيمة تكشف عن مكنون

(١) عبدالرزاق المقرّم في كتابه العباس بن علي: ٧٨.

(٢) راجع ما ذكرناه عن حياتها في المجلد الثالث من الموسوعة.

(٣) أعيان الشيعة ٧: ٤٢٩، نقلاً عن عمدة الطالب.

(٤) مقاتل الطالبين: ٨٤.

(٥) الأعيان ٧: ٤٢٩.

(٦) المطهم: الفرس السمين جداً.

شخصيته، وطهارة عرقه، وسموه ونبله، وهي: قمر بني هاشم لجمال صورته، سقاء كربلاء وبطل نهر العلقمي، حامل اللواء و باب الحوائج: لما رآته الشيعة وغيرهم، من استجابة الله تعالى الدعاء تحت قبة قبره^(١)

أجلس أمير المؤمنين عليه السلام ذات مرة في حجره العباس وكان صغيراً وشمر عن ساعديه، وجعل الإمام يقبلهما وهو غارق في البكاء، فسألته أم البنين: ما يبكيك؟ فقال عليه السلام نظرت إلى هذين الكفين، وتذكرت ما يجري عليهما، إنهما يقطعان من الزند، وأخذ أمير المؤمنين يخبرها عما يجري عليه وعلى إخوته في كربلاء^(٢)

من فضائل أبي الفضل العباس عليه السلام

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله بجناحين يطير بهما مع الملائكة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة»^(٣)، وقال فيه الإمام الصادق عليه السلام: «كان عمي العباس بن علي عليه السلام نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أخيه الحسين، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً»^(٤). ومن فضائل أبي الفضل العباس انه لما عُرِضَ الأمان عليه أبى وذاك:

(١) مقاتل الطالبين: ٨٤.

(٢) راجع كتاب العباس بن علي، للمقرّم: ٧٩.

(٣) ذخيرة الدارين: ١٢٣.

(٤) ذخيرة الدارين: ١٢٣.

«لما نادى شمر: أين بنو أختنا؟، فلم يجبه أحد منهم، فقال لهم الحسين عليه السلام: أجيبوه وإن كان فاسقاً، فإنه بعض أحوالكم، فقال له العباس: ما تريد؟ فقال: أنتم يا بنو أختي آمنون. فقال له العباس: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا، وابن رسول الله لا أمان له^(١)».

هذا والعباس قد اتصف بالولاء الحقيقي والصادق لأخيه وإمامه الحسين عليه السلام، بجميع معانيه من الولاء العاطفي والعقائدي والعملي وقد جسّد ذلك في يوم عاشوراء.

العباس عليه السلام والولاء العاطفي

لقد أفرغ العباس عليه السلام عاطفته بكاملها للإمام الحسين عليه السلام، فمنذ خروج الحسين من المدينة، صمم عليه على الالتحاق به، تاركاً عياله وأهله ووطنه، وكان على طول الطريق من المدينة إلى مكة ومنها إلى كربلاء في خدمة سيده، وكان من حبه الكبير للإمام أنه لا يناديه يا أخي، بل دائماً يناديه (يا سيدي)، وختم هذه العاطفة، يوم عاشوراء بمواساته لعطش أخيه الحسين أهل بيته والتي سجلها التاريخ تعظيماً وتقديراً لما في صدره من حب وعشق للإمام، حيث أنه لما ورد ماء الفرات اغترف ليشرب وكان قلبه أشد من الحديد المحماة من شدة العطش، فتذكر عطش الحسين فرمى الماء، ولم يشرب، وأخذ يعاتب نفسه.

(١) أعيان الشيعة ٧: ٤٣٠.

العباس عليه السلام والولاء العقائدي

لم يكن جهاد أبي الفضل عليه السلام بين يدي أخيه الحسين عليه السلام جهاداً عصبياً وعشائرياً، فليس الدافع للقتال هو الاخوة والعلاقة النسبية، وإنما هو الاعتقاد بأن الحسين عليه السلام مفترض الطاعة، وإمام إن قام وإن قعد، وأن القتال بين يديه دفاع عن الدين والعقيدة، وكل القيم الإنسانية، وهذا ما أوضحه العباس عليه السلام في شعره الذي أنشده بعدما قطعوا يمينه، حيث قال:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

العباس عليه السلام والولاء العملي

لقد كان العباس مطيعاً لامامه ومولاه بلا قيد وشرط وجاء في الزيارة المروية: «السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله...» وقد تمثل ذلك يوم عاشوراء في مواقف عديدة منها:

الموقف الأول: إباؤه ترك الحسين عليه السلام: وذلك لما جمع الحسين عليه السلام أهل بيته وأصحابه ليلة العاشر من المحرم، وخطبهم فقال: «أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يريدون غيري...»، قام العباس عليه السلام وقال: «ولم نفعل ذلك

لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك اليوم أبداً»^(١).

الموقف الثاني: إباؤه شرب الماء والحسين عليه السلام عطشان: وذلك لما أقحم العباس في هجومه الأخير فرسه ووصل إلى الماء، وكان قلبه يتفطر عطشاً، ولسانه قد يبس، فغرف غرفة من الماء ليشرب تذكر عطش الحسين عليه السلام فرمى الماء من يده وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا ردتُ أن تكوني
هذا حسين وارد المنون وتشربين بارداً المعين
تالله ما هذا فعال دين ولا فعال صادق اليقين

لقد أبى أبو الفضل العباس عليه السلام أن يربط كبده الماء، ويطفىء به حرارة قلبه، قبل إمامه وسيدته الحسين عليه السلام، فوفاء العباس يحتم عليه أن لا يشرب الماء قبل إمامه وإن مات عطشاً.

ولذا نرى قد جاء في زيارة الحجة #، المنسوبة إليه في حق أبي الفضل العباس: «السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، المواسي أخاه بنفسه الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقى، الساعي إليه بمائه المقطوعة يده، لعن الله قاتليه يزيد بن الرقاد وحكيم بن الطفيل»^(٢).

وكان ولاء العباس عليه السلام لإمامه حتي في اللحظات الأخيرة من عمره وذلك لما جاء أخوه الحسين عليه السلام، إلي مصرعه أخذ برأسه ووضع في حجره وجعل يمسح الدم والتراب عنه، وكأنني بأبي الفضل العباس يبكي ويقول لأخيه

(١) الإرشاد للمفيد: ٣٣٥، إعلام الوري: ٢٣٧، نفس المهموم: ٢٣٠.

(٢) من زيارة الناحية، المنسوبة للإمام الحجة #.

الحسين عليه السلام: يا أخي ويا نور عيني مثلك الساعة جئتني وأخذت برأسي،
وبعد ساعة من يرفع رأسك ويمسح عنه الدم والتراب^(١).

وقام الحسين عليه السلام من عنده محني الظهر وهو ينادي وا أخاه وعباساه
الآن إنكسر ظهري وقلّت حيلتي وانقطع رجائي وشئت بي عدوي.

نادى وقد ملأ البوادي صيحةً صمّ الصّخور لهولها تتألم
أأخي من يحمي بنات محمدٍ إذ صرن يسرّحن من لا يرحم
ما خلتُ بعدك أن تُشَلَّ سواعدي وَ تَكْفَ باصرتي وظهري يُقَصِّمُ

(١) راجع معالي السبطين ٢: ٢٧٤.

الليلة الثامنة

نظرة الإسلام إلى الشباب

قال تعالى:

﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾^(١)

من وصايا النبي الأكرم ﷺ لأبي ذر الغفاري: «يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلِكَ وحياتك قبل موتك...»^(٢)

الإسلام والشباب

تضع الدول والحكومات البرامج والمشاريع بهدف إعطاء الشبيبة دورها وحمايتها من الضياع، وقد خصّصت الأمم المتحدة يوماً خاصّاً بالشباب، أعلنته باسم (اليوم العالمي للشباب)، يحتفل فيه العالم بتاريخ ١٢ آب من كل سنة، ليتذكروا أن الشباب هم المستقبل.

(١) الكهف: ١٣

(٢) وسائل الشيعة ١: ١١٤.

ولا نغالي إذا قلنا أنه لم يهتم دين من الأديان ولا شريعة من الشرائع بالشباب، كما اهتمَّ بهم الإسلام، في مختلف الجوانب: الروحية والأخلاقية والفكرية والجسدية، فقد أكَّدت التعاليم الإسلامية على ضرورة حفظ وصيانة القيم والمفاهيم الإسلامية في الشباب، وترسيخها لتكون أساساً يستند إليه المجتمع الإسلامي في مراحلها المختلفة، حيث جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة»^(١)، وكانت من الفئات المنحرفة عن الإسلام في المجتمع آنذاك.

مراحل عمر الانسان

قد قسَّم العلماء مراحل عمر الإنسان من بعد الولادة إلى أربعة مراحل، مرحلة الطفولة وتبدأ من الولادة إلى البلوغ وهو سنّ الرابع عشر من عمره تقريباً، وسنتحدث عن هذه المرحلة في الليلة الآتية إن شاء الله، ثمّ تبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة الشباب من سن الخامسة عشرة وتكون نهاية مرحلة الشباب سنّ الحادية والعشرين، وبعدها تبدأ المرحلة الثالثة وهي مرحلة الكهولة وتكون نهايتها سنّ الأربعين، ويذكر القرآن إنّ الإنسان يصل إلى مرحلة البلوغ والرشد العقلي في سنّ الأربعين كما صرّحت بذلك الآية التالية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾^(٢). ثمّ تبدأ المرحلة الرابعة وهي مرحلة النقصان مع ظهور الضعف في الجسم وبداية سن الشيخوخة.

(١) التهذيب ٨: ١١.

(٢) الأحقاف: ١٥.

فالإنسان يتخطى هذه المراحل الأربعة من عمره إلى أن يصل إلى أرذل العمر وهو الضعف الذي منه بدأ الحياة لكنه في هبوط وقد أشار القران الكريم إلى هذه المراحل في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(١).

وبداية الخلق من الضعف هو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾^(٢). ثم من بعد الضعف قُوَّة وهو قوله: .. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾^(٣). وهي مرحلة الطفولة والشباب والكهولة، ثم من بعد القوة ضعف وشيبة وهي مرحلة الرابعة من العمر وهي أرذل العمر كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيَلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٤). وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾^(٥).

خصوصيات مرحلة الشباب

قال رسول الله ﷺ: «أولاد سيد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين»^(٦)، إن السنوات السبع الثالثة من العمر تبدأ من سن

(١) الروم: ٥٤.

(٢) الحج: ٥.

(٣) الحج: ٥.

(٤) الحج: ٥.

(٥) يس: ٦٨.

(٦) مكارم الاخلاق: ١١٥.

الخامسة عشرة حيث مرحلة البلوغ والشباب ، وفي هذه المرحلة تظهر تحولات ملحوظة في الجسم والنفس تتغير أفكار الولد ، وتزول مميزات الطفولة ، وتظهر معالم الشباب بوضوح ، وقد وصف الرسول الأكرم ﷺ هذه المرحلة بكلمة (وزير) ، حيث إن الابن لن يكون كما في المرحلة الأولى سيداً على الوالدين ، ولا في المرحلة الثانية عبداً لهما ، وإنما يقوم بدور الوزير في دولة الأسرة ، و(الوزارة) بمعنى المساعدة والتعاون فكراً في التدبير وفي رعاية المصالح ، فعلى الشاب أن يكون معاوناً للوالدين في محيط الأسرة ، يتشاور معهما ويبادلهما الرأي ، فيساعد والديه في تدبير أمور الحياة .

ومن كلمة (وزير) نفهم ونرى بوضوح محدودية حرية الشباب ، لأن (الوزارة) بمعنى المساعدة والتعاون ، فالابن الشاب ، رغم أنه وصل إلى مقام الوزارة في دولة العائلة ، تحترم شخصيته إلا أنه يجب أن لا ينسى أنه (وزير) أي مساعد ومعاون للوالدين ، وهولا يملك الاستقلال والحرية الكاملة ، فالشاب له حق إبداء الرأي في المسائل العائلية ، وأن يساعد الوالدين ، ولكن التصميم النهائي في شؤون العائلة ، يتعلق بالوالدين ، وعليه فإنه في مدرسة الإسلام التربوية يكون الاستقلال محدوداً ولا يمكن أن يكون مطلقاً بدون قيد أو شرط .

تعامل الأبوين مع شبابهم

إنَّ الرسول الأكرم ﷺ باستخدامه كلمة (وزير) في حديثه الشريف ، شَّخص من جهة حالة بروز الشخصية والاستقلال لديه وعزمه كوزير مسؤول

في محيط الدولة الصغيرة (الأسرة)، ومن جهة أخرى أفهم الوالدين أن لا يتصرفا مع شاب اليوم تصرفهم مع طفل الأمس، ولا يتحدثا إليه بإصدار الأوامر بعنف ولا يحتقرا شخصيته، فطفل الأمس كان عبداً مطيعاً أما شاب اليوم فهو وزير ومشاورٌ لهما.

ومع وصول مرحلة الشباب، تبدأ أيام بناء شخصية الشاب، والوالدان اللذان يدركان واجبهما تماماً ويعملان طبق أوامر الرسول الأكرم ﷺ، يحترمان أولادهما ويعتبرانهم وزراء ومشاورين لهما وبذلك يجعلان منهم أصدقاء حميمين ورفقاء وزملاء لهما.

وأما الوالدان الجاهلان فإنهما يقضيان على الحقوق الطبيعية والشرعية لأبنائهما الشبان، كما يدمران عزّة النفس والشخصية لديهم بالإهانة والتحقير والأعمال غير الصحيحة، وبهذه التصرفات السيئة ينثران بذور العداوة والبغضاء في قلوبهم، ويجعلان منهم أعداء لهما، قال الإمام علي عليه السلام: «ولذلك ريحانتك سبعاً وخادمك سبعاً ثم هو عدوك أو صديقك»^(١).

إن الوالدين اللذين يريان أبناءهما بشكل صحيح، تشملهم الرحمة الإلهية، لأنّ نبي الإسلام ﷺ دعا لهم بالرحمة، في قوله ﷺ: «رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما»^(٢)، وفي قوله ﷺ: «رحم الله من أعان ولده على بره وهو يعفو عن سيئته ويدعوله فيما بينه وبين الله»^(٣).

أما الوالدان اللذان يريان أولادهما تربية سيئة، فإنهما يدفعان بهم إلي

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٣٤٣.

(٢) مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٦٢٥.

(٣) بحار الأنوار ٩٨: ١٠٤.

الخطيئة والعدوان فتشملهم لعنة الله عز وجل، قال رسول الله ﷺ: «يا عليُّ لعن الله والدين حملاً ولدهما على عقوقهما»^(١).

إغتتموا فرصة الشباب

لا يخفى على أحد أهمية مرحلة الشباب في حياة الإنسان، إذ فيها تنمو وتزيد قدراته، وهو ما ميّز هذه المرحلة عن سابقتها (مرحلة الطفولة) ولاقتها (مرحلة الكهولة والشيخوخة) ولذلك كانت، ولا زالت، فئة الشباب هي جوهر حركة وازدهار أي مجتمع.

الشباب هو الربيع الوحيد الذي يجرب مرة واحدة في ممر حياة الإنسان ووراء ربيع العمر هذا خريف فلا بد أن نعرف قدر هذه المرحلة ومنزلتها ودورها في نمو الإنسان وحركته نحو الكمال، ومن أجل ذلك جاءت الروايات لتؤكد على أهمية هذه الفترة من عمر الإنسان وكيفية إغتنامها فمن وصايا النبي الأكرم ﷺ لأبي ذر الغفاري: «يا أبا ذر اغتتم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك و.....»^(٢)، وقال مولى الموحدين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الشباب والعافية»^(٣)، وفيما يلي نستعرض أهمية هذه المرحلة من العمر وكيفية إغتنامها تحت العناوين التالية:

(١) بحار الأنوار ١٧: ١٨.

(٢) وسائل الشيعة ١: ١١٤.

(٣) غرر الحكم: ح ٣٢٤.

الشباب وطلب العلم

عن الإمام الصادق عليه السلام: «لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غادياً في حالتين إما عالماً أو متعلماً فإن لم يفعل فرط وضيع، فإن ضيع أثم،...»^(١)، والحث علي طلب العلم في هذا الحديث عام يشمل كل العلوم ومنها العلوم العصرية وفي حديث آخر يحث الامام الشباب ان يتفقهوا في الدين فعن الإمام الباقر عليه السلام: «لو أتيت شاباً من شبان الشيعة لا يتفقه لأدبته»^(٢).

إنَّ أحد أسباب ابتعاد الشاب عن الدين والالتزام بأحكامه، عدم معرفته لها بالشكل الصحيح، ومن هنا ينبغي التركيز على تعليم الشباب معالم دينهم، ومقاصد الشرع وآثار العبادات وحكمها، لنسدّ بذلك الطريق أمام أعداء الإسلام في بث أفكارهم المغرضة.

الشباب والصدقة

في مرحلة الشباب يرغب الشاب أن يصادق أقرانه ويبني لنفسه علاقات مع من في مثل سنه، يفهمونه ويفهمهم، وبتأثير هذا الاتجاه قد يقع الشاب في أشراك من لا يريد له الخير، بل ويسعون لتخريبه فكرياً، وأخلاقياً ولذلك كان من الضروري، اختيار الصديق وفق معايير خاصة أشارت إليها أحاديث المعصومين عليه السلام، ومما ينبغي أن يتوفر في الصديق الإيمان والتقوى والعمل الصالح، وحسن الخلق، والعقل السليم فإن هذه الأوصاف من شأنها أن تنعكس على صديقه بكثرة المخالطة والمجالسة، فإن من طبع الإنسان أنه إذا

(١) بحار الأنوار ١: ١٧٠.

(٢) بحار الأنوار ١: ٢١٤.

أنس بشخص أنس بأفعاله وسيرته وأخلاقه وسجاياه ، ومن هنا أكدت الروايات على هذه الخصوصية، فعن رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه»^(١)، وعن الإمام علي عليه السلام: «المعين على الطاعة خير الأصحاب»^(٢)، وعنه عليه السلام: «صاحب العاقل وجالس العلماء، واغلب الهوى ترافق الملأ الأعلى»^(٣).

الشباب واختيار العمل

إن قضية انتخاب العمل في حياة الشباب من أهم المسائل الصعبة، لأنه يجب أن يكون العمل موافقاً لرغبة الشاب، وليس أن يكون مفروضاً عليه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن أغلب الشبان، ونتيجة عدم تجربتهم، لا يطمئنون لأنفسهم ولا بجئرون على انتخاب عمل بتصميم وعزم من أنفسهم، لأن انتخاب عمل يعني قبول مسؤولية اجتماعية، ولكن أكثر الشباب يخافون قبول المسؤولية، وينظرون إلى مستقبل الحياة بقلق واضطراب، ويشعرون بعدم ارتياح لمستقبلهم، ويخشون الفشل والهزيمة من أن لا يتمكنوا من مواجهة المستقبل ومواكبة المجتمع والحصول على المزايا الاجتماعية.

ولكي لا ينحرف الشبان ويضربوا حياتهم ويفقدوا سعادتهم نتيجة التخطيط الخاطيء عليهم أن يتركوا الغرور والتعصب، وأن يستفيدوا من أفكار وتجارب الكبار، وباستشارتهم يعينون خطاً مسيرهم، وبذلك يمهّدون

(١) بحار الأنوار ٧٧: ١٦٤ ح ٢.

(٢) غرر الحكم ح ١١٤٢.

(٣) غرر الحكم ح ٥٨٣٧.

الطريق للنجاح والفلاح .

ولقد أوجب الرسول الأكرم ﷺ على الآباء أن يساعدوا أبناءهم الشباب في انتخاب العمل الحسن اللائق بهم، وجعل ﷺ هذا الواجب المقدس من حقوق الأبناء: قال رسول الله ﷺ: «يا علي: حقُّ الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه ويضعه موضعاً صالحاً»^(١).

وعن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام قال: «جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما حقُّ ابني هذا؟ قال ﷺ: تحسن اسمه وأدبه وتضعه موضعاً حسناً»^(٢).

الشباب ومسألة الزواج

إن الزواج تلبية لطلب الطبيعة ونداء الفطرة، وزمن زواج الشباب محدد عندما تظهر الرغبات الجنسية، نتيجة البلوغ، لدى الشباب، ويريد الذكور زوجات، والأنثى أزواجاً، عندئذ يجب عليهم أن يتزوجوا فيلبوا بذلك حاجتهم الطبيعية.

إنَّ النبي الأكرم ﷺ أكد علي المسلمين أن يسرعوا في أمر الزواج واغتنام أقرب فرصة لإقامة هذه العلاقة المقدسة، وقد جعل النبي ﷺ زواج الابن إذا بلغ من حق الولد علي والده فقال ﷺ: «من حق الولد علي والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويزوجَه إذا بلغ»^(٣).

(١) بحار الانوار ١٧: ١٨.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ١٢٦، كتاب النكاح.

(٣) وسائل الشيعة ٥: ٥١٥.

كما بيّن ﷺ أن تنفيذ هذه الشّنة المقدسة وتلبية الحاجة الطبيعية يؤديان إلى إكمال دين الشباب، فعن علي عليه السلام، أنه قال: «لم يكن أحد من أصحاب الرسول ﷺ يتزوج إلّا قال رسول الله ﷺ: كمل دينه»^(١).

إن تأخير الزواج يدفع بالأشخاص العفيفين إلى كبت وقمع غرائزهم الجنسية، وبالتالي يصابون بعوارض سيئة نتيجة هذا العمل غير الطبيعي. وأما الأشخاص غير العفيفين فإنهم يرتكبون المعاصي والأعمال المنافية للعفة والأخلاق، وتكون النتيجة السيئة لهم، والأضرار للمجتمع.

ونشاهد أن الزواج بين الشباب في العالم أخذ يتأخر، وقد لا يتم، وهذا سبب من أسباب انتشار الفحشاء، وانسياق الشباب بسرعة إلى الفساد والضياع.

ومن الأمور التي تهم الشباب مسألة الزواج وعلى الآباء والأمهات، أن يتعرفوا على رغبات أبنائهم ويأخذوا هذه الرغبات بعين الاعتبار وليعلموا أن هؤلاء الأبناء والبنات هم الذين ينبغي أن ينتخبوا شريك الحياة لبناء الحياة المشتركة، وهم الذين يجب أن يطلبوا الزوج المناسب الذي يريدونه لكي يعيشوا العمر معاً بمحبة ويستمر الزواج.

عن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قلت له إني أريد أن أتزوج امرأة وإن أبويّ أرادا غيرها»، قال عليه السلام: «تزوج التي هويت، ودع التي يهوى أبواك»^(٢).

وفي زمن ما قبل الإسلام لم يكن يحق للفتيات إبداء رأيهن في مسألة

(١) - مستدرک الوسائل ٢٠: ٥٣٠.

(٢) الكافي ٥: ٤٠١.

الزواج، بل كانت الأمور بيد الأب الذي يختار الرجل ومقابل مبلغ مالي يزوجه ابنته، وهكذا نرى في الحقيقة أن البنات كن كالبضاعة تسلم للمشتري مقابل مبلغ من المال، وقد وقف النبي الأكرم ﷺ بوجه هذه العادة الظالمة وحرر المرأة من أغلال الأسر، وبني الزواج علي أساس رضا ورغبة المرأة والرجل، ورضا المرأة كرضا الرجل ركن أساسي من أركان الزواج.

نماذج من الشباب القدوة

لقد قدّم لنا التاريخ الإسلامي نماذج رائعة لشباب استفادوا من فرصة العمر وسطروا أروع الأمثلة في مختلف المجالات واصبحوا قدوة للآخرين وبالأخص للشباب، ولا يسع المجال لذكرها هنا ونكتفي بذكر بعضها:

الشاب حارثة بن مالك

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «استقبل رسول الله الشاب حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال ﷺ له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال يا رسول الله مؤمن حقاً، فقال لكل شيء حقيقة، فما حقيقة قولك؟ فقال يا رسول الله ﷺ عزفت نفس عن الدنيا فأسهرت ليلي، واطمأت هواجري (نصف النهار)، وكأني أنظر إلى عرش ربي، وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكأني أسمع أهل النار في النار، فقال له رسول الله ﷺ: عبد نور الله قلبه، أبصرت فأثبت، فقال الشاب: يا رسول الله أدع الله أن يرزقني الشهادة معك، فقال ﷺ: اللهم ارزق حارثة الشهادة. فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله سرية فبعثه فيها فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية - ثم قتل، وفي رواية أنه استشهد مع جعفر بن أبي طالب في مؤتة^(١).

(١) الكافي ٢: ٥٤، المحاسن ١: ٢٤٦، ب ٢٩، بحار الانوار ٦٤: ٢٨٨، ب ١٤.

الإمام الخامنئي عليه السلام يذكر لنا أيام شبابه

كنت كثير المطالعة في مرحلة الشباب، فبالإضافة إلى الكتب الدراسية كنت أقرأ الكتب التاريخية، الأدبية، فنون الشعر والنثر، القصص والروايات، كنت أحب الروايات القصصية كثيراً وقد قرأت أغلب الروايات القصصية المشهورة آنذاك، وقد شغفت بالأحاديث النبوية إثر إجادتي للغة العربية بفضل دراستي ومتابعتي للدروس العربية.

أما حول دخولي ساحة الجهاد والمعتك السياسي، كان لي من العمر ربما خمس عشرة أو ست عشرة سنة، حين قدم المرحوم نواب صفوي لمشهد وأخذ يلقي خطاباته، الأمر الذي جعله ينفذ إلى أعماق قلبي، ولم أكن في ذلك بدعاً من سائر الشباب الذين تعاطفوا معه وكان لهم مثل هذا العمر.... كانت لي إبان نشاطي السياسي محاضرات في التفسير كنت أقيها على أسماع الشباب سيما من الطلبة الجامعيين، وذات يوم خلال طرحي لآيات بني إسرائيل، تحدّثت حول أوضاع اليهود، فلم يمر وقت طويل حتى أُلقي القبض عليّ وأودعوني السجن كان أول سؤال وجهوه إليّ في التحقيق، لماذا تحدثت ضد اليهود وبني إسرائيل؟

فتيان الحسن عليه السلام في يوم عاشوراء

المشهور كان للإمام الحسن عليه السلام أربعة فتيان قد حضروا واقعة عاشوراء

وهم:

الفتى الأول: الحسن بن الإمام الحسن عليه السلام

المعروف «بالحسن المثنى» أحد أولاد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

وكنيته أبو محمد وأمّه خولة بنت منظور الفزاريه، وكان يبلغ من العمر في يوم عاشوراء سبعة عشر عاماً، وكان مع عمه الحسين عليه السلام في كربلاء وقاتل أعداء الله، وقطعت يده اليمنى، ونتيجة الجروح الكثيرة وقع في ساحة القتال مغمي عليه، وظن العدو أنّه قُتل، وفي اليوم الحادي عشر عندما أمر عمر بن سعد بفصل رؤوس الشهداء، رأوا أنّه لا يزال حيّاً، فقال أسماء بن خارجه الفزارى، أحد قوّاد العدو وله صلة قرابة مع أمّه، اتركوه من أجلي فإن وهبه الأمير عبيد الله بن زياد لي فيها، وإن لم يهبه نعمل برأيه، فتركوه وأخذ أسماء الحسن المثنى إلي الكوفة، ولما ذكرت هذه الحكاية لعبيد الله قال: اتركوه لأبي حسان ابن اخته، فقام أسماء بمعالجته وأرسله إلى المدينة، والمشهور ان الخليفة الأموي الخامس عبد الملك أمر بدس السم إلي الحسن المثنى وكان في سن الخامسة والثلاثين وقبره الشريف في مقبرة البقيع^(١).

الفتى الثاني: عبدالله الأكبر (المكنى بأبى بكر)

من الفتية من أولاد الحسن عليه السلام، الذين كان لهم حضور نشط في كربلاء في يوم عاشوراء أبوبكر (عبدالله الأكبر)، كانت امّه جارية اسمها رملة وبعد زواج أخيه الحسن المثنى، ذهب إلي الإمام الحسين عليه السلام وخطب سكينه بنت عمّه وعقد عليها^(٢)، وذكر بعض المؤرخين أن سكينه كانت في يوم عاشوراء معقودة لابن عمّها عبدالله الأكبر ولكن لم تتم مراسيم الزفاف حتى لحظة استشهاد، ويرى أبو الفرج الاصفهاني، ان قاتله كان عقبة الغنوي، وورد في زيارة الناحية المقدسة ما يلي: «السلام على أبي بكر بن الحسن

(١) الارشاد: ٣٦٠، أعيان الشيعة ٥: ٤٣، دائرة معارف الشيعة العامة ٨: ٦٢.

(٢) مقتل الحسين، للمقرّم: ٢٦٤، دائرة معارف الشيعة العامة ١٢: ٢٩١.

بن علي الزكي الولي المرمي بالسهم الردي لعن الله قاتله عبدالله بن عقبة الغنوي»^(١).

الفتى الثالث: عبدالله الأصغر

من الفتية الذين كان لهم حضور مشهود في يوم عاشوراء عبدالله الأصغر بن الامام الحسن عليه السلام وكان يبلغ من العمر أحد عشر عاماً وقال بعض المؤرخين ان امه هي زينب بنت سليل (سبيع) بن عبدالله^(٢)، واستشهد هذا الولد في ساحة القتال عند عمّه الحسين عليه السلام وذكر المؤرخون قصة استشهادة كما يلي: لما وقع الحسين عليه السلام في حومة الحرب مجروحاً وحاصره الأعداء، كان عبدالله بن الإمام الحسن عليه السلام يرى هذا المشهد المؤلم، فخرج من الخيمة للدفاع عن عمّه وركض نحو ساحة القتال وأرادت زينب منعه من الذهاب ولكنّه لم يتوقف ووصل إلى عمّه ووقف عنده، وفي ذلك الوقت سلّ رجل من قبيلة تيم يدعي بحر بن كعب أو (ابجر بن كعب) السيف ليضرب الإمام الحسين عليه السلام، فمدّ عبدالله يده كي لا يصيب عمّه، فقطعت يده فصاح عبدالله: يا عمّاه، يا امّاه، فأخذه الحسين عليه السلام وضمّه إلى صدره وقال: «يا ابن أخي إصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين...»، وبينما كان عبدالله في حجر عمّه وإذا بحرملة بن كاهل الأسدي يضربه بسهم في نحره ويقطع رأسه^(٣).

(١) مقاتل الطالبين: ٥٧، وراجع بحار الانوار ٤٥: ٣٦

(٢) اللهوف: ١٢٢، تذكرة الخواص: ٢١٥.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٤، الكامل في التاريخ ٤: ٧٧.

الفتى الرابع: القاسم ابن الحسن عليه السلام

كان القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام من الفتية الشجعان الذين حضروا كربلاء في يوم عاشوراء، وأمّه أمّ عبدالله الأكبر أي رملة وذكر البعض ان أمهما تدعى نفيلة^(١).

قال المجلسي: ورد في أكثر الروايات ان القاسم بن الحسن كان فتى غير بالغ، وحين رآه الإمام الحسين عليه السلام مهيباً للقتال وضع يده علي رقبته وبكي وبكي القاسم أيضاً حتي أغمي عليهما ولما أفقا طلب القاسم من عمه الاذن بالقتال ولم يأذن له الإمام الحسين عليه السلام، فالتمس القاسم وقبّل يديه ورجليه حتى أخذ الإذن بالقتال.

وبرز القاسم إلى حومة الحرب والدموع تجري من عينيه وهو يرتجزو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الحسن سبط النبي المصطفى والمؤمن
هذا حسين كالأسير المرتهن بين اناس لا سقوا صوب المزن

وكان وجهه يلمع كشقة قمر وقتل على صغر سنّه خمسة وثلاثين رجلاً من العدو^(٢).

وقال حميد بن مسلم: خرج إلينا غلام كأن وجهه شقة قمر وفي يده السيف وعليه قميص وازار ونعلان قد انقطع شسع احدهما ما أنسى أنها اليسري فقال عمرو بن سعد بن نفيل الازدي: والله لأشدن عليه.

فقلت له: سبحان الله وما تريد إلى ذلك يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد

(١) تذكرة الخواص، لسبط بن الجوزي: ٢١٥.

(٢) بحار الانوار ٤٥: ٣٤.

احتوشوه من كل جانب، قال: لا والله لا شددّ عليه، فشد عليه فما ولى وجهه حتى ضرب رأسه بالسيف فوق الغلام لوجهه فقال: يا عماه.

وانجلت الغبرة فإذا بالحسين عليه السلام قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه^(١) والحسين عليه السلام يقول: بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك، ثم قال: «عزّوا الله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفعك صوته، هذا يوم والله كثر واتره وقل ناصره».

وحمل الإمام الحسين عليه السلام القاسم وذهب به نحو المخيم.

ويقول حميد بن مسلم: ثم احتمله على صدره فكأنني انظر إلي رجلي الغلام تخطان في الأرض وقد وضع الحسين عليه السلام صدره علي صدره.

وروي أنّه قال الحسين عليه السلام: «... صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد ذلك اليوم ابداً»^(٢).

إن يبكه عمّه حزناً لمصرعه	فما بكى قمر إلا على قمر
يا ساعد الله قلب السبط ينظره	فرداً ولم يبلغ العشرين في العمر
لابن الزكي ألا يا مقلتي انفجري	من الدموع دماً يا مهجتي انفطري
مرملاً مذ رأته رملة صرخت	يا مهجتي وسروري يا ضيا بصري
بني تقضى على شاطي الفرات ظمأ	والماء أشربه صفواً بلا كدر

(١) قال المرحوم آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري، مؤسس الحوزة العلمية في قم للمرحوم الاشرافي واعظ في مجلس عزاء القاسم: لا تقرأ هذا الجزء من المقتل فأنا لا التحمل سماعه، ويقصد جملة «يفحص برجليه». (ثورة سيّد الشهداء «بالفارسية»: ١٩٨).

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٤١، الارشاد: ٤٦١، عن وقعة الطف، والكامل في التاريخ ٤: ٧٤، اللهوف: ١١٦.

الليلة التاسعة

الإسلام وحقوق الأبناء

قال تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾^(١)

وقال تعالى:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمُولُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فَتْنَةٌ وَأَتْ أَلَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)

قال رسول الله ﷺ: «أولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين»^(٣).

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) الانفال: ٢٨.

(٣) مكارم الاخلاق: ١١٥.

مراحل النمو في الأبناء

قد قسّم الرسول الأكرم ﷺ الامتداد الزمني لمراحل النمو الذي يصيب وضع الجسم والنفس لدى الأبناء وكيفية تصرفاتهم تجاه الوالدين، إلى ثلاثة أقسام كل قسم سبع سنين، فقال رسول الله ﷺ: «أولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين»^(١)، فالسنوات السبع الثالثة من العمر تبدأ من سن الخامسة عشرة حيث مرحلة البلوغ والشباب الذي يكون فيه الولد وزيراً لوالديه، وقد مرّ الحديث حوله في الية السابقة.

والولد في السنوات السبع الأولى سيّد يحكم على والديه، لأن فكره لم ينضج بعد، وجسمه ضعيف، ولذا ينظر الوالدان إليه بعين الرأفة والرحمة ولذا فهما مجبران على إطاعته، يليان طلباته، وفي السنوات السبع الثانية تحدث تغييرات ملحوظة في جسم ونفس الولد، يقوى جسمه، ويزداد إدراكه، لدرجة أنه يميز بين الطيب والخبيث ولهذا السبب يؤاخذ من قبل والديه ومعلمه، ولكن بما أن عقله لم يكمل بعد ولا يستطيع أن يميّز بين الصلاح والفساد بصورة صحيحة وكاملة، فإن والديه ومعلميه يأمرونه بحزم ويذكّرونه بواجباته وهو من جانبه مجبر على إطاعتهم وتنفيذ أوامرهم، ولذا قال الرسول الأعظم ﷺ: «وعبد سبع سنين» أي: عبد للوالدين ولكل من يحسن إليه ويسعى لتربيته وتعليمه، فتكون هذه المرحلة أفضل زمان للبدء بتربية الولد، ضمن الحقوق والنظام التربوي والتعليمي الذي قرّر له الاسلام^(٢).

(١) مكارم الاخلاق: ١١٥.

(٢) راجع كتاب الطفل بين الوراثة والتربية، لمحمدتقي الفلسفي.

أولاً- تربية الولد تربية صالحة

لقد اهتمَّ الإسلام بتربية الولد، وجعل له نظاماً خاصاً، بدءاً من اختيار الرجل المرأة الصالحة لكي تكون أمّاً للولد، وبلعكس اختيار الرجل الصالح ليكون أباً صالحاً له، ثمَّ ضرورة انعقاد نطفته من حلال وفي احسن زمان وافضل مكان، وبعد انعقادها ضرورة رعاية آداب الأكل والشرب والنوم والطهارة من قبل الأم الحامل لشدة تأثير ذلك علي الطفل، ثمَّ إجراء مراسيم الولادة عليه وهي مجموعة من الآداب والسنن المؤكدة، ثمَّ الإهتمام بتغذيته كمّاً وكيفاً، والأهم من كل ذلك هو المعاملة الحسنة معه وتربيته وتعليمه، وقد أولى مسؤولية تطبيق هذا النظام على الأسرة في جوانب معينة، وعلى المجتمع في جوانب أخرى، وقد أكّد الإسلام على التربية قبل التعليم لأهميتها كما صرّح بذلك الكتاب العزيز والسنة المباركة، خاصّة فيما يعلق بتنمية المشاعر الايمانية والخلقية في الأولاد، وقد وردت روايات كثيرة في هذا الصدد فعن رسول الله ﷺ: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين»^(١). ويقول الإمام السجاد عليه السلام: «وإنّك مسؤول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة علي ربه»^(٢). وكان الامام السجاد عليه السلام يدعو الله ان يعينه على تربية اولاده: «... وأعني على تربيتهم وبرهم»^(٣).

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نكرم اولادنا ونحسن آدابهم في قوله ﷺ: «اكرموا اولادكم وأحسنوا آدابهم»^(٤) وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن

(١) بحار الأنوار ١٠٤: ٢٦٨.

(٢) تحف العقول ص ٢٦٣.

(٣) الصحيفة السجادية: من دعائه لأولاده.

(٤) ميزان الحكمة: ح ٢٢٧٤٧.

خير ما ورث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال»^(١)، وأنَّ الولد الصالح هو حصيلة عمر الوالدين حيث ينتفعان به في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم (المؤمن) انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعوه»^(٢)، وقد جعل الله تعالى ميراث المؤمن أن يترك ولداً عابداً، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «ميراث الله من عبده المؤمن ولد يعبد من بعده»^(٣).

إنَّ الطفل الذي يتربي علي أساس الإيمان بالله وعبادته منذ البداية يمتاز بارادة قوية، تظهر عليه أمارات الشهامة والنبيل منذ الصغر، وكمثل على ذلك نأخذ قصة الرسول الأعظم ﷺ مع مرضعته حليلة السعدية، تقول حليلة: لما بلغ محمد ﷺ الثالثة من عمره قال لي: أماه، أين يذهب إخوتي نهار كل يوم؟ فأجبته: يخرجون الي الصحراء لرعي الأغنام.

قال: لماذا لا يصحبوني معهم؟

فقلت له: هل ترغب في الذهاب معهم؟

فلما أصبح دهنته وكحلته وعلقت في عنقه خيطاً فيه جَزَع يمانية، فنزعها ثم قال لي: «مهلاً يا أماه، فإن معي من يحفظني»^(٤).

ثانياً. تعليم الولد

من حق الولد على والديه، وعلى مجتمعه أيضاً أن لا يحرموه من الثقافة

(١) الكافي ٨: ١٥٠.

(٢) عوالي اللئالي ١: ٩٧، بحار الأنوار ٢: ٢٢٢ب.

(٣) بحار الأنوار ١٠٤: ١٠١، ح ٨٥.

(٤) بحار الأنوار ٦: ٩٢.

والتعليم حتى لا يشعر بالنقص في نفسه، و ينبغي ان يبدأ بتعليمه من السنة السابعة في كل ما يحتاجه لذيها وأخرته، والتي يمكن ان نلخصها في الأمور التالية:

أ- تعليمه العلم: من العلوم والمعارف في عصره كاللغات الاجنبية والعلوم التجريبية والطبية و الكمبيوتر والإنترنت و...، قال رسول الله ﷺ: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة ويزوجه إذا بلغ»^(١)، وعن الإمام علي عليه السلام: «مروا أولادكم بطلب العلم»^(٢).

ب - تعليمه الدين: عن الرسول ﷺ: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين»^(٣)، وعنه عليه السلام: «إن المعلم إذا قال للصبي بسم الله كتب الله له وللصبي ولوالديه براءة من النار»^(٤)، وعن الإمام علي عليه السلام: «حق الولد على والده أن... يعلمه القرآن»^(٥)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «علموا صبيانكم من علمنا»^(٦).

ج - تعليمه الرياضة: الرياضة التي يحبها ويشتاقي إليها، بالأخص السباحة والرماية، فعن الرسول ﷺ: «علموا أولادكم السباحة والرماية»^(٧).

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٢.

(٢) ميزان الحكمة: ح ٢٢٧٢١..

(٣) مستدرک الوسائل ١٤: ٢٦٨.

(٤) مستدرک الوسائل ٢: ٦٢٥.

(٥) نهج البلاغة: الحكمة ٣٩٩.

(٦) وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٨.

(٧) الكافي ٦: ٤٧، باب تأديب الولد.

ثالثاً - المعاملة الحسنة مع الولد

إنَّ المعاملة الحسنة مع الأولاد لها التأثير الكبير في تربيتهم وفيما يلي نشير إلى بعض الموارد:

أ - حبّ الولد: إنَّ المحبة ضرورية لنمو روح الطفل كالغذاء الظروري لنمو جسمه، قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الصبيان وارحموهم»^(١)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده»^(٢)، ولكن ينبغي أن يكون هناك توازناً واعتدالاً في المحبة، وإن أهمية التوازن الصحيح في كمّ المحبة وكيفها وأسلوب إظهارها لا تقل عن أهمية المحبة ذاتها، وكما أن لكل من التقليل من الغذاء، والإكثار منه، أثراً في بدن الطفل، كذلك لكل من التقليل من المحبة، والإكثار منها، أثراً مشومة في روح الطفل وتسبب له مشاكل كثيرة^(٣).

ب - العدل بين الأولاد: من شدة تأكيد الإسلام على رعاية الأطفال، أمر ربّ الأسرة أن يعدل بينهم في المأكل والمشرب والملبس، بل حتى في توزيع الابتسامات والقبلات والمزاح، فعن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل»^(٤)، قال ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللفظ»^(٥).

ج - اللعب مع الأولاد: من الامور الغريزية المهمة بالنسبة الي الابن هو

(١) الكافي ٦: ٤٩.

(٢) الكافي ٦: ٥٠.

(٣) الطفل بين الوراثة والتربية ١٨٠: ٢.

(٤) كنز العمال: ج ٤٥٣٤٦.

(٥) بحار الأنوار ١٠٤: ٩٢.

اللعب وهو ضروري له، وهو من الأمور المستحبة في الشريعة الإسلامية، ولقد اهتم أئمة الإسلام بهذا الأمر التربوي العظيم وأوصوا المسلمين بإرشادات مهمة في هذا الصدد، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين»^(١)، لا بل طلبوا منا ان نشارك صبياننا في العابهم حيث يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان عنده صبي فليتصابى له»^(٢).

وقد أورد علماء الحديث نصوصاً كثيراً في كتبهم تحت عنوان (استحباب التصابي مع الولد وملاعبته).

د- عدم ضرب الولد: عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تضربه واهجره ولا تطل»^(٣)، وقال الإمام علي عليه السلام: «لا أدب مع غضب»^(٤)، وياترى كيف كانت معاملة أهل الكوفة والشام مع أولاد الحسين في يوم عاشوراء:

أولاد الحسين يوم عاشوراء

روى على بن عيسى الرازي عن كمال الدين للصدوق أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان له عشر أولاد، ستة أبناء وأربع بنات^(٥).

والأبناء هم: علي الأكبر، علي الأوسط (زين العابدين)، علي الأصغر، محمد، عبدالله، جعفر^(٦)، والبنات هنّ: زينب، سكينه وفاطمة، وهذا القول مشهور، وبقي نسل الإمام الحسين من علي بن الحسين الأوسط (زين

(١) وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٨٢، وسائل الشيعة ٥: ١٢٦.

(٣) بحار الأنوار ١٠٤: ٩٩.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ح ١٠٥٢٩.

(٥) وذكر ابن شهر آشوب أنَّ للإمام الحسين (ع) تسعة أبناء، ستة ذكور وثلاثة أنثى (المناقب: ٣: ٢٥٧).

(٦) أمه من قبيلة قضائية وقد توفي جعفر زمن حياة والده في المدينة.

العابدين^(١)، ولم يذكر كمال الدين اسم إحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام، وقد تكون رقية.

١- فاطمة بنت الحسين عليه السلام

كانت فاطمة في سن التاسعة حينما ذهبت مع أبيها وسائر أهل البيت من المدينة إلى مكة ومن هناك الي كربلاء وشاهدت بعينها جميع الأحداث المرة التي وقعت في تلك الأيام خاصة في يوم عاشوراء، وبعد عاشوراء سنة ٦١ سبيت من قبل أعداء الله وحملت مع قافلة سبايا أهل البيت إلى الكوفة والشام وتحملت شذائد أيام السبي حتى عادت إلى المدينة، ثم تزوجت في أوائل سن العاشرة من أحد أبناء الإمام الحسن عليه السلام اسمه الحسن والمعروف بالحسن المثنى، وكان سن الحسن المثنى آنذاك سبعة عشر عاماً، وقد حضر عاشوراء وجرح ولكن لم يستشهد.

٢- السيدة سكينة^(٢)

اسمها أميمة، ولقبت بسكينة، وأمها الرباب بنت امرئ القيس، المرأة الوفية للحسين، والتي لم تبق بعد واقعة الطف إلا عاماً، ثم ماتت حزناً على زوجها وإمامها^(٣)، وكان الحسين عليه السلام شغفاً بها وبأمها، لما وجدته فيهما من الإخلاص والإيمان والفضيلة^(٤).

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢: ٢١٤.

(٢) بقيت سكينة بعد واقعة الطف في المدينة عابدة زاهدة، وقد غمرها الحزن على أبيها وأهلها حتى أدركتها الوفاة، في يوم الخميس (٥ ربيع الأول سنة ١١٧هـ)، ودفنت في المدينة، فكانت تعد من المعمرين، (راجع أعيان الشيعة ٣: ٤٩٢، نفس المهموم: ٥٣٠).

(٣) الأغاني ١٤: ١٦٠، نقله عنه في نفس المهموم: ٥٢٨.

(٤) مقاتل الطالبين: ٩٠، أعيان الشيعة ٣: ٤٩١.

وقد ذكر جميع المؤرخين أنها عليها السلام كانت في كربلاء ورأت بأم عينها مقتل أبيها وأعمامها وإخوتها، وكانت آخر من ودّعت الحسين عليه السلام في حملته الأخيرة والتي نادى فيها: «يا سكينه يا فاطمة يا زينب (يا أم كلثوم) عليكن مني السلام»، فنادته سكينه: يا أبة استسلمت للموت؟ فقال: «كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين»، فقالت: يا أبة ردّنا إلى حرم جدنا، فقال عليه السلام: «هيهات لو ترك القطا لنام»، وضمّهما إلى صدره ومسح دموعها، وقال بلسان حاله:

سيطول بعدي يا سكينه فاعلمي لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي منك البكاء إذا الحمام دهاني
ما دام مني الروح في جثماني تأتينه يا خيرة النّسوان

وورد في كتاب مصباح الكفعمي ان سكينه قالت: عندما استشهد أبي الإمام الحسين عليه السلام، ضمّمته إلي صدري ثم اغمي عليّ، وفي تلك الحال سمعته يقول:

شيعتي ما ان شربتم ماء عذب فاذكروني
أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني
فأنا السبط الذي من غير جرم قتلوني
وبجرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني
ليتكم في يوم عاشوراء جميعاً تنظروني
كيف أستسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني

٣- عبدالله الرضيع^(١)

كان عبدالله طفلاً رضيعاً من أولاد الإمام الحسين عليه السلام، وأمه رباب بنت امرء القيس، ومشهور أنه في كربلاء كان يبلغ من العمر ستة أشهر، وعلى هذا فإنه ولد في المدينة، وحينما وقعت المصائب على الإمام الحسين عليه السلام، واستشهد جميع أبنائه وإخوته وأقربائه وأصحابه، ولم يبق إلا النساء والأطفال، سمعت النساء صوت استغاثة الإمام وهو يقول: «هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في اغاثتنا؟ هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا؟»، فارتفعت أصوات النساء بالبكاء، ولما سمع الإمام بكاءهن ذهب إلى الخيم وقام بتهدأتهن ثم قال: «ناولوني ابني الطفل حتى أودعه»، فأعطينه عبدالله الرضيع فأخذه الإمام ووضع في صدره وقال: «ويل لهؤلاء القوم إذا كان جدك محمد المصطفى خصمهم»، ثم قبله وودعه، وحين أراد أن يعطيه إلى اخته أم كلثوم، قالت له: يا أخي، هذا الطفل عطشان فاسقه جرعة ماء، فحمل الإمام الحسين عليه السلام عبدالله الرضيع في صدره وذهب نحو العدو ووقف أمامهم وقال: «يا قوم ان لم ترحموني فارحموا هذا الطفل أما ترونه كيف يتلظى عطشاً»، فرماه حرمله بن كاهل

(١) بحث تاريخي: يرى بعض المؤرخين كالمرحوم الشيخ عباس القمي في كتابه (نفس المهموم)، ان الطفل الرضيع الشهيد في كربلاء هو عبدالله، ويرى بعض آخر ان الطفل الرضيع هو علي الأصغر، فقيل بشأن علي الأصغر ان امه كانت تسمى ام اسحاق وقد ولد في كربلاء في ظهر يوم عاشوراء وبعد ساعة من الولادة استشهد في حجر أبيه بسهم رماه عبدالله بن عقبة الغنوي أو هاني بن ثبيت الحضرمي، وقيل بشأن عبدالله ان امه كانت الرباب بنت امرء القيس وقد ولد في المدينة والمشهور أنه كان يبلغ من العمر في يوم عاشوراء ستة أشهر وقتل وهو في يد أبيه بسهم رماه حرمله بن كاهل الأسدي، وبناء علي هذا يدل اختلاف الاسم والام والسن ومحل الولادة، علي استشهاده طفلين رضيعين في كربلاء في يوم عاشوراء والله هو العالم.

الأسدي بسهم وذبحه^(١).

وعلي يدي ذبحوا فطيمى ظامياً ويقتلهم إِيَّاه قد فجعوني
هل كان طفلاً قبل حين فطامه في حجر والده قضى كجنيني

فأسرع الإمام عليه السلام إلى الخيمة وأخرج السهم من نحر ابنه عبد الله الرضيع وأعطاه إلى اخته زينب ثم ملأ يديه من دم نحره ورماه نحو السماء، وقال: «اللهم أحكم بيننا وبين القوم دعونا لينصرونا فقتلونا»، وقال الإمام الباقر عليه السلام: «لم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض»^(٢).

وذكر السيد ابن طاووس في (اللهوف): بعد أن رمى الإمام الحسين عليه السلام دم الطفل الرضيع نحو السماء قال: «... هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله...»^(٣) ثم نزل الإمام الحسين عليه السلام من على ظهر فرسه وحفر قبراً بغمد سيفه وصلى عليه ودفنه^(٤).

٤- علي الأكبر عليه السلام

الولد الآخر للإمام الحسين عليه السلام، هو علي الأكبر عليه السلام الذي ولد في الحادي عشر من شعبان سنة (٣٣ هـ)، وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة، وكانت أمها ميمونة بنت أبي سفيان أخت معاوية، وعمة يزيد، ولهذا عرض عليه الأمان لما برز للقتال، رعاية لرحمه من يزيد، غير أنه رفضه وقال: «إن قرابة رسول الله ﷺ أحقّ أن ترعى»، وكان علي الأكبر عليه السلام يتمتع بأعلى

(١) راجع تذكرة الخواص: ٢٥٢. المقتل للخوارزمي ٢: ٢٣، بحار الأنوار ٤٦: ٤٥.

(٢) اللهوف: ٦٦، مثير الأحران لابن نما: ٣٦، نفس المهموم: ٢١٦.

(٣) اللهوف: ٦٦.

(٤) المقتل للخوارزمي ٢: ٣٢.

مستويات الوعي، فقد جرى حوار بينه وبين الإمام الحسين عليه السلام، وذلك بعد أن علم الحسين وصحبه ما جرى على مسلم بن عقيل في الكوفة، سمع الأكبر أباه الحسين يقول: **إنا لله وإنا إليه راجعون**، فسأله عن سبب استرجاعه، فقال له الحسين عليه السلام: **إني خفقت برأسي فعنّ لي فارس وهو يقول: القوم يسيرون والمنيا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا، فقال علي الأكبر: لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ فقال الحسين: بلى والذي إليه مرجع العباد، فقال علي عليه السلام: إذن لا نبالي أن نموت محقين، فقال الحسين: جزاك الله من ولد خير ما جرى ولداً عن والده^(١).**

مصرع علي الأكبر عليه السلام

ولما لم يبقَ مع الحسين إلا أهل بيته، عزموا على مُلاقاة الحُتُوفِ، ببأسٍ شديدٍ... وأقبل بعضهم يودّع بعضاً، وأوّل مَنْ تقدّم عليّ الأكبر، وعمّره سبع وعشرون سنة، وكان مِرْآةَ الجَمالِ النبوي، ومِثالَ خُلُقِهِ السامي، فاستأذَنَ أباهُ، وَبَرَزَ مُرْتَجِزاً مُعَرِّفاً بِنَفْسِهِ قَائِلاً^(٢):

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليٍّ نحنُ وَرَبُّ البَيْتِ أُولى بالنَبِيِّ
تالله لا يحكُمُ فينا ابنُ الدّعي أضربُ بالسيفِ أحامي عن أبي

ضَرَبَ غُلامٌ هاشِمِيٍّ قُرشي (٣)

(١) أعيان الشيعة ٨: ٢٠٦، ومقاتل الطالبين: ٨٠.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢٦: ٢، ومثير الأحرار لابن نما: ٦٨.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢٣٨.

ولم يَتَمَالِكِ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دُونَ أَنْ أَرْخَى عَيْنَيْهِ بِالدَّمْعِ، وَصَاحَ بِعُمَرَ بْنِ سَعْدٍ: «مَالِكٌ؟ قَطَعَ اللَّهُ رَحِمَكَ كَمَا قَطَعْتَ رَحِمِي، وَلَمْ تَحْفَظْ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّطَ عَلَيْكَ مَنْ يَذْبَحُكَ عَلَى فِرَاشِكَ»^(١)، ثُمَّ رَفَعَ شَيْبَتَهُ الْمُقَدَّسَةَ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى هَؤُلَاءِ، فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ أَشْبَهُ النَّاسِ بِرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ خُلُقًا وَخُلُقًا وَمَنْطِقًا، وَكُنَّا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى رُؤْيَا نَبِيِّكَ نَظَرْنَا إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ فَامْنَعِهِمْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، وَفَرِّقْهُمْ تَفْرِيقًا وَمَزِّقْهُمْ تَمْزِيقًا، وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قَدَدًا، وَلَا تُرْضِ الْوُلَاةَ عَنْهُمْ أَبَدًا، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا ثُمَّ عَدَوْا عَلَيْنَا يُقَاتِلُونَا...^(٢)، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى ضَجَّ أَهْلُ الْكُوفَةِ لِكَثْرَةِ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ،... وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ، رَجَعَ إِلَى أَبِيهِ يَسْتَرِيحُ، وَيَذْكُرُ مَا أَجْهَدَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَبَكَى الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ: وَاهُ غَوَاةَ، مَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى بِجَدِّكَ، فَيَسْقِيكَ بِكَأْسِهِ شَرْبَةً لَا تَظْمَأُ بَعْدَهَا، وَدَفَعَ إِلَيْهِ خَاتَمَهُ لِيَضَعَهُ فِي فِيهِ^(٣)، وَرَجَعَ (عَلِيٌّ) إِلَى الْمِيدَانِ... فَأَكْثَرَ الْقَتْلَى فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ مُرَّةُ بْنُ مُنْقِذِ الْعَبْدِيِّ: عَلِيٌّ أَثَامُ الْعَرَبِ إِنْ لَمْ أَتَّكِلْ أَبَاهُ بِهِ، فَطَعَنَهُ بِالرُّمْحِ فِي ظَهْرِهِ، وَضَرَبَهُ بِالسِّيفِ عَلَى رَأْسِهِ، فَفَلَقَ هَامَتَهُ، وَاعْتَنَقَ فَرَسَهُ فَاحْتَمَلَهُ إِلَى مُعَسَّكِرِ الْأَعْدَاءِ، وَأَحَاطُوا بِهِ حَتَّى قَطَعُوهُ بِسِيفِهِمْ إِرْبًا إِرْبًا^(٤)، وَنَادَى رَافِعًا صَوْتَهُ: عَلَيْكَ مِنْي السَّلَامُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَذَا جَدِّي قَدْ سَقَانِي بِكَأْسِهِ شَرْبَةً لَا أَظْمَأُ بَعْدَهَا، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ لَكَ كَأْسًا مَذْخُورَةً^(٥)، فَأَتَاهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَانْكَبَّ عَلَيْهِ وَاضِعًا خَدَّهُ عَلَى خَدِّهِ،

(١) مقتل الخوارزمي ٢:٣٠، ومثير الأحرار لابن نما: ٦٨.

(٢) اللهوف على قتلى الطفوف: ٤٩.

(٣) مقتل الخوارزمي ٢:٣١.

(٤) تاريخ الطبري ٣:٣٣١.

(٥) مقتل الخوارزمي ٢:٣١.

وهو يقول: على الدنيا بَعْدَكَ الْعَفَا^(١)، ما أَجْرَاهُمْ على الرحمن وعلى انتِهَاجِ
 حَرَمَةِ الرَّسُولِ يَعِزُّ على جَدِّكَ وأَيُّكَ أَنْ تَدْعُوهُمْ فلا يُجِيبُونَكَ، وَتَسْتَعِثُّ بِهِمْ
 فلا يُغِيثُونَكَ، ثُمَّ أَمَرَ فِتْيَانَهُ أَنْ يَحْمِلُوهُ إِلَى الخِيْمَةِ، فجاؤوا به إِلَى الفِسْطَاطِ
 الَّذِي يُقَاتِلُونَ أَمَامَهُ^(٢).

يا كوكباً ما كان أقصر عُمرَهُ وكذا تكون كواكب الأسحارِ

(١) العفاء مصدر بمعنى التراب، الهلاك، (المنجد).

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٣٣١، الإرشاد: ٢٣٩، المقتل للخوارزمي ٢: ٣١.

الليلة العاشرة

الهجرة، الجهاد، الشهادة

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(١)

قال رسول الله ﷺ: « فوق كلّ ذي برٍّ حتى يقتل المرء في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله، فليس فوقه برٌّ »^(٢).

الهجرة، الجهاد، الشهادة، مصطلحات مقدسة في كل الأديان وعند جميع البشر، وقد عمل وتحلّى بها بعض الناس على مرّ العصور للدفاع عن وطنهم أو دينهم الذي فيه كرامتهم وعزّهم، فالحديث عن هذه الكلمات الجهادية يتشوّق إليه الجميع، وهي من الأمور التي هي جديرة بأن يُبحث عنها في كل زمان ومكان من المجتمعات الإسلامية، لأنّ الإسلام دوماً يحتاج إلى من يهاجر ويجاهد ويستشهد لأجله لكي يبقى هو الدين القيم الذي يهتدي به الناس.

(١) التوبة: الآية ٢٠.

(٢) الكافي ٥: ٥٣، باب فضل الشهادة، وعنه في بحار الأنوار ٧١: ٦٠، الباب ٢.

ومن هذا المنطلق وعلى ضوء هذا الهدف المنشود اخترنا هذه المصطلحات الثلاثة للبحث عنها في هذه الليلة العظيمة التي كان اصحابها قد تشرفوا بهذا الوسام الخالد، فكانوا بحق من المهاجرين والمجاهدين والمستشاهدين في سبيل الله تعالى.

الهجرة في سبيل الله

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِجْدِ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١).

الهجرة هو ترك الوطن لحفظ الايمان ونموه والوصول إلى الهدف المقدس المنشود،^(٢) فهي أمر مطلوب وممدوح من قبل الشارع، بل تجب إحيانا بأمر من الله أو رسوله، وهناك شواهد تاريخية كثيرة في الأديان السابقة من تاريخ الأنبياء والأوصياء، وكذلك في تاريخ الإسلام، نستقصي بعضها:

نماذج تاريخية للهجرة

١- هجرة موسى عليه السلام من مصر إلى مدين^(٣)، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي

(١) النساء: ١٠٠.

(٢) الهجرة والجهاد (كتيب للشهيد مطهري).

(٣) مدينة في الأردن.

سَوَاءَ السَّكِيلِ ﴿١﴾، ومن ثمَّ هجرته ﷺ وبني اسرائيل من مدين إلى الأرض المقدسة (بيت المقدس) في فلسطين.

٢- هجرة النبي إبراهيم مع زوجته هاجر وإبنة إسماعيل من فلسطين إلى مكة وكان نتيجتها بناء الكعبة المشرفة.

٣- هجرة المسلمين من مكة الى الحبشة واللجوء إلى بلادها بعد أن تعرّض المسلمون إلى الاضطهاد، ولم تتوفر لديهم وسائل الحماية المناسبة مع ان تلك البلاد لم تكن اسلامية، وهجرتهم من مكة إلى المدينة المنورة بعد أن بدأ الإسلام ينتشر فيها، ولم يكن هناك موقف عدائي صارم من مشركي المدينة تجاه المسلمين قبل هجرة النبي إليها، حيث كانت السلطة بيد المشركين حينذاك.

٤- هجرة نبي الإسلام ﷺ من مكة بعد ما ضايقوا المشركون عليه، وقرروا قتله ليلاً، وكان ذلك في الأول من ربيع الأول السنة ١٣ للبعثة وقد وصل إلى منطقته قباء من ضواحي يثرب في ١٢ من ربيع الأول من تلك السنة وانتظر ابن عمه علي بن أبي طالب ﷺ والذين معه من الفواطم والأصحاب ولم يدخل المدينة، إلى أن التحقوا به ﷺ في ١٥ من ربيع الأول ودخلوا معه إلى مدينة يثرب التي سميت بعد ذلك بمدينة الرسول ﷺ، وكان هذا الحدث المهم بداية الحكومة الإسلامية وأصبح فيما مبداءاً للتاريخ الإسلامي، يؤرخ المسلمون حوادثهم به.

٥- الهجرة الواسعة لاولاد أئمة أهل البيت عليهم السلام وذريتهم والعلماء

الصالحين من شيعتهم إلى ايران وكذلك إلى إفريقيا، وشبه القارة الهندية، وبلاد القفقاز، وعلى يد هؤلاء السادة والعلماء دخل الإسلام، أو انتشرت فيها الثقافة الإسلامية من خلال وجودهم في هذه المناطق.

٦- الهجرة الواسعة لشيعه أهل البيت عليهم السلام إلى مختلف أقطار العالم، خصوصاً في عصر الائمة أنفسهم، وكان سبب نشوء وظهور بعض الحركات العلوية في العراق وايران، خصوصاً في العصر العباسي، وامتداد هذه الحالة إلى العصور الأخرى، والتي سببت الحوادث التاريخية الكبرى في التاريخ الإسلامي وأوجدت الدول، كدولة الفاطميين والأدارسة، في شمال أفريقيا، ودولة الحسينيين في طبرستان، ودولة ال بويه في الري وهمدان وإصفهان....

٧- هجرة العلماء لطلب المزيد من العلم: منها هجرة العلامة الفيض الكاشاني من قم إلى شیراز وهي من عجائب القصص وروائع الصدف، حيث سمع العالم الورع ملاً محسن الفيض الكاشاني حينما كان شاباً يعيش في مدينة كاشان أو قم أن عالماً جليلاً اسمه السيد ماجد البحراني يدرّس العلوم الإسلامية في مدينة شیراز، ففكر أن يهاجر اليه ليكتسب منه العلم، فاستخار أولاً بكتاب الله الحكيم فظهرت الآية: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١)

ثم تفأل بديوان شعر منسوب الى الامام علي عليه السلام، فظهرت الأشعار

التالية:

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرَّجُ هَمٌّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَأَدَابٌ وَصُحْبَةٌ (ماجد)

وذاك من جميل التوافق وروائع الصدف، وهكذا شد الرحال الى السيد
ماجد البحراني ودرس عنده حتى أصبح من كبار علماء الدين، وكانت وفاة
الفيض الكاشاني في سنة (١٠٩١ هـ)^(١)

٨ - هجرة الإمام الحسين عليه السلام، واهل بيته من المدينة إلى مكة ومن ثم
إلى العراق وأرض كربلاء للجهاد في سبيل الله لطلب الإصلاح في أمة جده
رسول الله ﷺ.

معالم الجهاد في الإسلام

إن الأصل الثابت الذي لا يتغير في الإسلام هو الصلح والسلام، أما
الحرب فهي وسيلة لحفظ الكيان والدفاع عن الكرامة لأن الحق يحتاج إلى قوة
تحميه في مقابل البغاة والجبابة.

إنَّ الجهاد له مفهوم واسع في الإسلام فهو بذل الوسع والطاقة في
سبيل نشر الإسلام والدفاع عنه^(٢) فهو يشتمل على معاني كثيرة منها الجهاد
بالمال والنفس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
هَلْ أَذْكَرُمْ عَلَى تَحْرِقِ نُجُجِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ

(١) الهجرة والجهاد (كتيب للشهيد مطهري).

(٢) معجم الفاظ القرآن: ٢١٦.

(٣) سورة التوبة: الآية ٢٠.

وَأَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾

كما يشتمل على محاربة هوى النفس وشهواتها وهو أعلى مراتب الجهاد وإليه أشار رسول الله ﷺ في قوله لسرية بعثها فرحب بها عند رجوعها قائلاً: «مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس»^(٢). وقال ﷺ: «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»^(٣)، لأن محاربة هوى النفس هو دافع ومحرك للدفاع عن الدين والقيم والأخلاق بالمال وبالنفس.

فكل ما يتحمله الإنسان من عناء وتعب وكل ما يقدمه من عطاء وفداء في سبيل الله يكون جهاداً، سواء كان ذلك نفسياً أو بدنياً، وسواء كان في المال أو طلب العلم والمعرفة النافعة أو في اصلاح ذات البين أو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن بذل النفس والقتال في سبيل الله.

ولكن الجهاد في المصطلح الفقهي يطلق عادة على خصوص القتال في سبيل الله، من خلال استخدام السلاح والتعرض إلى القتل والموت والاستشهاد، وقد فرض الله تعالى هذا النوع من الجهاد على الإنسان المسلم في ظروف معينة، وابعاح له بل اوجب عليه أن يعرض نفسه للقتل وللموت دفاعاً عن النفس والاسلام والمظلومين، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾^(٤).

(١) سورة الصف: ١١٠.

(٢) الكافي: ٥، ١٢.

(٣) روضة الواعظين: ٤٢٠.

(٤) البقرة: ٢١٦.

وقد قسم الفقهاء هذا النوع من الجهاد إلى قسمين: جهاد للدعوة إلى الإسلام، وهو ما سماه بعض الفقهاء بالجهاد الابتدائي، والقسم الآخر، هو الجهاد الدفاعي، وموضوعه عندما يتعرض الإسلام والمسلمون، في أي عصر، إلى الاعتداء من قبل الأعداء فعندئذ يجب على كل مسلم أن يهب للدفاع^(١)، واليك توضيح كلا القسمين من الاستاذ الشهيد مرتضي مطهري في محاضرة القاها ليلة عاشوراء.

انواع الجهاد في الإسلام

١- الجهاد الابتدائي:

وهو أن يكون من أجل نشر الإسلام، وكسر الحواجز التي يضعها الطغاة أمام حركة الإسلام وحركة الهدى، فهنا قد يبادر المسلمون بقيادتهم الشرعية إلى القيام بالعمل القتالي، عندما يقف الطغاة سداً حازماً ومانعاً عن حركة الهدى بين الناس، ويرى الفقهاء بأن هذا النوع من القتال يكون مختصاً بنوع من الناس، وهم: الرجال الأصحاء والأقوياء فقط، ولا يشمل كل الرجال، فالضعفاء منهم، من قبيل: المريض، الأعرج، الأعمى، الشيخ الكبير، أو غير ذلك من الأشخاص الذين يتصفون بمثل هذه المواصفات التي تؤثر على الضعف، فهم مرخصون في ترك الجهاد لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُفْقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

(١) شرائع الإسلام ١: ٢٣٤، وراجع الكتب الفقهية الأخرى في هذا الباب.

(٢) التوبة: ٩١.

٢. الجهاد الدفاعي:

وهو فيما إذا تعرض المسلمون إلى هجوم الأعداء وإلى العدوان من قبل الكافرين أو من الطغاة، فعلى المسلمين أن يدافعوا عن إسلامهم وعن بيضة الإسلام والمسلمين، كما جاء في الحديث المعتبر المروي عن أهل البيت عليهم السلام دون فرق في ذلك بين القوي والضعيف، فعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «يرابط ولا يقاتل وإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل»^(١).

فالجهاد هنا يكون واجباً على كل القادرين، سواء كان هذا القادر رجلاً أو امرأة، سالماً كان في بدنه، أو ناقصاً من قبيل الأعمى والأعرج، أو غيرهم. ولا شك بأن معركة الإمام الحسين عليه السلام كانت جهاداً دفاعياً، فالإمام الحسين عليه السلام كان يجاهد ويدافع عن الإسلام الذي يتعرض إلى الخطر، بسبب وجود وطبيعة حكم الطاغية يزيد، وطرحه للمفاهيم الضالة ضد الإسلام. وهذا الحكم في الجهاد حكم شامل لا يختص بحالة يزيد، بل يشمل كل الطغاة الذين تكون لهم المواصفات اليزيدية، وعندئذ يكون الجهاد جهاداً دفاعياً، ويكون شاملاً وعماماً لكل القادرين، مهما كان نوع هذا القادر.

الجهاد، باب من أبواب الجنة

الجهاد في سبيل الله بقسميه عمل مقدس لا يقوم به إلا الخواص من المؤمنين لا بل الخواص من أولياء الله كما جاء في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «أما بعد فإنَّ الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنةِ فتَحَّهُ اللهُ لِخاصَّةِ أوليائه، ... وهو لباسُ التقوي، ودرعُ الله الحصينةُ، وجُنَّتُهُ الوثيقةُ، فمن تركهُ رغبةً

(١) الكافي ٥: ٢١، حديث ٢.

عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذِّلِّ وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ»^(١).

يقول الاستاذ الشهيد مطهري: «بابُ الجهاد غيرُ مفتوح بوجه الجميع .. لأنَّ وسامَ المجاهد لا يتقلّده إلا من كان لاثقاً لذلك... وهم خاصة اولياء الله. قد ورد في القرآن الكريم: انَّ للجنة ثمانية أبواب. فَلِمَ هذه الأبواب الثمانية؟! أَللتخفيف من شدة الازدحام؟ غير معقول! لأن العالم الآخر ليس بعالم تراحم، والله قادر على أن يُدخل جميع عباده الجنة دونما تأخير أو انتظار كقُدْرته على محاسبتهم السريعة.

هل الهدف من تعدّد الأبواب تقسيم الناس الى طبقات بحسب مكانتهم أو مشاغلهم الدنيويّة؟! كلا.. هذا غير ممكن أيضاً، فليس ثَمَّ معيار سوى التقوى وان تعدّد الأبواب ليس له مفهوم سوى تعدّد الدرجات،.. اذن خاصة اولياء الله من المجاهدين لهم باب خاص يدخلون منه إلى الجنة.

قال الرسول ﷺ الكريم: «الخير كلّهُ في السيف وتحت ظلّ السيف، وقال ﷺ أيضاً: إِنَّ اللَّهَ أَعَزَّ أُمَّتِي بِسَنَابِكِ خَيْلِهَا وَمَرَكَزِ رِمَاحِهَا»^(٢).

وحديث آخر عميق المغزى، روى عن النبي ﷺ يقول: «مَنْ لَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ»^(٣) فالإنسان المسلم إمّا أن يعيش حياة الجهاد عملياً أو على مستوى الأمل على الأقل، وبهذا المعيار يعرف صدق الإنسان وإخلاصه في إسلامه».

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥، ح ١٣

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥، ح ١.

(٣) نقلاً عن محاضرة للشهيد مطهري القيت في ليلة عاشوراء.

والحديث عن الجهاد في سبيل الله لا ينفك عن الحديث حول الشهادة، وهي في الواقع أفضل أجريهه الله للمجاهد في سبيله، وهي وسام عظيم يقلده الله للخلّص من المجاهدين، وهي أمنيّتهم الكبرى ضمن الجهاد في سبيله تعالى ولذا نرى أنّ الإمام الحسين وهو يسير نحو كربلاء يردّد هذه الايات:

فان تكن الدنيا تُعدّ نفيسة فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وان تكن الاموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل
وان تكن الابدان للموت أنشئت فقتل امريء بالسيف في الله أجمل

والنبي الكريم يقول: «فوق كلّ ذي برٍّ برٌّ حتى يقتل المرء في سبيل الله، وإذا قتل في سبيل الله، فليس فوقه برٌّ»^(١).

ليلة الشهادة ويوم الشهيد

يقول الشهيد مطهري^(٢): «شاع في عالمنا المعاصر اتخاذ يوم من أيام السنة لتكريم فئة من الفئات ويقترن ذلك اليوم باسم تلك الفئة كيوم العمّال، ويوم المعلم، ويوم الام... لكننا ما نسمع بتخصيص يوم لتكريم الشهيد... وفي الاطار الاسلامي، تميّز يوم العاشر من محرّم وحده بأنه يوم الشهيد»^(٣).

تقول الرواية: ان الحسين جمع اصحابه عند قُرب المساء، يوم التاسع من محرّم... ثمّ خطبهم قائلاً: «ألا وائي اظن أن يومنا من هؤلاء الاعداء غداً،

(١) الكافي ٥: ٥٣، باب فضل الشهادة، وعنه في بحار الأنوار ٧١: ٦٠، الباب ٢.

(٢) في إحدى من محاضراته التي القاها ليلة عاشوراء.

(٣) حبذا لو اتخذت الشعوب بأجمعها هذا اليوم يوماً للشهيد، لتستلهم منه روح التضحية والفداء.

وأيّ قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حِلٍّ، ليس عليكم منّي ذِمّام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم، فإنّ القوم إنّما يطلبوني، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري...» أراد الحسين بهذا القول أن يختبر أصحابه لآخر مرّة، حين طلب منهم أن يتفرّقوا ويتركوه لوحده، فإن القوم لا يطلبون سواه... لكنه سمع من أهل بيته وأصحابه جواباً سرّه من الأعماق.

قال له اخوته، وابناؤه، وبنو أخيه، وأبناء عبد الله بن جعفر، ولم نفعل؟ لنبقى بعدك...؟! لا أرانا الله ذلك أبداً، ومن أصحابه قال له مسلم بن عوسجة: «أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك؟»، وقال زهير بن القين: «والله لوددت أني قتلت، ثم نُشرت ثم قُتلت حتّي أقتل كذا ألف قتلة، وإن الله يدفع القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك»^(١).

عند ذلك أخبرهم الحسين باستشهادهم يوم غد... فهللوا وكبروا وحمدوا الله على ما أنعم عليهم... ثم قلّدهم الإمام الوسام: «لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي...»^(٢).

ولما علم أصحاب الإمام عليّ عليه السلام وكذلك أهل بيته عليّ عليه السلام باستشهادهم يوم غد، وعرفوا أنّ هذه الليلة هي آخر ليلة من عمرهم، أخذ يودع بعضهم بعضاً، وجاء النساء إلى أزواجهنّ وأولادهنّ للتوديع، فهي ليلة وداع الأحبة، هذا والخوراء زينب عليها السلام تنظر إليهم ولسان حالها وهي تخاطب الليل في تلك

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١٧

(٢) الإرشاد للمفيد: ٣٣٥، إعلام الوري: ٢٣٧.

اللية، ليلة عاشوراء.

يا ليلة التوديع طولي	قد زاد فيك نحولي
ووددت من قبل قوم	يحين وقت رحيلي
بكربلا منذزلنا	علمت عند النزولي
بأننا سوف نبقى	بلا حمي وكفيلي
يمسي الحسين قتيلاً	وياله من قتل
فيادموعي سيلي	عليه كل مسيلي
تخاطب الليل لكن	خطابها عن ذهولي
تسمع الليل قولاً	من الكلام الطويلي
تقول لا تبد صباحاً	وذا من المستحيل

الليلة الحادية عشر

دور المرأة في النهضة الحسينية

قال تعالى:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)

وقالت الحوراء زينب عليها السلام مخاطبة أهل الكوفة بعد واقعة الطف: ((... أتبكون وتنحبون؟ إي والله فابكوا كثيراً وضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن تغسلوا دنسها عنكم أبداً... أي كبد لرسول الله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتكم،...))^(٢)

دور المرأة في الدفاع عن الدين

إن المرأة في التاريخ الإنساني بشكل عام، وفي التاريخ الإسلامي بشكل خاص كان لها أدوار ومواقف مشرفة في الدفاع عن الدين، ويشير القرآن

(١) سورة التوبة: ٨٢

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١٠٩.

الكريم إلى عدد من هذه النماذج كهاجر زوجة النبي ابراهيم عليه السلام وآسيا امرأة فرعون ومريم ابنت عمران ...

وعندما نتقل إلى تاريخ الإسلام، نجد للمرأة أيضاً هذا الدور المتمثل في خديجة عليها السلام في وقوفها إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله بأموالها، ومساندتها له في إيمانها والدفاع عنه، حتى ذكرها النبي صلى الله عليه وآله في حديثه عنها: ((... إن لها في الجنة بيتاً من قصب لا نصب فيه ولا صخب لؤلؤاً مكللاً بالذهب...))^(١)، وحتى قيل في شأنها ودورها هذا القول المعروف (بني الإسلام بأموال خديجة، وسيف علي عليه السلام).

كما كان للزهراء عليها السلام هذا الدور أيضاً بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، حيث تمكنت من أن تحافظ على مبدأ الولاية المتمثل بالإمام علي عليه السلام، وذلك عندما رفض البيعة، وتعرض للتهديد بالقتل.

وفي تاريخنا المعاصر نرى هذا الدور الفعال للمرأة المسلمة في إيران ولبنان وفلسطين والعراق في الدفاع عن الدين وجميع القيم الإنسانية والمحافظة على المؤمنين والمجاهدين، وذلك بنشاطها السياسي والاجتماعي والاقتصادي وحتى العسكري، وهذا ما اشار اليه كراراً الامام الخميني رحمه الله وسماحة الامام الخامني (دام ظله) وسائر الشخصيات الاسلامية.

وفيما يتعلق بالنهضة الحسينية فكان للمرأة بصورة عامة، والعقيلة الحوراء زينب بصورة خاصة، أدواراً ومواقف مشهودة في الدفاع عن الدين والمشاركة الفعالة في هذه النهضة، نستعرضها باختصار:

(١) بحار الانوار ١٦: ٢٠-٧٦، و١٨: ٢٤١.

دور المرأة في النهضة الحسينية^(١)

بالرغم من أن الموقف المعروف عن الإسلام والذي طرح في معركة كربلاء أيضاً هو أن النساء ليس عليهن جناح أي: ليس عليهن قتال، ولكن نجد مع ذلك: في أصل الشريعة وفي أحكامها أن وجوب القتال في سبيل الله يترتب على المرأة، فيما إذا كان القتال والجهاد قتالاً وجهاداً دفاعياً، كما يعبر عنه الفقهاء، وكانت المرأة قادرة على ممارستها، ولم يكن في الرجال من يقوم بذلك ممن به الكفاية.

فالجهاد هنا يكون واجباً على كل القادرين، سواء كان هذا القادر رجلاً أو امرأة، سالماً كان في بدنه، أو ناقصاً من قبيل الأعمى والأعرج، أو غيرهم، فالجهاد هنا يكون واجباً دفاعياً وواجباً على الجميع، وعلى كل من يقدر أن يدافع أو يساهم في عملية الدفاع.

ولاشك بأن معركة الإمام الحسين عليه السلام كانت جهاداً دفاعياً، فالإمام الحسين عليه السلام كان يجاهد ويدافع عن الإسلام الذي يتعرض إلى الخطر، بسبب وجود وطبيعة حكم الطاغية يزيد، وهذا الحكم في الجهاد حكم شامل لا يختص بحالة يزيد، وإنما يشمل كل الطغاة الذين تكون لهم المواصفات اليزيدية، وعندئذ يكون الجهاد جهاداً دفاعياً، ويكون شاملاً وعمماً لكل القادرين، ولذا فهو يشمل النساء أيضاً، ولذا لقد شاركت وساهمت المرأة في الدفاع عن الإسلام المحمدي المتمثل بالحسين وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه آنذاك، وسجلت لها مواقف مشرفة في نهضة الحسين عليه السلام منها: موقف طوعة، تلك المرأة الصالحة التي آوت وأخفت مسلم بن عقيل في بيتها، عندما كان مطارداً

(١) إقتباس من مقال لشهيد المحراب السيد باقر الحكيم بتلخيص وإضافات.

من قبل عبيد الله بن زياد في الكوفة، وعرضت وجودها ونفسها وبيتها إلى أشد الأخطار.

ومنها موقف (دلهم)، تلك المرأة التي حثت زوجها زهير بن القين بالالتحاق بركب الحسين.

يقول الشيخ المجلسي، نقلاً عن كتاب الملهوف، عن جماعة من فزارة ومن بجيلة، قالوا: ((كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة، وكنا نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض علينا من أن ننازله في منزل، وإذا سار الحسين عليه السلام فنزل في منزل لم نجد بداً من أن ننازله، فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب، فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام، حتى سلم، ثم دخل، فقال: يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين بعثني إليك لتأتيه، فطرح كل إنسان مئاً ما في يده، حتى كأنما على رؤوسنا الطير، فقالت له امرأته وهي دلهم بنت عمرو- سبحان الله أبعث إليك ابن رسول ثم لا تأتيه؟...))^(١).

إن هذه المرأة الصالحة لا تعرف تفاصيل مضمون أو خصوصيات هذه الدعوة، وما هو مؤداها، ولكن أن ترى زوجها لا يستجيب لنداء الحسين عليه السلام بن رسول الله ﷺ، فهذا مما يتنافى مع الأخلاق الرفيعة، وكان نتيجة ذلك أن تصدت لحث زوجها على قبول دعوة الإمام الحسين عليه السلام والاجتماع به، وكان ثمرة هذا الاجتماع أن تحول زهير بن القين، من موقف عثماني مضاد، إلى موقف ناصر ومؤيد، وعلى استعداد بأن يضحي بكل شيء، في سبيل الإمام الحسين عليه السلام وحركته، والسبب في ذلك أن الإمام الحسين عليه السلام ذكره

بحديث لسلمان الباهلي مع زهير بن القين في حربهم من أجل تحرير بلنجر، إذ فتح الله عليهم وأصابوا الكثير من الغنائم، فقال لهم سلمان: ((أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتكم من الغنائم؟ فقالوا: نعم، فقال: إذا أدركتم سيد شباب آل محمد عليه السلام فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه مما أصبتكم اليوم من الغنائم))، وهنا تذكر زهير الحديث والتحق بالامام الحسين عليه السلام.^(١)

ومنها موقف أم وهب: كانت هذه المرأة مع زوجها عبدالله بن عمير الكلبي في كربلاء، وحينما برز زوجها عبدالله إلى القتال، وقتل يسار مولى زياد، وسالم مولى عبيدالله بن زياد، وأقبل إلى الحسين يرتجز بهذا العمل البطولي، أخذت زوجته ام وهب عموداً وأقبلت نحوه تقول له: فداك أبي وامي قاتل دون الطيبين ذريه محمد عليه السلام، فأراد أن يردها إلى الخيمة فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه، وتقول له: لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها الحسين: جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعي إلى الخيمة، فإنه ليس على النساء قتال، فرجعت، ولكنها بعدما قتل زوجها بعد ذلك صبراً^(٢)، مشت إليه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه، وتقول: هنيئاً لك الجنة أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك، فقال شمر لغلामه رستم: إضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها، وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين عليه السلام.^(٣)

(١) مقتل الحسين، للمقرم: ١٧٧.

(٢) يقال للرجل الذي يمسك ثم يقتل قتل صبراً.

(٣) مقتل الحسين، للمقرم: ٢٣٨.

أدوار الحوراء زينب عليها السلام في نهضة الحسين عليه السلام

أهم دور قامت به المرأة في الثورة الحسينية كان من قبل زينب الكبرى حيث نجد أن العقيلة عليها السلام تمكنت من أن تقوم بأدوار ثلاثة مهمة نلخصها فيما يلي:

الدور الأول: المحافظة على البقية من أهل البيت عليهم السلام

وذلك من خلال المحافظة على حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، والذي يمثل بقية النبوه وبيت الوحي والرسالة، ويمثل الإمتداد للإمامة، وحفظ البقية الباقية من عائلات أهل البيت عليهم السلام من الأطفال، فلو لم تتمكن العقيلة من المحافظة على هؤلاء الأطفال، لما بقي لأهل البيت ذكر وأثر، لأن الشعار الذي رفعه عمر بن سعد وجلاوزته، هو: أن لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية، وكان لها مواقف مشهودة ومعروفة في هذا المجال:

الموقف الأول: كان عندما قتل الإمام الحسين عليه السلام، وتعرض مخيم الإمام الحسين للهجوم الوحشي، من جيش عمر بن سعد، وانتهى القوم إلى علي بن الحسين عليه السلام، وهو مريض على فراشه لا يستطيع النهوض، فقائل يقول: ((لا تدعوا فيهم صغيراً ولا كبيراً وآخر يقول: لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمر بن سعد، وجرد شمر سيفه يريد قتله، وإذا بزينب عليها السلام تقول: لا يقتل حتى أقتل دونه))^(١)، ولما رأى ابن سعد هذا الموقف من الحوراء زينب منع شمر من قتله.

الموقف الثاني: كان في مجلس عبيد الله بن زياد، حيث يروي التاريخ

(١) مقتل الحسين، للمقرم: ٣٠١.

أن السبايا عندما أدخلوا على عبيد الله بن زياد في الكوفة، فوجد مع النساء رجلاً واحداً، هو علي بن الحسين السجاد عليه السلام، فاستغرب ذلك والتفت عبيد الله إلى علي بن الحسين عليه السلام، وقال له: ما أسمك؟ قال عليه السلام: «أنا علي بن الحسين»، فقال له: أولم يقتل الله علياً؟ فقال السجاد عليه السلام: «كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً قتله الناس»، فرد عليه ابن زياد: بأن الله قتله، فقال السجاد: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١)، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبَ الْمُؤَجَّلُونَ﴾^(٢)، فكبر علي ابن زياد أن يرد عليه، فأمر أن تضرب عنقه، لكن عمته العقيلة اعتنقته وقالت: «حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت!، وهل أبقيت أحداً غير هذا؟!، فإن أردت قتله، فاقتلني معه»، فنظر ابن زياد إليهما، وقال: دعوه لها، عجباً للرحم ودت أنها تقتل معه^(٣).

الموقف الثالث: روي عندما ادخلت السبايا إلي مجلس يزيد، نظر رجل شامي كان في مجلس يزيد إلي فاطمة بنت الحسين عليه السلام^(٤)، فظن رجل أنها من الإماء والجواري وله أن يطلب من الأمير يزيد أن يهبها له، فقام إلى يزيد وقال له: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية فخافت فاطمة وأخذت بثياب عمتها زينب عليها السلام، فقامت زينب عليها السلام، وقالت للرجل: «كذبت، والله، ولؤمت، ما ذلك لك ولا له»، فلما سمعها يزيد، غضب، وقال لها: كذبت والله، إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت.

فقالت زينب عليها السلام: «كلاً والله، ما جعل الله ذلك لك، إلا أن تخرج من

(١) سورة الزمر: ٤٢.

(٢) آل عمران: ١٤٥.

(٣) مقتل الحسين، للمقرم: ٣٢٥.

(٤) وروي أنها فاطمة بنت علي (ع).

ملّتنا، وتدينَ بغير ديننا»، فغضب يزيد واستشاط غيظاً ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقال زينب عليها السلام: «بدين الله ودين أبي وأخي وجدّي، اهتديت أنت وأبوك وجدّك»...^(١).

الدور الثاني: الدور الإعلامي للحوراء زينب عليها السلام

إنّ الإعلام في أي حركة سياسية وجهادية مهم جداً، بحيث لا يمكن أن تنتج هذه الحركة وتحقق أهدافها وغاياتها، ما لم يكن لها غطاء إعلامي، وبالنسبة إلى النهضة الحسينية كان السبب الرئيس في استمرارها وفي إنجاحها، هو الدور الخاص الذي قامت به البقية الباقية من أهل البيت عليهم السلام في تغطيتها وتوضيح معالمها وأهدافها من الناحية الإعلامية، وإبلاغ هذه الرسالة إلى الناس. علماً أن هذا الدور قام به أولاً: الإمام زين العابدين عليه السلام، وثانياً: النسوة من بقية أهل البيت خصوصاً السيدة زينب عليها السلام في عدة مراحل منها:

زينب عليها السلام ومرحلة الأسر في الكوفة

كان الوضع السياسي والنفسي العام في الكوفة يتعاطف مع أهل البيت عليهم السلام، وإن أهل الكوفة قدموا المواثيق والعهود لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، وكانت قلوبهم مع الإمام عليه السلام ولكنهم تخاذلوا عنه في اللحظة الأخيرة ولذا كانت الظاهرة العامة فيها بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ظاهرة حزن وبكاء ونحيب فزينب عليها السلام حينما خطبت في أهل الكوفة، كان حديثها يرتكز على التأييد، لنكتهم العهود ونقضهم المواثيق، مما جعل الكثير منهم يتأثر بخطابها،

(١) وقعة الطف: ٢٦٧ عن تاريخ الطبري.

ويبكي بشدة، ويندم على ما قاموا به، ومما جاء في خطبتها وكأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام: «الحمد لله، والصلاة على أبي رسول الله، أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والخذل،... أتبكون؟! إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، لقد فزتم بعارها وشنارها، ولن تغسلوا دنسها عنكم أبداً، (ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً خ.ل)... ويلكم! أتدرون أي كبدٍ لرسول الله فريتم؟! وأي دمٍ له سفكتم؟! وأي كريمة له أبرزتم؟!»^(١).

ولما أرادوا إدخال النساء إلى قصر دار الإمارة على الأمير الأموي عبيد الله بن زياد، لبست زينب عليها السلام أرذل أثوابها لتتنكر فلا يعرفوها، وأمرت الإماء والجواري أن يحففن حولها لتجلس بينهن متنكرة. ولكن الأمير الأموي ابن زياد أراد أن يشهر بها فنادى: من هذه المتنكرة؟ ثلاث مرات.

فبدرت أمة من إمائها وقالت: هذه زينب، ابنة فاطمة!.

فلما عرفها ابن زياد قال لها: الحمد لله الذي فضحكم، وقتلكم، وأكذب أحدوشتكم.

فقالت عليها السلام: «الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وآله، وطهرنا تطهيراً (٢) لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر».

قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟

قالت عليها السلام: «هؤلاء قوم كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاجون إليه وتُخاصمون عنده»^(٣).

(١) بلاغات النساء: ٣٤ (وهو أقدم مصدر)، أمالي المفيد ح ٨، المجلس ٣٨، بسنده عن حذلم بن بشير.

(٢) تُشير إلى آية التطهير ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ١١٥.

زينب عليها السلام ومرحلة الأسر في الشام

كان خطاب السيدة زينب مع أهل الشام، مع الأعداء الشامتين، الذين لم يعرفوا أهل البيت عليهم السلام فكان موقفهم موقفاً عدائياً منهم ولذا كانت الظاهرة الاجتماعية العامة هي: ظاهرة سرور وفرح، بحيث زُينت الشام استبشاراً بقتل الحسين عليه السلام، ولذا تغير مضمون الحديث واسلوبه في الشام عما كان في الكوفة، فأصبح عبارة عن كشف الحقائق من ناحية، والتعريف بأهل البيت عليهم السلام، وابرار شجاعتهم وصمودهم وثباتهم واستمرارهم في هذا الطريق والوقوف إلى جانب الحق من ناحية أخرى، والحديث عن المستقبل الذي لا بد أن يتحقق فيه النصر للمؤمنين.

فروي لما قدموا بالسيدة زينب عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام وأهل بيت النبوة إلى الشام دعا يزيد أشراف أهل الشام وجلس جلسة عامة، وأجلس الأشراف حوله، ثم دعا بعلي بن الحسين عليه السلام، وصبيان الحسين ونسائه فأدخلوهم عليه، وكان رأس الحسين عليه السلام في طشت بين يدي يزيد، وجعل ينكت ثناياه بمخصرة في يده ويقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل

فقامت زينب بنت علي عليها السلام وبعد الحمد والثناء لله والصلاة على رسوله وأهل بيته وجهت خطابها ليزيد وقالت: أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا

أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة؟! فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١).

..... ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصُدور حرّى، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فكذ كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميم وحيناً، والحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولاخرنا بالشهادة والرحمة،...»^(٢).

زينب عليها السلام بعد الأسر في المدينة

ونجد أن خطاب السيدة زينب عليها السلام في المدينة قد تغيّر، فلا يختص بالأنصار والموالين، كما هو الحال في الكوفة، ولا خطاب مع الاعداء، كما هو الحال في الشام، وإنما هو خطاب مع جمهور المسلمين، الذي كان يريد أن يعرف الحقائق والحوادث التي جرت في كربلاء، ولذلك نجدها عليها السلام تخطب في الظرف المناسب، حتّى يكون الخطاب مؤثراً وذا فائدة، وكان كذلك بحيث سبب إنتفاضة أهل المدينة على يزيد فكانت وقعة الحرة المعروفة.

(١) الروم: ١٠.

(٢) بلاغات النساء: ٣١، مقتل الحسين عليه السلام، للخوارزمي: ٣: ٧١، بحار الأنوار: ٤٥: ١٣٣.

الدور الثالث: زينب عليها السلام وسبايا كربلاء^(١)

وهو الدور الرئيس والأساس بين كل هذه الأدوار، حيث تبدو فيه المشاركة الحقيقية للمرأة في هذه الثورة، وتحقيق الاهداف التي كان يسعى إليها الإمام الحسين عليه السلام، من ناحية، فان ما مرّ على الإمام عليه السلام وأحداث شهادته في يوم كربلاء، وما جرى عليه وعلى أهل بيته وأصحابه من محن ومصائب وآلام وقتل ومثلة، يمثل جانباً من الجريمة الوحشية المروعة التي اهتزت لها الضمائر المريضة أو الميتة، كما أن ما جرى على العقيلة زينب عليها السلام ونساء وبنات الحسين وأصحابه الذين تعرضوا للأسر والسبي وهتك الحرمات يمثل الجانب الآخر من هذه الجريمة في فضاعته وآثاره الروحية والاجتماعية، فقد تحمل هؤلاء النسوة والأطفال القسط الثاني من هذه الآلام والمصائب.

ففاجعة كربلاء العظمى لها عدلان رئيسيان يكمل أحدهما الآخر: عدل القتل والتمثيل والهتك لحرمة هذه الصفوة من أبناء الأمة وعلى رأسهم الإمام الحسين ابن بنت رسول الله وأهل بيته وصحبه الكرام. وعدل السبي والأسر والهتك والاستهتار بحرمات هذه النسوة اللاتي يمثلن حرم رسول الله وأهل بيته، وهذا ما نراه واضحاً في أسرهم وتسييرهم من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، وكانت أكثرهنّ مصاباً هي الحوراء زينب عليها السلام، وكان من خطابها ليزيد في الشام: «... أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، يحدو بهنّ الأعداء من بلد الى بلد، ...»؟^(٢).

(١) ومن المحتمل أن تكون هناك ادوار ومواقف أخرى للحوراء زينب لم تسجل تاريخياً.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٣: ٧١، بلاغات النساء: ٣١، بحار الانوار: ٤٥: ١٣٣.

ولعلَّه ورثت الحوراء زينب عليها السلام تلك المصائب والمحن من أمِّها الزهراء عليها السلام :

بأبي التي ورثت مصائب أمها	فغدت تقابلها بصبر أبيها
لم تله عن جمع العيال وحفظهم	بفراق إخوتها وفقد بنيها
لم انس إذ هتكوا حماها فأنثنت	تشكو لواعجها إلى حاميتها
هذي نساؤك من يكون اذا سرت	في الأسر سائقها ومن حاديتها
ايسوقها زجر بضرب متونها	والشمر يحدوها بسب أبيها
عجباً لها بالأمس انت تصونها	واليوم آل امية تبديها

الليلة الثانية عشر

الإمام زين العابدين عليه السلام ومأساة الطف

قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ
وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾^(١)

ومما جاء في خطبة الإمام السجاد عليه السلام عندما أدخلوه إلى الكوفة: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشط الفرات بغير ذحل ولا تراث، أنا ابن من انتهك حريمه وسلب نعيمه، وانتهب ماله وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً وكفى بذلك فخراً...»^(٢)

ليلة شهادة الإمام السجاد عليه السلام

إستشهد الإمام السجاد عليه السلام بالسّم علي يد الوليد بن عبد الملك وقيل هشام،

(١) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١٣٩.

في الثاني عشر من المحرم أو الخامس والعشرين منه سنة ٩٥ للهجرة، ودفن في البقيع، فكان عمر الإمام ٥٧ سنة على أكثر الأقوال، ويروي الشيخ الكليني عن الصادق عليه السلام قوله: «قبض علي بن الحسين وهو ابن سبع وخمسين سنة في عام خمس وتسعين، وعاش بعد الحسين خمساً وثلاثين سنة»^(١).

قبسات من سيرة الإمام السجاد عليه السلام

ولد الإمام الرابع علي بن الحسين عليه السلام في الخامس من شهر شعبان لعام الثامن والثلاثين للهجرة على القول المشهور، وأمه شاه زنان (أو شهربانو) بنت يزدجرد، آخر ملوك الفرس، ومن أشهر القابه زين العابدين والسجاد لكثرة عبادته وسجوده لله تعالى.

قد تزوج الإمام في زمن أبيه بابنة عمه فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام، وأنجب منها الإمام الباقر عليه السلام، وكان الإمام الباقر أول مولود يولد بين الحسن والحسين عليه السلام، وأنجب منها، ومن غيرها (عشرة ذكور) منهم زيد، وبناته أربعة خديجة وأم كلثوم وفاطمة وعليه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب فيه الصرر من الدنانير والدراهم حتى يأتي باباً باباً فيقرعه، ثم ينيل من يخرج إليه. فلما مات علي بن الحسين عليه السلام، فقدوا ذلك فعلموا أن علياً عليه السلام كان يفعل ذلك^(٢).

وقال سفيان الثوري: جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال: إن فلاناً وقع فيك وأذاك، فقال له: فانطلق بنا إليه، فانطلق معه، - وهو يرى أنه سينتصر

(١) اصول الكافي ١: ٤٦٨، ب ١١٧، ح ٦، وانظر وفيات الأعيان: ١٧٢.

(٢) الكافي ١: ٤٦٨.

لنفسه - فلما أتاه ، قال له : يا هذا إن كان ما قلته في حقّ الله تعالى يغفر لي ، وإن كان ما قلته في باطلاً ، فالله تعالى يغفر لك^(١).

ولما أخرج بنو أمية من المدينة إلى الشام في واقعة الحرة آوى إليه ثقل مروان بن الحكم وامراته عائشة بنت عثمان بن عفان ، فقد كان مروان لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية من المدينة ، كلّم عبد الله بن عمر أن يغيب أهله عنده ، فأبى أن يفعل ، فكلّم مروان عليّ بن الحسين ، فقال له : يا أبا الحسن إن لي رحماً وحرماً تكون مع حرمك ، فقال عليّ عليه السلام : أفعل ، فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين عليه السلام فخرج بحرمه وحرّم مروان حتى وضعهم بينبع بالبغبيغة.... وهذا منتهى مكارم الأخلاق ، والمجازاة على الإساءة بالإحسان ، فبنوا أمية الذين سبوا نساء الإمام وأدخلوهم الشام بتلك الحالة المزرية ، وقتلوا آله في كربلاء ، يقابلهم الإمام بصون حرم أعدائه ، في لحظة المكنة من الانتقام ، وهذا خلق الأنبياء والصديقين والأبرار.

وذكر المفيد في (إرشاده)^(٢) القصيدة المشهورة التي ذكر فيها الفرزدق فضائل الامام السجاد عليه السلام وعرفه للحجاج ، بعد أن رأى أن هشام بن عبد الملك يظهر له تجاهلاً وهو يرى تدافع الناس للوصول إليه ، وهو يسعى لاستلام الحجر الأسود في ركن الكعبة :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضي من مهابته	فما يكلم إلا حين يتسم

(١) الفصول المهمة: ١٨٤.

(٢) الإرشاد للمفيد: ١٥١.

علي بن الحسين عليه السلام في كربلاء

كان الإمام عليه السلام قد عاش مأساة الطف بكل تفاصيلها، وكان قد كابد فيها صعوبة المحن، من العطش والجوع والضرب، الذي فرضته قيادة جيش يزيد، وكان تأثيره عليه بليغاً لشدة مرضه الذي نزل به، فلقد ابتلى عليه السلام بمرض شديد جعله طريح الفراش منعه حتى من الجهاد بين يدي والده الإمام عليه السلام وقد أوعز الكثير من المحققين ذلك إلى حكمة من الله تعالى لبقاء الإمام بعد أبيه مواصلاً مسيرة الإمامة والقيادة للأمة الإسلامية، ولكن على الرغم من ذلك، فلما سمع واعية الحسين عليه السلام، قام عليه السلام يتكوى على سيفه لينصره عليه السلام، فأمر الحسين عليه السلام أخته زينب أن أرجعيه لئلا ينقطع نسل آل محمد عليهم السلام.

وبعد انقضاء مأساة الطف، وتخيم الأحزان على آل البيت عليهم السلام بقتل الحسين عليه السلام وآله وأصحابه بدأت مأساة الإمام زين العابدين عليه السلام وبدأت معها رسالته المكملّة لرسالة الحسين والمبينة لأهداف هذه الثورة المباركة، فكان على الإمام أن يوضح للمسلمين سرّ قيام الإمام بالثورة على حكومة يزيد، ولولا ذلك لضاعت كل الجهود التي بذلت لهذه الثورة، ولضاع دم الحسين في كثير من بقاع الأرض، وبدأ هذه الرسالة من الكوفة أول محطة أسره هو وأهل بيته.

الإمام السجاد عليه السلام في الكوفة

عندما أدخلوا الإمام السجاد عليه السلام في الكوفة على ابن زياد سأله من أنت؟ فقال: «أنا علي بن الحسين»، فقال له: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟

فقال عليّ عليه السلام: «قد كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: (الله يتوفّى الأنفس حين موتها)، فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للردّ عليّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه^(١)، فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: لا والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فقال لها عليّ عليه السلام: اسكتي يا عمّة حتى أكلمه، ثمّ أقبل عليه فقال: أبالقتل تهدّدي يا ابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟ ثمّ أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام وأهل بيته فحملوا إلى دار بجانب المسجد الأعظم، ولما أصبح ابن زياد أمر برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها، ولما فرغ القوم من الطواف به في الكوفة ردّوه إلى باب القصر^(٢).

وذكر المؤرّخون أنّه لما قدم عليّ بن الحسين عليه السلام وقد قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام، استقبله ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: يا عليّ بن الحسين، من غلب؟ وهو مغطّ رأسه وهو في المحمل، فقال له عليّ بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذن ثمّ أقم^(٣)

وخطب الإمام عليه السلام عندما أدخلوهم إلى الكوفة وكانت خطبته توبيخاً لأهلها الذين كاتبوا الحسين وخذلوه ليوقفهم على عظيم الجرم الذي اقترفوه، وليشعل نار الندم والثورة على ذات كل واحد منهم، وفعلاً أثّر خطاب الإمام بأهلها، ومما جاء في خطبته عليه السلام: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني،

(١) وقعة الطف: ٢٦٢، الإرشاد للمفيد: ٢٤٤.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢: ٤٣، اللهوف: ١٤٥.

(٣) أمالي الطوسي: ٦٧٧.

ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشط الفرات بغير ذحل ولا تراث، أنا ابن من انتهك حرمة وسلب نعيمه، وانتهب ماله وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً وكفى بذلك فخراً، أيها الناس ناشدكم الله هل تعلمون أنكم كتبتُم إلى أبي وخذعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقتلتموه وخذلتموه؟ فتباً لما قدمتم لأنفسكم وسوءاً لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وهتكتم حرمتي فلستم من أمتي»^(١).

كان هذا الخطاب قد شكّل هزةً عنيفةً أحيّت ضمائر أهل الكوفة، وأخذوا يكون ويندمون ويتلاومون حتى كادت تقوم الثورة ضد حكومة ابن زياد، فخاف من ذلك فأسرع في حمل الإمام وأهله إلى الشام، بعد مراسلة بينه وبين يزيد.

الإمام زين العابدين عليه السلام في الشام

كان الإمام عليه السلام في الطريق إلى الشام لم يألُ جهداً في بثّ أهداف نهضة الحسين عليه السلام في كل بلد أو قرية يمر بها الركب، حيث ركّز الإمام في بياناته وخطاباته على التعريف بأن المقتول بكربلاء هو إمام ابن إمام جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد توجّج الإمام بيان حقيقة واقعة كربلاء وأهدافها عند دخوله الشام، هذا البلد الذي لم يتعرف أهله على الإسلام إلا عن طريق آل أمية، فكان أول ولاته بعد فتحه على يد خالد بن الوليد، هو يزيد بن أبي سفيان، ثم بعد موته ولّى الخليفة الثاني عمر على الشام الولد الآخر لأبي سفيان معاوية، ثم ولّى

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٣٩.

معاوية عليها ابنه يزيد، فلم يكن أهل الشام يعرفون أهل البيت على حقيقتهم إلا القليل، وكان الكثير منهم يحقد على الإمام علي عليه السلام وأولاده، لما تشبعت أذهانهم من افتراءات وسموم وتضليلات حاكتها أيدي الأمويين!».

ومن هنا ليس أمراً عجباً أن نقرأ في كتب التاريخ أنّ شيخاً شامياً دنا من الإمام السجاد عليه السلام عند دخول سبايا آل محمد ﷺ الشام وقال له: الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم.

فقال له الإمام عليه السلام: يا شيخ أقرأت القرآن؟

فقال الشيخ: بلى. فقال له الإمام عليه السلام: أقرأت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١)؟ فقال له الإمام عليه السلام: فنحن القربى، يا شيخ!

ثم قال له: فهل قرأت: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَى﴾^(٢)؟

قال: قد قرأت ذلك. قال عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ،

وهل قرأت هذه الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٣)؟ قال: نعم. قال الإمام عليه السلام: نحن القربى.

يا شيخ! وهل قرأت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٤)؟

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) الأنفال: ٤١.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

قال الشيخ: بلى. قال له الإمام عليه السلام: نحن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة.

قال الشيخ: بالله إنكم هم؟!!

قال الإمام عليه السلام: تالله إنا لنحن هم من غير شكٍّ وحقٍّ جدًّا رسول الله ﷺ إنا لنحن هم. فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد^(١)

وهذه البلاد المنيعة على الأئمة وشيعتهم، دخلها الإمام عليه السلام، بمحض إرادة بني أمية فهم الذين جاؤوا به إليها، وكان هدفهم المبالغة في توهين وذل الإمام، ولكن ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾^(٢)، فإن دخول الإمام في الشام وخطابه فيها قد عرّف للناس حقيقة أهل البيت، وعرفهم من هو علي بن أبي طالب، الذي لطالما تبادوا في سبّه.

خطاب الإمام السَّجَّاد في الشام

لما أجلسوا أسارى أهل البيت في الجامع أوعز يزيد إلى خطيب دمشق أن يصعد المنبر ويبالغ في ذمّ الحسين وأبيه عليهما فانبرى إليه الإمام زين العابدين عليه السلام، فصاح به: «ويلك أيها الخاطب، إشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق فتبوا مقعدك من النار»، واتّجه الإمام نحو يزيد فقال له: «أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهنّ الله رضى، ولهؤلاء الجالسين أجرٌ وثواب...»، وبهت الحاضرون وعجبوا من هذا الفتى العليل

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٦١، واللهوف: ١٠٠.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

الذي ردّ على الخطيب والأمير وهو أسير، فرفض يزيد إجابته، وألحّ عليه الجالسون بالسماح له فلم يجد بُدّاً من إجابتهم فسمح له، واعتلى الإمام أعواد المنبر، فبعد الحمد والثناء لله والصلوات النبي بدأ خطابه عليه السلام بالتعريف بمن هم أهل البيت، فقال: «أيها الناس أعطينا ستاً وفُضّلنا بسبع، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأنّ منّا النبي المختار محمد صلى الله عليه وآله ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد رسول الله، ومنا سيدة نساء العالمين، ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين، ومنا المهدي».

وأخذ بعد ذلك يعرف نفسه على ضوء التعريف بجده رسول الله، وجده علي بن أبي طالب، وجدته الزهراء، وأبيه الحسين، ليعرّف الناس بحقيقة علي عليه السلام وأولاده، فقال عليه السلام: «أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن من حُمّل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى الله الجليل إليه ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، ...».

ولم يزل الإمام يقول: أنا أنا حتى ضجّ الناس بالبكاء، وخشي يزيد من وقوع الفتنة وحدوث ما لا تحمد عقباه، فقد أوجد خطاب الإمام انقلاباً فكرياً إذ عرّف الإمام نفسه لأهل الشام وأحاطهم علماً بما كانوا يجهلون، فأوعز يزيد

إلى المؤذن أن يؤذن ليقطع على الإمام كلامه، فصاح المؤذن «الله أكبر» فالتفت إليه الامام فقال له: «كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله»، فلما قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله قال الإمام عليه السلام: «شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ونخي وعظمي»، ولما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله التفت الإمام إلى يزيد فقال له: «يا يزيد! محمد هذا جدّي أم جدّك؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت، وإن قلت: أنّه جدّي فلم تقتل عترته؟!»^(١).

واستمر الإمام في خطابه يعرف بمظلوميته وثورته الهادفة، فما كان إلا أن ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وبدأت هتافات اللعن على يزيد والبراءة من عمله... فبعد أن زين الناس الشام حتى يحسب الغريب أن فيها عيداً، انقلب الفرح حزناً، والزينة سواداً، وكان أول انتصار لدم الحسين. إن أول مجلس أقيم في الشام لأحياء ذكرى الحسين في بيت يزيد، واشتركت بنات أمية في النياحة والبكاء مع نساء العترة الطاهرة، حتى أنّ هنداً زوجة يزيد كانت قد ضربت السواد في جميع حجر القصر. وعلى إثر خطاب الإمام بدأ أهل الشام بالتحرك، فخاف يزيد من انقلاب الأمر عليه وأخذ يعتذر إلى الناس بأن ابن زياد هو الذي قتل الحسين ثمّ عجل بترحيل الإمام مع ثقله إلى المدينة، وعهد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول الله ﷺ وعقائل الرسالة فيردّهنّ إلى المدينة وأمر بإخراجهنّ ليلاً خوفاً من الفتنة^(٢).

(١) راجع بحار الأنوار ٤٥: ١٣٩، ونفس المهموم: ٤٤٨ عن مناقب آل أبي طالب ٤: ١٨١.

(٢) راجع وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٧٢، وتاريخ الطبري ٥: ٤٦٢، والارشاد ١٢٢: ٢.

الإمام السجاد عليه السلام في المدينة

لقد حضر الإمام كربلاء ورأى بأم عينيه مأساة الطف بكل تفاصيلها وبعد واقعة الطف ورجوعه إلى المدينة المنورة عاش الإمام فيها تمام حياته إلى جانب قبر جده مدة (٣٥ سنة) يلجأ إليه الناس، ويفزعون إليه لأمور دنياهم وأخراهم، واخذ يدعو الي دين جده بسلوكه العملي كان اشهرها إنشغاله بالدعاء، وقد ترك لنا تراثاً غنياً وعظيماً في هذا المجال، تجلّت في الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق تحتوي علي أمّهات المعارف الإسلامية من المناهج التربوية والتثقيفية والتعليمية، يمكن ان يستفيد منها جميع البشر علي مرّ العصور.

وفي المدينة ألقى الإمام زين العابدين عليه السلام خطاباً في أهلها لدى عودته من الشام والعراق، يقول المؤرّخون: إنّ الإمام عليه السلام جمع الناس خارج المدينة قبل دخوله اليها، وخطب فيهم قائلاً: «أيّها القوم، إنّ الله ابتلانا بمصائب جلييلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام، وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، والله، لو أنّ النبي تقدّم اليهم في قتالنا كما تقدم اليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها»^(١).

لقد جسّد خطاب الإمام واقعة كربلاء على حقيقتها حيث ركّز على المظلومية التي لحقت بأهل بيته عليه السلام في قتل الحسين بن علي عليه السلام، وأسريهم، فاستنهض الإمام أهل المدينة، ضدّ الظلم والجبروت الأموي فثاروا على واليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان فخلعوه من الإمارة وبايعوا عبد الله بن حنظلة

(١) اللهوف: ١١٦، بحار الأنوار ١٤٨: ٤٥.

الغسيل على يزيد وولّوه عليهم^(١).

واستمر الإمام عليّ^{عليه السلام} في المدينة بتوعية الناس بما فعل بنو امية باهل بيت رسول الله ^ﷺ واخذ يبين اهداف نهضة ابيه الحسين عليّ^{عليه السلام} ونتائجها وبهذا قد أكمل الإمام علي بن الحسين عليّ^{عليه السلام} ما بدأ به أبوه، ولولا هذه الجهود، والجهود التي بذلتها عمته زينب عليّ^{عليها السلام} في هذا المجال لضاع عند الكثير اهداف ثورة أبيه الحسين في كربلاء.

بكاء الإمام زين العابدين

ومما قام به الإمام زين العابدين عليّ^{عليه السلام} في بيان مظلومية أبيه الحسين واهل بيته عليّ^{عليه السلام} هو اقامة مجالس العزاء في المدينة وكان لا يزل باكياً ليله ونهاره، وكان عليّ^{عليه السلام} إذا أخذ الإناء ليشرب الماء تذكر عطش أبيه ومن معه فبكي حتى يمزجه من دموعه، فإذا قيل له في ذلك يقول: «كيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي هو مطلق للوحوش والسباع»^(٢)، وقال له بعض مواليه (لعلّه أبو حمزة الثمالي): «إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين من كثرة البكاء، فقال له الإمام عليّ^{عليه السلام}: «يا هذا إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون إن يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر وهو يعلم أنه حي فبكي عليه حتي ابيضت عيناه من الحزن وإني نظرت إلى أبي وأخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني واني لا أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقني العبرة وإذا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة...»^(٣).

(١) الطبري ٥: ٤٨٠ وعنه في الكامل في التاريخ ٤: ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨ عن مناقب آل أبي طالب ١٧٩: ٤.

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨، مقتل الحسين، للمقرم: ٣٧٧.

الليلة الثالثة عشر

مكانة الشهيد والشهادة في الاسلام

قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ
أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١)

وقال رسول الله ﷺ: «فوق كل ذي برٍّ برٌّ حتى يُقتل المرء في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله، فليس فوقه برٌّ»^(٢)

إنَّ افضل من كتب وتحدث عن الشهيد والشهادة في عصرنا هذا هو الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري ذالك الإنسان الذي عرف معني الشهادة واحبها بل عشقها وطلبها من ربه فرزقه الله هذا الوسام العظيم فهو شهيد يتحدث عن الشهيد فيقول: «الشهيد، في المعايير الإسلامية: هو الذي نال درجة «الشهادة».. أي الذي بذل نفسه، على طريق الاهداف الاسلاميّة الساميّة، ومن أجل تحقيق القيم الانسانيّة الواقعيّة، والانسان الشهيد في المفهوم الإسلامي يبلغ بشهادته أسمى درجة يمكن أن يصلها الإنسان في مسيرته التكاملية.

(١) سورة ال عمران: ١٦٩

(٢) الكافي ٥: ٥٣، باب فضل الشهادة، وعنه في بحار الأنوار ٧١: ٦٠، الباب ٢.

ونستطيع أن نفهم سبب قدسيّة كلمة «الشهيد» في الإسلام وفي أنظار المسلمين من خلال الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الشهادة والشهيد وكذلك من خلال ما وصلنا من روايات في هذا الحقل.. القرآن الكريم يقول عن الشهيد: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١)، وما اعظمها من منزلة^(٢)

حق الشهيد على الناس

يقول الشهيد مطهري: «كلّ أولئك الذين خدموا البشريّة بشكل من الأشكال لهم حقّ على بني الإنسان،.. ولكنّ ليس أحد من هؤلاء له على البشريّة حقّ كما للشهيد...، ومن هنا فإنّ ما يكتنه أبناء البشر من تعاطف وانشداد تجاه الشهداء يفوق ما يكتنونه تجاه سائر خدّمة البشريّة، ولماذا هذا التفوّق؟ لأنّ العالم في علمه.. والفيلسوف في فلسفته.. والمخترع في اختراعه.. ومعلم الاخلاق في تعاليمه، محتاجون إلي أجواء حرّة مساعدة كي يقدّموا خدماتهم.. والشهيد بتضحياته يوفّر هذه الاجواء... الشهيد كالشمعة التي تحترق وتنفى لتضيء الطريق للآخرين».

دم الشهيد: «نرى بان أحكام الميّت لا تُطبّق على جسد الشهيد سوى الصلاة والدفن، أما الغسل والتكفين.. فلا فالشهيد يُدفن بدمه وملابسه.. وهذا الاستثناء له مغزاه العميق، انه يرمز الى ان روح الشهيد بلغت درجة من السموّ والطهارة بحيث ترك هذا السموّ والطهر آثاره على جسد الشهيد

(١) سورة ال عمران: ١٦٩

(٢) من محاضرة للشهيد مطهري القاها في ليلة عاشوراء، طبعت بعنوان: شهيد يتحدث عن الشهيد

وعلى دمه، بل وحتى على ما يرتديه من لباس.

ان كلّ قطرة من دم الشهيد تتحوّل الى آلاف القطرات.. بل الى بحر من الدماء يدخل جسد المجتمع، ومن هنا قال الرسول ﷺ: «ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دم في سبيل الله».

الشهادة تزريق لجسد الامة بدم جديد، والشهداء يضخّون في شرايين المجتمع، وخاصة المجتمع الذي يعاني من فقر الدم، دماً جديداً. الشهيد يسجّل بدمه ملحمة يحيي بها روح الحماسة في مجتمع ماتت فيه روح الحماسة وخاصة الحماسة الالهية، ولهذا فالاسلام بحاجة دوماً الى شهيد..»

«.. والشهيد يخلّد نفسه في المجتمع عن طريق دمه، أي عن طريق الدم الجديد الخالد الذي يهبه شرايين المجتمع، وبعبارة أخرى يكتسب الشهيد صفة الخلود عن طريق تقديم كلّ وجوده وحياته.. لا عن طريق تقديم جزء من وجوده وشخصيته، كما يفعل غيره من الخالدين، ولهذا فالنبي الكريم يقول: «فوق كلّ ذي برٍّ برٌّ حتى يقتل المرء في سبيل الله، وإذا قتل في سبيل الله، فليس فوقه برٌّ»^(١).

ولهذا ورد في الاثر أن الله يقبل الشفاعة يوم القيامة من ثلاث طبقات: طبقة الانبياء وطبقة العلماء ثم الشهداء، فعن طريق الانبياء اهتدى الناس ونجوا من الظلمات، والعلماء في هذا الحديث هم العلماء الربانيون بما فيهم الأئمة الاطهار والرهط الصالح من اتباعهم ومن حذا حذوهم، وهؤلاء أيضاً ساروا على طريق الانبياء واخرجوا الناس من الظلمات الى النور، والشهداء

(١) الكافي ٥: ٥٣، باب فضل الشهادة، وعنه في بحار الأنوار ٧١: ٦٠، الباب ٢.

ينهضون بنفس الدور، يضيئون الدرب أمام الناس، فيهتدي من يريد الهداية، وبذلك يكون الشهداء شفعاء لمن اهتدى بهم».

الاندفاع نحو الشهادة^(١)

الاندفاع نحو الشهادة ظاهرة نلمسها بوضوح في جمهرة غفيرة من مسلمي صدر الاسلام^(٢)، وحين يتطلع الإنسان الى هذه الظاهرة يحس أن في أعماق هذه الفئة المؤمنة شوقاً ولهفة الى الشهادة، فهذا عليّ عليه السلام يقول: «انه لما أنزل الله سبحانه، قوله: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟»

فقال ﷺ: «يا عليّ، إن أمتي سيفتنون من بعدي».

فقلت: «يا رسول الله أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عني الشهادة، فشق ذلك عليّ، فقلت لي: «أبشر فإن الشهادة من ورائك؟»

فقال ﷺ لي: «إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟»

فقلت: «يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن

البشرى والشكر!»

(١) نقلاً عن محاضرة للشهيد مطهري القيت في ليلة عاشوراء.

(٢) تكررت هذه الظاهرة في ايران الإسلام ابان الثورة الإسلامية وایام الحرب المفروضة، فاندفعت الملايين تطلب الشهادة، فكانوا يأتون الأفراد للامام الخميني الراحل ويطلبون منه ان يدعو الله لهم أن يرزقهم الشهادة! وكذلك هذه الظاهرة نجدها بين افراد مقاتلي المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين ضد الاحتلال الصهيوني الغاصب.

ويقول علي أيضاً: «إن أكرم الموت القتل! والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة علي الفراش في غير طاعة الله».

هذا الاندفاع لم يكن مقصوداً على الإمام علي وأمثال علي، بل ان عامة الناس كانوا يأتون الى الرسول يطلبون منه أن يدعو الله لهم بالشهادة..

المسلمون يطلبون الشهادة

«هذا خثيمة واحد من الناس الذين يتنازع مع ابنه ليسبقه في الاستشهاد، فالأب يصر على الابن ان يبق في البيت ليذهب هو الى الجهاد، والابن يصر على الاب كذلك بالبقاء في البيت ليذهب هو.. فيقترعان.. فتقع القرعة على الابن، فيذهب، ويستشهد، ثم يرى الأب ولده في عالم الرؤيا يقول له: يا أبت، انه قد وعدني ربّي حقاً!

وتصاعد شوق الاستشهاد في نفس الرجل العجوز فهرع الى النبي يقول له: لقد وهن عظمي وخارت قواي، لكنني اشتاق الى الشهادة، فاسأل الله ان يرزقني إياها.. فدعاه رسول الله، ولم يمر عام حتى نال الرجل ما تمناه.. فقد سقط في معركة أحد مضمخاً بدم الشهادة!

وهذا «عمرو بن الجموح».. كان قد أصيب في إحدى رجليه وسقط عنه حكم الجهاد إذ (ليس على الأعرج حرج).. وحانت معركة أحد فتجهّز أولاد هذا الرجل للمعركة، وهم هو أيضاً أن يشارك مع أبنائه..، اجتمع اهله واقاربه ينصحونه بالبقاء فأبى ان يصغي لهم.. وذهب الى الرسول شاكياً يقول: أبنائي يمنعوني ان افوز بالشهادة، فأجازه رسول الله أن يشارك في المعركة، وطلب

من أبنائه ان يدعوهُ يحقّق أمنية في الاستشهاد فحاض المعركة واستشهد .

وعندما بلغ خبر فشل المسلمين في احد الى المدينة سارع من كان في المدينة الى جبل احد، وبينهم امرأة عمرو بن الجموح...، عثرت هذه المرأة على جسد زوجها وابنها وأخيها، فوضعت الاجساد على ظهر بعر، وقفلت راجعة الى المدينة لتدفن قتلاها في البقيع .. لكنها الفت البعير يأبى الاتجاه نحو المدينة، ولا يتحرك اليها الا بمشقة، فالتقت بنسوة قادمات من المدينة نحو أحد بينهن عائشة زوج الرسول ﷺ .

فقالت المرأة لعائشة: ان هذا البعير يأبى العودة الى المدينة وكأنه يروم الذهاب الى احد .

قالت عائشة: لننطلق معاً الى النبي في احد، ثم قصّت المرأة على النبي ما كان من شأن البعير، فسألها رسول الله عمّا قاله زوجها حين غادر المنزل، قالت: رفع يده الى السماء، وسأل الله تعالى ان لا يعيده الى بيته، فأخبرها النبي باستجابة دعوة زوجها، وأمر بدفنه مع سائر الشهداء في أحد» .

أهل البيت عليه السلام والشهادة

«روح الاندفاع نحو الشهادة تجسّدت في كلّ أئمة آل البيت عليه السلام، واتباعهم، وهذه الروح تطفح في أدعيتهم التي خلّفوها لنا ومنها: اللهم برحمتك في الصالحين فأدخلنا، وفي عليين فارفعنا... وقتلا في سبيلك مع وليّك فوقّ لنا، والحسين بن علي عليه السلام، يرّدّ وهو يسير نحو كربلاء هذه الابيات:

فان تكن الدنيا تُعدّ نفيسة فدار ثواب الله أعلى وأنبل

وان تكن الاموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل
وان تكن الابدان للموت أنشئت فقتل امريء بالسيف في الله أجمل

البكاء علي الشهيد

حمزة ابن عبدالمطلب عمّ النبي الكريم، أسْتُشْهِدَ في أحد، ولمع اسمه بين شهداء صدر الإسلام، وحاز لقب سيّد الشهداء، وقبره الآن بين شهداء أحد مزار لكل الذين يقصدون زيارة المدينة المنورة.

كان حمزة قد هاجر من مكة الى المدينة حيث مكث وحيداً ليس معه فيها من ذويه أحد، حتى اسْتُشْهِد، وحين رجع النبي ﷺ بعد معركة أحد الى المدينة، وجد أصوات البكاء تتصاعد من بيوت الشهداء الأبيت حمزة.. فقال عبارته المعروفة: «أما حمزة فلا بواكي له».

سرعان ما انتشرت هذه الكلمة في أرجاء المدينة، فأسرعت النساء الثكلي والأيامي الى بيت حمزة ليبكيه احتراماً لمقولة النبي ولحمزة عمّه. فأصبحت العادة منذ ذلك الوقت أن يذهب كل من يريد أن يبكي على شهيد، الى بيت حمزة ليبكيه أولاً.

وهذه الحادثة دلّت على أن الإسلام وإن لم يشجّع على بكاء الموتى يميل الى أن يبكي الناس على الشهيد.. لأن البكاء على الشهيد اشتراك معه فيما سجّله من ملاحم، وتعاطف مع روحه، وانسياق مع نشاطه وتحركه وتيّاره.

كان حمزة سيّد شهداء زمانه، وحاز الحسين على لقب سيّد شهداء جميع الأعصر والدهور، كمریم العذراء التي كانت سيّدة نساء زمانها، ثم أضحت فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين.

كان حمزة قبل استشهاد الحسين عليه السلام رمزاً للبكاء على الشهيد، وكان البكاء عليه مظهراً من مظاهر الانشداد بطريق الشهادة، ثم انتقلت هذه المكانة الى الحسين بعد وقعة كربلاء^(١).

دفن شهداء كربلاء

في اليوم الثالث عشر من المحرم أقبل الإمام السجاد عليه السلام لدفن أبيه عليه السلام^(٢) لأن المشهور عند الإمامية أن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله، ويشهد لصديق هذه الرواية، المناظرة التي دارت بين الإمام الرضا عليه السلام مع علي بن حمزة، حيث قال الرضا عليه السلام: أخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً؟ قال علي بن أبي حمزة: بلى.

فقال الرضا عليه السلام: فمن ولي أمره؟ قال ابن أبي حمزة: تولاه السجاد عليه السلام.

فقال الرضا عليه السلام: فأين كان علي بن الحسين؟ قال ابن أبي حمزة: كان محبوساً في الكوفة عند ابن زياد ولكنه خرج وهم لا يعلمون حتى ولي أمر أبيه، ثم انصرف إلى السجن.

فقال الرضا عليه السلام: إن من مكن علي بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه ثم ينصرف يمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه وليس هو في حبس ولا أسار.

وروى اصحاب المقاتل لما أقبل السجاد عليه السلام وجد بني أسد مجتمعين

(١) نقلاً عن محاضرة للشهيد مطهري القيت في ليلة عاشوراء.

(٢) إثبات الوصية، للمسعودي: ١٧٣، وقد صادق على هذه المقولة الشيخ المفيد في (المقالات: ٨٤)، والمجلسي في مرآة العقول (١: ٣٧٣).

عند القتلى متحيرين لا يدرون ما يصنعون ولم يهتدوا إلى معرفتهم وقد فرق القوم بين رؤوسهم وأبدانهم، وربما يسألون من أهلهم وعشيرتهم، فأخبرهم عليه السلام عما جاء إليه من مواراة هذه الأجساد الطاهرة وأوقفهم على أسمائهم كما عرفهم بالهاشميين من الأصحاب فارتفع البكاء والعيويل وسالت الدموع منهم كل مسيل، ونشرت الأسديات الشعور ولطمن الخدود، ثم مشى الإمام زين العابدين إلى جسد أبيه واعتنقه وبكى بكاءً عالياً وأتى إلى موضع القبر ورفع قليلاً من التراب فبان قبر محفور وضريح مشقوق، فبسط كفيه تحت ظهره، وقال عليه السلام: «بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صدق الله ورسوله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم»، وأنزله وحده ولم يشاركه بنو أسد فيه وقال لهم: إنَّ معي من يعينني، ولما أقرّه في لحده وضع خده على منحره الشريف قائلاً: «طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر، فإن الدنيا بعدك مظلمة والآخرة بنورك مشرقة، أما الليل فمسهد والحزن سرمد، ...». وكتب على القبر: «هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً».

ثم مشى إلى عمه العباس عليه السلام.. ووقع عليه يلثم نحره المقدس قائلاً: «على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته..» وشقَّ له ضريحاً وأنزله وحده كما فعل بأبيه الشهيد، وقال لبني أسد: إنَّ معي من يعينني.

وقد ترك مساعداً لبني أسد بمشاركته في مواراة الشهداء وعيّن لهم موضعين وأمرهم أن يحفروا حفرتين، ووضع في الأولى بني هاشم وفي الثانية الأصحاب^(١).

(١) مقتل الحسين، للمقرم: ٣٢٠.

القسم الثاني

ليالي العشرة الأخير من صفر

الليلة العشرون

خاصية عدد الأربعين وآثار الزيارة

قال تعالى:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ
مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(١)

عن الإمام العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»^(٢).

إنَّ الحديث الشريف المروي عن الإمام العسكري عليه السلام يذكر للمؤمن أي: الإنسان المسلم المتمسك بولاية أهل البيت عليهم السلام، خمسة علامات:

الأولى - صلاة إحدى وخمسين: وهي عبارة عن سبعة عشرة ركعة فريضة اليومية وأربعة وثلاثين ركعة نافلة صلاة اليومية وإحدى عشرة ركعة نافلة الليل فيكون المجموع إحدى وخمسين ركعة.

الثانية - الجهرُ ببسم الله الرحمن الرحيم: وجوباً في صلاة الصبح

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

(٢) بحار الأنوار ٩٥: ٣٤٦.

وصلاتي المغرب والعشاء من الصلاة اليومية، واستحباً في صلاتي الظهرين الاخفائية.

الثالثة - التختم باليمين: وهو من سنة النبي وأهل بيته وشعاراً للمؤمنين.

الرابعة - تعفير الجبين: هو تعفير الجبهة بالتراب في السجود حيث لا بد من وضع الجبهة على ما يصح السجود عليه والتراب أفضل سواء في الصلاة أو في سجدة الشكر.

الخامسة - زيارة الأربعين: (١) والمقصود منها هو زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر يوم الاربعين من مقتله فهي اهم علامة المؤمن، وهو محل الشاهد وموضوع بحثنا، وفيه نبحت مفهوم الزيارة وآثارها، ولكن قبل التطرق إليه لا بدّ من التعرف على خاصية عدد الاربعين من خلال الآيات والروايات:

خاصية عدد الاربعين

إنّ الله تعالى قد جعل لعباده مواقف زمانية ومكانية بغية تعميق العلاقة

(١) قد رويت زيارته في هذا اليوم على نحوين أحدهما ما يروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن عطية الكوفي وهي بعينها زيارته في النصف من شهر رجب مع إختلاف قليل في بعض الكلمات، والزيارة الأخرى عن صفوان بن مهران عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال لصفوان تزور الحسين في الأربعين ضحى أي: عند ارتفاع النهار فتقول: السلام على ولي الله وحبيبه السلام على خليل الله ونجيبه السلام على صفى الله وابن صفيه السلام على الحسين المظلوم الشهيد السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات..... إلى آخر الزيارة ثم تصلي ركعتين وتدعو بما أحببت. (راجع إقبال الأعمال: ٥٨٩، و البلد الأمين: ٢٧٤، مصباح المتعبد: ٧٢٠، وكتاب مفاتيح الجنان، باب الزيارات، الفصل السابع).

والارتباط بخالقهم والتفرغ له عما سواه رحمة بهم، ومن أهم تلك المواقيت المكانية بيته الحرام وعرفات ومنى في مكة، وغيرها من المواقيت المكرمة والمشاهد المشرفة، ومن المواقيت الزمنية ليالي الجمعة وأشهر النور رجب وشعبان ورمضان، وشهر ذي الحجة الحرام، خصوصاً العشرة الأولى منه حيث جعلها الله تعالى موعداً للقاءه والتقرب منه والزلقة إليه، وهذه العشرة الأولى هي المراد منها في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾^(١)، وهي العشرة التي أتم بها موسى عليه السلام ميقاته مع ربه، في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٢)، فدلّت الآية على أنّ الأربعين ليلة هي المرحلة الزمنية لسير الإنسان نحو الكمال والتي يتأهل بها للقاء ربه من خلال العبادة المخلصة له، فيتنوّر قلبه بذلك اللقاء فيحصل على العلم والحكمة، كما جاء هذا المعنى في الروايتين التالية وغيرها من الروايات، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: مَا أَخْلَصَ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعِينَ يَوْماً أَوْ قَالَ مَا أَجْمَلَ عَبْدٌ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعِينَ يَوْماً إِلَّا زَهَّدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا وَبَصَّرَهُ دَاءَهَا وَدَوَاءَهَا فَأَثْبَتَ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ.....^(٣)

وعن رسول الله ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَنِّي مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثاً فِي أَمْرِ دِينِهِ يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيهاً عَالِماً»^(٤).

ويذكر القرآن إنّ الإنسان يصل إلى مرحلة البلوغ والرشد العقلي في

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

(٣) الكافي ١٦: ٢، باب الإخلاص، عيون أخبار الرضا ٢: ٦٩، الباب ٣١.

(٤) بحار الانوار ٢: ١٥٤ باب ٢٠، وسائل الشيعة ٨: ٩٤، الباب ٢٧.

سَنُّ الأربعين كما صرَّحت بذلك الآية التالية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾^(١).

مفهوم الزيارة وآثارها

فيما يتعلق بمسألة الزيارة وفلسفتها ينبغي الالتفات الى امرين مهمين:

الأمر الأول: إِنَّ الإنسان المؤمن بعد الموت يحصل على حياة أفضل وأكمل بسبب اتصاله بعالم الملكوت وانسه وحشره بالجواهر القدسية كالملائكة فيكون آثار وجوده وهو في عالم البرزخ أوسع وأقوى مما كان عليه في الحياة الدنيا، كما أَنَّ الإنسان في حالة النوم يتمتع بدرجة ضعيفة من الشعور والاحساس وكأنه نصف حي وعند الاستيقاظ تكمّل حياته، فكذلك حالة حياة الإنسان في عالم البرزخ، فإنه تستكمل حياته الروحية.

الأمر الثاني: أَنَّ روح الميت الموجودة في عالم البرزخ لها ارتباط وعلاقة مع جسدها المدفون في القبر وهذا الإرتباط بالنسبة لأولياء الله هو اقوى من غيرهم ولذا نرى بأنّ أجسام هؤلاء لا تبلى وأما الأرواح الضعيفة لأنّها مشغولة بنفسها ومصائبها فلذا نرى بأنّ أجسام هذه الأرواح تبلى بسرعة، وقد أشارت الروايات العديدة وكلمات العلماء والفلاسفة إلى هذا المعنى ولايسع المجال لذكرها^(٢).

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) من أراد الإطلاع على ذلك فليراجع ابواب الزيارة في المجامع الحديثية وكتب الفلسفة والعرفان منها: رسائل ابن سينا، وتعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس للأمام الخميني (قدس سر).

وعلى أساس هذا المفهوم والنظر إلى الأموات فإذا كان المزور من أولياء الله فتكون زيارته تعظيماً له وسبباً لرفع درجاته، وبذلك يستفيد الزائر من دعاء المزور وبركاته وخيراته ويكون سبباً لتقرب الزائر إلى الله، وإذا كان المزور من عامة الناس كقبور أموات المسلمين والمؤمنين فيكون زيارة قبره تكفيراً لذنوب الميت وازدياداً لحسناته، وعلى أساس هذا المفهوم والمعنى للزيارة وآثارها الدنيوية والأخروية جاءت الروايات العديدة لتؤكد على فوائد وآثار زيارة القبور خصوصاً زيارة قبور الأنبياء والأولياء لاسيما زيارة النبي الأكرم واهل بيته الطاهرين ومنها واهمها زيارة قبر مولانا وسيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

الزيارة ومشروعيتها^(١)

إننا نرى كافة الشعوب في العالم تخصص أماكن خاصة لمشوى شخصياتهم السياسية والدينية، كي تبقى رمزاً خالداً لهم إلى الأبد، فكما أنّ الكعبة، والصفاء، والمروة، ومنى، وعرفات، والحجر الأسود، تعتبر من شعائر الله وتستحق الاحترام والتعظيم بسبب ارتباطها بالله وانتسابها إليه سبحانه، فكذلك قبور أولياء الله سبحانه الذين كانوا حماة دين الله ورواد أحكامه تعتبر

(١) قد تناولت الموسوعات الحديثة لدى أتباع أهل البيت موضوع الزيارة بشكل واسع، الامر الذي يدل على وجود اهتمام بالغ وخاص بهذا الموضوع، فألفت الكتب الخاصة بهذا الموضوع منذ القرون الاولى، مثل كتاب كامل الزيارات لابن قولويه، ومصباح المتجهد للشيخ الطوسي، والاقبال للسيد ابن طاووس، والمزار الكبير للشيخ محمد المشهدي، والمصباح للكفعمي، ولعل أفضل وأشهر كتاب جامع مختار في هذا العصر، هو كتاب (مفاتيح الجنان)، للمرحوم المحدث الشيخ عباس القمي، والذي أخذ فيه من المصادر المختلفة، وقد طبع منه حتى الان ملايين النسخ، وانتشر في جميع الاوساط والبلدان، وترجم إلى اللغات الاخرى، وهذا يدل على إخلاص مؤلفه، ويمكن من خلال مراجعته التعرف على تفاصيل الزيارات وآدابها وأوقاتها والادعية الواردة فيها.

من شعائر الله، ومما لا شك فيه أنّ زيارة قبورهم تنطوي على آثار أخلاقية وتربوية مهمة، ولها آثار عديدة دنيوية وأخروية، وكان رسول الله نفسه يزور قبور صحبه المدفونين في بقيع الغرقد، ويזור قبور الشهداء في أحد، بما فيها قبر سيدهم عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله، وبأبيها النبي ٩ اقتدت ابنته فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين عليها السلام، فكانت تخرج لزيارة قبر عمّها حمزة كل أسبوع، فتصلي عند قبره، وتبكي^(١).

وتعتبر زيارة قبور أولياء الله تعالى، من الانبياء والأوصياء، من أبرز الشعائر الدينية في كل الأديان السماوية، ومع ذلك يوجد من يذهب إلى كراهة أو حرمة قصد هذه القبور بالسفر والزيارة أو بناء الابنية والقباب عليها، كما ذهب إلى ذلك محمد بن عبد الوهاب واتباعه، إلّا أنّ الروايات الكثيرة المتواترة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام، وأصحابه الكرام تؤكد استحباب هذا العمل، ونشير هنا إلى بعض الروايات التي وردت عنهم بالأجمال: فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «زوروا القبور فإنّها تذكركم الآخرة»^(٢)، وقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضا وعلل الأحكام، وكذلك ابن قولويه في كتابه كامل الزيارات عن الامام الرضا عليه السلام، أنه قال: «إنّ لكل امام عهداً في عنق اوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»^(٣).

وفي رواية أخرى عن زيد الشحام قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام، ما لمن

(١) المستدرک علی الصحيحین للحاکم ١: ٢٧٧.

(٢) صحيح ابن ماجه ١: ١١٣.

(٣) بحار الانوار ٩٧: ١١٦، ح ١.

زار واحداً منكم؟ قال: «كمن زار رسول الله ﷺ»^(١)، وروي عنه عليه السلام: «من زار واحداً منا كان كمن زار الحسين عليه السلام»^(٢).

ولعل أشهر نص يزار به جميع أئمة أهل البيت الاحد عشر المستشهدين هو الزيارة المعروفة بزيارة أمين الله، وقد قال عنها العلامة المجلسي (رحمه الله) إنها أحسن الزيارات متناً وسنداً، وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات المقدسة، وقد روي عن جابر عن الامام الباقر عليه السلام أن الامام زين العابدين عليه السلام زار بها أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ذكرها المحدث القمي في الزيارات المطلقة للامام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ذيلها بكلام الامام الباقر: «ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد من شيعتنا عند قبر أمير المؤمنين أو عند قبر أحد من الأئمة، إلا رفع الله دعاءه في دُرج من نور، وطبع عليه بخاتم محمد ﷺ، وكان محفوظاً حتى يسلم إلى قائم آل محمد عليه السلام، فيلقى صاحبه بالبشرى والتحية والكرامة إن شاء الله»^(٣).

وأيضاً إن من أفضل الزيارات التي يُزار بها أي من الأئمة عليه السلام من قريب أو بعيد هي الزيارة الجامعة الكبيرة^(٤) المنقولة عن الإمام الهادي عليه السلام، وقد أكد الكثير من العلماء على المواظبة على قراءتها في جميع المشاهد المشرفة، وهذه الزيارة قد أوردها العلماء في كثير من كتب الأدعية والزيارات، كما أنه أفضل صلاة يصلّيها الزائر بعد زيارتهم عليه السلام هي صلاة جعفر الطيار^(٥)

(١) ثواب الأعمال: ٩٨، وعنه في بحار الانوار ٩٧: ١١٧، ح ٥.

(٢) ثواب الأعمال: ٩٨، وعنه في بحار الانوار ٩٧: ١١٨، ب ٢، ح ١٠.

(٣) مفاتيح الجنان، الباب الثالث (باب الزيارات)، الزيارات المطلقة للامام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) الزيارة الجامعة الكبيرة: صرح العلامة المجلسي ووالده أن الزيارة الجامعة الكبيرة هي أرقى الزيارات متناً وسنداً، ويقول والده: إنني لم أزر الأئمة عليهم السلام ما دمت في الاعتبار المقدسة إلا بها.

(٥) صلاة جعفر الطيار: قد ذكر الشيخ عباس القمي كيفية أدائها في كتابه (مفاتيح الجنان) ضمن أعمال يوم الجمعة

زيارات الإمام الحسين عليه السلام

لقد ورد استحباب زيارة النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت وذريتهم جميعاً، ولكن نجد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام، يختص بعدد أكبر من الروايات في مقام التأكيد لزيارته، والثواب العظيم المترتب عليها، حيث وردت الروايات العديدة من النبي ﷺ والأئمة من أهل بيته في التأكيد على زيارته من قريب ومن بعيد وفي الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة والأزمنة المباركة مثل يوم عرفه والأشهر الثلاثة رجب وشعبان وشهر رمضان خصوصاً ليالي القدر منه وإيام العيد ويوم عاشوراء ومنها التأكيد على زيارته في يوم الأربعاء من مقتل الشريف حيث جعلت من علامات المؤمن الموالي لأهل البيت عليه السلام، وقد جاء في بعضها أنَّ زيارته أفضل من زيارة بقية الأئمة المتأخرين عنه عليه السلام.

وقد قام المسلمون خصوصاً شيعة أهل البيت عليه السلام لهذا العمل طوال سنين وإن كلفهم الأموال والنفوس في هذا السبيل، فيزورونه بالزيارات المطلقة العامة التي يمكن أن يزار بها في كل وقت، وكذلك بأوقات مخصوصة ونصوص مروية بأسانيد متعددة.

وقد جاء في المجاميع الخاصة بالزيارات^(١) الاوقات المخصوصة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، حسب التسلسل الزمني لها في السنة القمرية الهجرية، ولها نصوص خاصة بها:

فراجعها.

(١) يمكن مراجعة النصوص الخاصة بهذه الزيارات في الباب الثالث من كتاب مفاتيح الجنان، باب الزيارات، وقد ذكرها متسلسلة ولكن بدأ بزيارة الأول من رجب، كما أن العلامة المجلسي قد وضع فصلاً واسعاً من كتابه بحار الأنوار يتضمن مجموع ما ورد في زيارته عليه السلام.

- ١ - زيارة عاشوراء، في اليوم العاشر من محرم الحرام.
- ٢ - زيارة الاربعين، في اليوم العشرين من صفر، وكان اول من زار الحسين بها هو جابر.
- ٣ - زيارة الاول من رجب، ولها نص خاص بها تشترك فيه مع زيارة النصف من شعبان.
- ٤ - زيارة النصف من رجب في ليلته ويومه، ونصها يشترك مع زيارة الاول من رجب.
- ٥ - زيارته في يوم مولده الشريف الثالث من شعبان، ولها نص خاص.
- ٦ - زيارة ليلة النصف من شعبان ويومه، ونصها هو زيارة الاول من رجب.
- ٧ - زيارة ليالي القدر (١٩ و ٢١ و ٢٣) من رمضان.
- ٨ - زيارة ليلتي العيدين الفطر والاضحى، ويومهما.
- ٩ - زيارة يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة، وهي من أهمّ الزيارات. ويضاف إلى هذه الزيارات المخصوصة نصوص للزيارات المطلقة التي يزار بها الإمام الحسين عليه السلام في الاوقات المختلفة عن قرب أو بُعد، وقد ذكر العلامة القمي في مفاتيح الجنان سبعة نصوص لها، أشهرها زيارة وارث المعروفة^(١).

وتختص من بين هذه الزيارات زيارتا ليلة النصف من شعبان ويوم عرفة بأهمية خاصة من حيث الثواب والأجر الذي وردت النصوص فيهما

(١) راجع الباب الثالث من كتاب مفاتيح الجنان، باب الزيارات.

أنَّهما أفضل من الحج والعمرة المستحبة، وأنَّ الله سبحانه وتعالى ينظر بالرحمة والمغفرة إلى زوار الإمام الحسين عليه السلام، قبل أن ينظر إلى الواقفين في عرفات. وكذلك زيارتا عاشوراء والاربعين من حيث الاهتمام بمراسم العزاء فيهما حيث تقام مجالس العزاء الكبيرة وتخرج المواكب المنظمة الكثيرة وتوجد آداب عامة ومفصلة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وأعمال يؤديها الزائر في حرمه الشريف، أهمها أن يكون الإنسان على طهارة معنوية وهي الوضوء، وطهارة بدنه وثيابه من النجاسات، وكذلك الدعاء والاجتهاد في الاقبال على الله فيه والذكر والحمد والشكر له تعالى، والالتزام بجميع الآداب التي لا بد للإنسان أن يلتزم بها في حضور الامام وحياته، وهي آداب عامة لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الأئمة عليهم السلام ^(١).

خروج سبايا أهل البيت عليهم السلام من الشام

في الأول من شهر صفر سنة ٦١هـ أدخل رأس الإمام الحسين عليه السلام وموكب السبايا إلى الشام، فحينما شاهد يزيد رؤوس الشهداء على المحامل وكان في منظره على جبل جيرون بدمشق، لم يتمالك خواطره وأفصح عن سريره في شعره الذي يقول فيه:

لما بدت تلك الحمول وأشرق
تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أولاً تقل
فقد اقتضيت من الرسول ديوني

(١) بحار الانوار ٩٧: ١٣٤، مفاتيح الجنان: باب الزيارات.

فأثبت يزيد أن دوافع قتل الحسين دوافع جاهلية تعود إلى طلب ثأر المشركين الذين قتلهم رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام، وتأسف يزيد على قتلى المشركين في معركة بدر وتمنى حضورهم لمشاهدة أخذ الثأر فأنشد شعراً له أو لغيره متمثلاً به:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا لي هنياً لا تُشَل
قد قتلنا القرم من أشياخهم وعدلناه ببدر فاعتدل

وقد أضاف ابن العماد الحنبلي بيتاً آخر ليزيد:

لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

ثم أذن للناس، فدخلوا والرأس بين يديه وهو ينكت ثغر الإمام بقضيب، فقال له أبو برزة الأسلمي من أصحاب رسول الله ﷺ: «أنتكت بقضيبك في ثغر الحسين؟! أما، لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً، لربما رأيت رسول الله ﷺ يرشفه! أما، إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وشفيعك ابن زياد! ويجيء هذا يوم القيامة وشفيعه محمد ﷺ»، ثم قام فوّل^(١).

وسمعت هند^(٢) بما دار من هذا الحديث، فخرجت مذهولة ودخلت على يزيد وهي تصيح: يزيد، رأس من هذا؟ فأراد يزيد التملّص من مسؤوليته في

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٩٠، مروج الذهب ٣: ٧١.

(٢) هي هند بنت عبد الله بن عامر بن حريز من المدينة، وهي زوج يزيد آنذاك.

ارتكاب الجريمة فقال: أعولي عليه يا هند، وحدي عليه، فإنه ابن بنت رسول الله ﷺ، وصريخة بني هاشم، عجل عليه ابن زياد فقتله^(١).

خطبة السيدة زينب عليا في مجلس يزيد

و لما سمعت زينب بنت علي عليه السلام، يزيداً، يتمثل بأبيات ابن الزبير، وقفت خطيبة فقالت بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه وآله: ...أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة..... فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٢).

أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد... فكذ كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تमित وحيناً، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة...»^(٣).

(١) وقعة الطف: ٢٧٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

(٣) راجع مقتل الخوارجي ٢: ٦٤، وبحار الأنوار ٤٤: ٣٨٣.

خطبة الإمام السَّجَّاد عليه السلام في الشام

ثمَّ بعد ذلك خطب الإمام السَّجَّاد عليه السلام فأخذ يعرف نفسه على ضوء التعريف بجده رسول الله، وجده علي بن أبي طالب، وجدته الزهراء، وأبيه الحسين، ليعرّف الناس بحقيقة علي عليه السلام وأولاده، فقال عليه السلام: «أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، . . . أنا ابن من حُمِل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى الله الجليل إليه ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، . . .»

ولم يزل الإمام يقول: أنا أنا حتى ضجّ الناس بالبكاء، وخشي يزيد من وقوع الفتنة وحدوث ما لا تحمد عقباه، فقد أوجد خطاب الإمام انقلاباً فكرياً إذ عرّف الإمام نفسه لأهل الشام وأحاطهم علماً بما كانوا يجهلون، فأوعز يزيد إلى المؤدّن أن يؤدّن ليقطع على الإمام كلامه، فصاح المؤدّن «الله أكبر» فالتفت إليه الإمام فقال له: «كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله»، فلمّا قال المؤدّن: أشهد أن لا إله إلا الله قال الإمام عليه السلام: «شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ونخي وعظمي»، ولمّا قال المؤدّن: أشهد أن محمداً رسول الله التفت الإمام إلى يزيد فقال له: «يا يزيد! محمّد هذا جدّي أم جدّك؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت، وإن قلت: أنّه جدّي فلم قتلت عترته؟!»^(١).

(١) راجع بحار الأنوار ٤٥: ١٣٩، و نفس المهموم: ٤٤٨ عن مناقب آل أبي طالب ٤: ١٨١.

واستمر الإمام في خطابه يعرّف بمظلوميته وثورته الهادفة، فما كان إلا أن ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وبدأت هتافات اللعن على يزيد والبراءة من عمله... فبعد أن زين الناس الشام حتى يحسب الغريب أن فيها عيداً، انقلب الفرح حزناً، والزينة سواداً، وكان أول انتصار لدم الحسين، وإنّ أول مجلس أقيم في الشام لإحياء ذكرى الحسين في بيت يزيد، واشتركت بنات أمية في النياحة والبكاء مع نساء العترة الطاهرة، حتى أنّ هنداً زوجة يزيد كانت قد ضربت السواد في جميع حجر القصر، وعلى إثر خطاب الإمام بدأ أهل الشام بالتحرك، فخاف يزيد من انقلاب الأمر عليه وأخذ يعتذر إلى الناس بأن ابن زياد هو الذي قتل الحسين ثمّ عجل بترحيل الإمام مع ثقله إلى المدينة، وعهد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول الله ﷺ وعقائل الرسالة فيردّهنّ إلى المدينة وأمر بإخراجهنّ ليلاً خوفاً من الفتنة^(١).

وصول السبايا إلى كربلاء

خرج سبايا أهل البيت عليهم السلام من الشام في الأول من شهر صفر سنة ٦١هـ وقد وصلوا إلى العراق في العشرين من شهر صفر بعد أربعين يوماً على شهادة الحسين وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه بحسب القول المشهور، فقالوا للدليل: مرّ بنا على كربلاء، فوصلوا إلى مصرع الحسين عليه السلام، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول ﷺ وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فتلاقوا بالبكاء والحزن، وأقاموا في كربلاء ينوحون على الحسين عليه السلام ثلاثة أيام.

(١) راجع وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٧٢، وتاريخ الطبري ٥: ٤٦٢، والارشاد ٢: ١٢٢.

ووقف جابر الأنصاري على القبر فأجهش بالبكاء وقال: «يا حسين...» ثلاثاً، ثم قال: «حبيب لا يجيب حبيبه! وأتّى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك، وفُرق بين رأسك وبدنك، فأشهد أنك ابن خاتم النبيين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة الزهراء سيدة النساء... وما لك لا تكون كذلك وقد غدتك كف سيد المرسلين، ورُبّيت في حجر المتقين، ورُضعت من ثدي الإيمان، وفُطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكّة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا».

ثم جال ببصره حول القبر، وقال: «السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر، وجاهدتم الملحدّين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين».

ثم قال: والذي بعث محمداً ﷺ بالحق نبياً، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

فقال له عطية العوفي: كيف! ولم نهبط وادياً ولم نعلّ جبلاً ولم نضرب بسيف، والقوم فُرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت الأزواج؟!!

فقال له: «إني سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «من أحب قوماً كان معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم»، والذي بعث محمداً بالحق نبياً

إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه»^(١).

قم جدّد الحزن في العشرين من صفر	ففيه رُدَّت رؤسُ الآل للحفرِ
يا زائري بقعة أطفالهم ذُبحت	فيها خذوا تربها كحلاً إلى البصر
والهفتا لبنات الطُّهر حين رنت	إلى مصارع قتلاهنَّ والحفر
رمين بالنفس من فوق النياق على	تلك القبور بصوتٍ هائلٍ ذعرِ
فتلك تدعو حسيناً ووهي لا طمة	منها الخدود ودمع العين كالطر
وتلك تصرخ واجدّاه وأبتاه	وتلك تصرخ وايتماه في الصغر

(١) راجع مصباح المتهجد: ٧٣٠، بحار الأنوار ٩٨: ٣٣٤، ومنتهى الآمال ١: ٦٢٢.

الليلة الواحدة والعشرون

البلاء والامتحان الالهي^(١)

قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْثَمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ
مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن أشدَّ الناس بلاء النبيون ثمَّ الوصيون
ثمَّ الأمثل فالأمثل»^(٣).

البلاء العام والبلاء الخاص

البلاء والامتحان، هو من أهم الموضوعات التي يواجهها الإنسان في حياته، وإن القرآن الكريم يشير إلى أنَّ البلاء والامتحان هو سنة من السنن الإلهية التي وضعها الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان، وظاهرة خصَّ بها

(١) إقتباس من مقال لشهيد المحراب آية الله السيد محمد باقر الحكيم، بتلخيص وإضافات.

(٢) البقرة: ١٥٦، ١٥٥.

(٣) علل الشرائع ١: ٦٠، ب ٤٠، ح ١.

الله الإنسان، كما أنها لا تختص بجماعة دون أخرى من الناس، بل هي عامة وشاملة للإنسان، ويبدو من شموليتها أنه سَنَّة لأصل وجود وخلق الإنسان، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَوِيْعًا بَصِيرًا﴾^(١)، فهنا إشارة إلي أصل خلقه الإنسان[... نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ...]، ثم اقترن البلاء بذلك فهو بلاء لعموم الإنسان.

وكذلك نرى أن القرآن الكريم يشير إلي هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٢)، فأصل وجود الموت والحياة في حركة الإنسان، إنما كان لإبتلاء الإنسان وإختباره، ومن المعلوم أن (الموت والحياة) حالة عامة وشاملة لكل إنسان، سواء كان مؤمناً أو كافراً أو أي صفة أخرى.

ولكن في آيات أخرى يبين القرآن الكريم أن هذا البلاء والإمتحان هو بلاء للإنسان بعد أن يعلن إيمانه فهو امتحان لخصوص المؤمنين حيث يقول تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ^(٤)، وفي الآية الكريمة التالية، يخاطب القرآن الكريم خصوص (المؤمنين) الثابتين بالإيمان، ولكن من أجل تحييصهم ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّعِيفِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٥).

فلسفة الإبتلاء والامتحان

إذا كان تكامل الإنسان بإرادته، فاننا نلاحظ أن الإمتحان والإختبار

(١) الإنسان: ٢.

(٢) الملك: ٢.

(٣) العنكبوت: ٢، ٣.

(٤) محمد: ٣١.

والإبتلاء هو طريق تربية هذه الإرادة وتطهير وتطوير لهذا الإنسان، ونستطيع تمثيله من حيث تقريب الصورة بالأعمال التي يقوم بها الإنسان في ممارسته الرياضية لتربية جسمه وكماله الجسدي، فعندما يريد الرياضي أن يكون قادراً علي حمل أكبر قدر ممكن من الأثقال، فهو يحتاج من أجل أن يتكامل في الحمل، أن يحمل في البداية على سبيل الفرض ثلاثين (كغم) وبعدها يبتلي بحمل خمسة وثلاثين، وأربعين وهكذا يتصاعد هذا الإمتحان والإبتلاء، وكلما كان هذا الإنسان وقدرته على حمل الأثقال أكثر... وهكذا في كل التجارب الأخرى ذات العلاقة بالتربية البدنية.

أما في التربية الروحية وتطوير إرادة وعزم الإنسان في تحمله أشد الشدائد والمصائب والضغوط بهدف الوصول إلى تلك الدرجات العالية، فهي تحتاج أيضاً - إلى نظير هذا الإبتلاء والإمتحان في القضايا البدنية، فيتعرض الإنسان إلى هذه الإبتلاءات والأمور الصعبة من أجل تكامله في العزم والإرادة، وبهذا يمكن أن نفهم ما ورد في الأحاديث الشريفة التي تعبر عن هذه الحقيقة، ففي الحديث عن الصادق عليه السلام: «إن أشد الناس بلاء النبيون ثم الوصيون ثم الأمثل فالأمثل»^(١)، لأنه كلما ارتقى الإنسان في درجة التكامل كان الإمتحان والإبتلاء الذي يرد عليه أشد وأصعب... وحتى أن الأنبياء أنفسهم متفاوتون في ذلك، فكلما كان النبي أعظم وأقرب عند الله سبحانه وتعالى كلما كان إمتحانه وبلاؤه أعظم وأكبر، فالنبي إبراهيم عليه السلام عندما تكامل في نبوته، إبتلاه الله تعالى بأمر أعظم من النبوة التي هي إبلاغ الرسالة إلى الناس، وهذا الأمر الأعظم هو ما جاء في الآية التالية في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

(١) علل الشرائع ١: ٦٠، الباب ٤٠، ح ١.

(٢) البقرة: ١٢٤.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾^(١).
وغيرهم من الأنبياء.

وأما نبينا محمد ﷺ وهو سيد الأنبياء والمرسلين فكان أشد الأنبياء إمتحاناً لأنه ﷺ كان أقرب الأنبياء إلى الله تعالى وأحبهم إليه. ومن هنا يمكن أن نفهم ما هو معروف عما ورد عن رسول الله ﷺ من قوله: «ما أذى نبيٍّ مثل ما أوديت»^(٢)، وذلك لأنه سيد الأنبياء وخاتم المرسلين فهو يحتاج لهذا القدر من البلاء.

تنوع الابتلاء بالخير والشر

قد أشار القرآن الكريم إلى أن البلاء على نوعين فأحدهما بلاء خير والآخر بلاء شر، بلاء حسنة وبلاء سيئة، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٣)، لأن اختبار الإرادة تارة يكون بالمصائب والآلام والمحن، وأخرى يكون بالنعم وكثرة الأموال والأولاد والجاه والمقام، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاؤُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٤)، لأن الميول والرغبات والأحاسيس والمشاعر لدى الإنسان ذات أبعاد مختلفة، وجميعها تحتاج إلى تربية وتهذيب وتزكية وتطهير، وتهذيب النفس والسيطرة عليها يحتاج إلى هذا التنوع في الابتلاء والإمتحان.

(١) سورة ص: ٣٤.

(٢) بحار الأنوار ٣٩: ٥٦، الباب ٧٣.

(٣) الأنبياء: ٣٥.

(٤) الأنفال: ٢٨.

أسباب واقسام الإبتلاء

يبدو من آيات القرآن الكريم أن البلاء على قسمين:

١ - البلاء الذي يكون سببه إرادة الإنسان وعمله: وهو ما يعبر عنه القرآن الكريم بالسيئة والفساد والهلاك أحياناً، فإنَّ الإنسان من خلال سلوكه يكون مسبباً لهذا البلاء، كما يمكن من خلال سلوكه أيضاً أن يكون مانعاً من وجود البلاء ونزوله، فقد ورد في الدعاء: ((... اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء...))^(١).

٢ - البلاء الذي يكون سببه الأوضاع الكونية والطبيعية: إنَّ الله تعالى خلق هذا الكون وفق نظام عام يحكمه.. نظام فيه الحياة والشمس والقمر والهواء والمياه وغيرها من مخلوقاته تعالى، ولذلك يمكن أن نجد نوعاً آخر من البلاء ينشأ مما نسميه بالعوامل الطبيعية كحصول الزلازل والسيول والفيضانات أو الآفات الزراعية أو الجذب وقلة نزول الأمطار وكل ما يصيب الإنسان جراء العوامل الطبيعية المرتبطة بهذا النظام الكوني، وهذا القسم يكون على نحوين:

الأول: بلاء إختبار يكتبه الله تعالى للإنسان: فقد يمتحن الإنسان بماله أو بدنه أو بأهله وعشيرته أو مجتمعه من السراء والضراء أو الشدة والرخاء والأمور المحيطة به، لأجل أن يرى مدى صبره ونجاح الإنسان في مواجهة هذه الضغوط والإمتحان وشكر هذه النعم، فعندما يصبر، يتكامل الإنسان ويتصاعد في درجات الكمال ويكون من أصحاب الحظ العظيم كما ابتلى الله

(١) من دعاء كميل المعروف.

على مرّ العصور أنبياءه وأوليائه والمؤمنين وجمعاً من الناس .
وعندما يتخاذل الإنسان عند الاختبار ويضعف يسقط ويتسافل ، والمثل
المعروف ، عند الإمتحان يُكرم المرء أو يُهان يعطي هذا المعنى .

الثاني: بلاء عقوبة وتأديب بسبب فعل الإنسان: اي: بإرادة الإنسان
وبما يكسبه في هذه الدنيا من وراء فعله وسلوكه كما يشير القرآن الكريم، في
قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ
الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١)، وقد فُسر هذا الفساد في البر بالجدب وبالبحر
بالسيول، وبذلك يشير القرآن الكريم إلى أن ما يقع على الإنسان من كوارث،
إنما هو بسبب سلوكه وما كسبته يده، فإن كل شيء يجري في هذا الكون، إنما
هو بأمر من الله تعالى وإرادته تعالى، ولكن هذه الإرادة الكونية الإلهية يربطها
الله تعالى في بعض الموارد بإرادة الإنسان.

وهذا المعنى يذكره القرآن في آيات أخرى بصورة أكثر وضوحاً، في
قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

فإذا كان السلوك العام للناس هو الإيمان والتقوى، فإن الله تعالى يغيّر من
الأوضاع العامة التي تحيط بهذا الإنسان فيفتح عليه أبواب البركات من السماء
والأرض، أما إذا كان السلوك العام له هو تكذيب الأنبياء والخروج على طاعة
الله تعالى وحدوده، فسوف ينزل العذاب على هذا الإنسان.

فكان هذا العذاب إختباراً للمؤمنين وعذاباً على الكافرين والمنافقين

(١) الروم: ٤١.

(٢) الأعراف: ٩٦.

والفاسقين المنحرفين، لأن البلاء عندما ينزل يعم المؤمن والكافر والظالم والمظلوم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١).

موقف الإنسان من الابتلاءات

قد يصاب الإنسان بفقد ولده أو ماله أو يصاب بمرض من الأمراض، إلى غير ذلك مما يصاب به الإنسان في مسيرة حياته الدنيوية، فنلاحظ بأن الشارع المقدس وضع وحدد مواقف واضحة للإنسان تجاه هذه الابتلاءات والامتحانات، وهي:

الأول: الإقرار لله تعالى بالمالكية: كما يدل على ذلك مضمون (الإسترجاع) المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢)، فالإسترجاع معناه: الإعتقاد والإيمان بهذه الحقيقة الكونية في حياة الناس، وهي أن الإنسان مخلوق لله تعالى، فهو له سبحانه وتعالى وراجع إليه، فعندما يأخذ شيئاً من مالٍ أو ولدٍ أو صحةٍ وغيرها، فهو في الواقع قد استرجع منّا ما يملكه، فقد ورد عن علي عليه السلام: ((إن قولنا: «إنا لله» إقرارٌ على أنفسنا بالملك، وقولنا «إنا إليه راجعون» إقرارٌ على أنفسنا بالهلك))^(٣)، إقرار من الإنسان بأن كل شيء في الوجود هالك ويرجع إلى الله تعالى، وذلك قانون إلهي يشمل كل هذا

(١) الأنفال: ٢٥.

(٢) البقرة: ١٥٦، ١٥٥.

(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم، رقم: ٩٩.

الوجود ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١).

الثاني: الرضى بما قسم الله تعالى للإنسان واختار له والصبر على المصيبة وتحملها: فإن الإقرار لله تعالى بالملك والرجوع إليه في المصير، لا بد أن يصحبه الرضى بذلك والتسليم له في الأمر، والإلتزام بمنهج الحق والعدل في السير، دون تغيير بسبب هذه المحن والمصائب، ودون جزع أو خروج عن الحدود الشرعية والاجتماعية العامة، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢)، فالإنسان الراضي بما قسم الله تعالى له والصابر على نوع من البلاء يكون إنساناً مُبَشَّراً بالنتائج والآثار التي سوف تترتب على هذا الصبر والعزم، وهو ما يذكره القرآن الكريم في الآية الثالثة من هذا المقطع الشريف ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٣).

المعالجة الروحية للمصائب

لا شك أن المصائب الشديدة تترك على نفس الإنسان وروحه أثراً عميقة وتشكل ضغطاً على الجانب المعنوي له، ومن أجل مساعدة الإنسان على تحمل هذه الضغوط ومعالجة الآثار النفسية وتفاديها، تشير النصوص الشريفة إلى عدد من المعالجات والأمور التي تهوّن عنده المصائب من الناحية النفسية والروحية:

الأمر الأول: الالتفات إلى هوان الدنيا عند الله تعالى والزهد بها، فإن ذلك يكون سبباً في تهوين ما يصيب الإنسان من المصائب في هذه الحياة الدنيا.

(١) الرحمن: ٢٦، ٢٧.

(٢) البقرة: ١٥٥.

(٣) البقرة: ١٥٧.

الأمر الثاني: الالتفات إلى أن الإنسان مهما طال به الأمد، فسوف تنتهي حياته بالموت، ويفقد الإنسان كل شيء في هذه الحياة الدنيا.

الأمر الثالث: أن يتذكر المصائب الأكبر التي يصاب بها الناس، فكلما يصاب الإنسان بمصيبة ويلتفت إلى هذه الملاحظة، يجد هناك مصيبة أعظم وأكبر من هذه المصيبة التي أصابته، إلى أن تصل مصيبة الإنسان بدينه، فإنها تكون عندئذٍ نعوذ بالله أعظم المصائب.

فعندما يصاب الإنسان - مثلاً - بما له يحمد الله على عافيته لأنها أفضل من المال، وعندما يصاب بعافيته يحمد الله تعالى على حياته ووجوده في الدنيا، وهكذا عندما يصاب الإنسان بنفسه يحمد الله تعالى على هذه المصيبة، لأنها لم تكن في دينه وعقيدته وإيمانه، لأن الدين أغلا من المال والنفس، وقد ورد في الحديث الشريف في تهوين مصاب الإنسان بتذكر المصائب الأعظم، فعند ما يتذكر الإنسان ما يلاقه من عذاب ومحن في يوم القيامة، وأن هذه المصائب سوف تخفف عنه آثار وتبعات ومحن ومصائب يوم القيامة، أو تمنحه درجة عالية عند الله تعالى فيها، فإن كل ذلك يكون له أثر كبير في معالجة الآثار النفسية والروحية للمصائب وعندها تصغر أمامه مصيبة أعظم.

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصابه بالنبي ﷺ فإنه من أعظم المصائب»^(١)، لأن أعظم مصاب أصيب به المؤمنون في الحياة الدنيا هو فقدهم لرسول الله ﷺ، كما عليه أن يتذكر ما تعرّض له أهل البيت عليهم السلام من المصائب والمحن والآلام، فيتذكر المؤمنون مصابهم برسول الله ﷺ وآلامه، ويتذكرون مصابهم بأمر المؤمنين عليه السلام، ومحنته وآلامه،

(١) الكافي ٣: ٢٢٠، ح ١.

ويتذكرون مصابهم بفاطمة الزهراء وآلامها، ويتذكرون مصابهم بالحسن والحسين عليهما السلام وما جرى عليهما من آلام ومحن ومصائب، الأمر الذي يخفف في نفوسهم آثار كل ما يصيبهم، وقد قال الشاعر:

أنست رزيتكم رزاينا التي سلفت وهونت الرزايا الآتية

مجالس العزاء على مصاب الشهداء

هنا يبرز أمامنا موضوع مهم في مجال المصاب بفقد الأحبة وهو: موضوع مجالس العزاء والبكاء.

قال رسول الله ﷺ في جواب بعض أصحابه رضي الله عنه عندما اعترض عليه في بكائه على ولده إبراهيم: يا رسول الله ﷺ لقد نهيتنا عن هذا الأمر، فكيف تفعله وتبكي على ولدك إبراهيم؟!

قال رسول الله ﷺ: «لم أنهكم عن البكاء، وإنما نهيتكم عن النوح والعويل، وإنما هي رقة ورحمة...»^(١)، وقال رسول الله ﷺ: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب...»^(٢).

وأما النياحة والندب فهو على قسمين:

الأول: أن يكون الإنسان في درجة من الحزن تعبر عن حالة الجزع والخروج عن الحدود الشرعية، وهو أمر محرم في الشريعة كما تشير إلى ذلك النصوص الشرعية.

(١) بحار الأنوار ٨٢: ١٠١، ح ٤٨، عن دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي المصري الإسماعيلي الفاطمي.

(٢) الكافي ٣: ٢٦٢، الفقيه ١: ١٧٧، بحار الأنوار ٢٢: ١٥٧، ب ١.

الثاني: أن لا يصل إلى حد الجزع ، وإنما يتحول الحزن الى شعار ومراسيم وهو ما يسمى بالنياحة والندب ، فهو أمر مكروه كما يؤكده الفقهاء في رسائلهم العملية، ولكن يجب الإنتباه أن فيما يتعلق بموضوع الإمام الحسين عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام وما يصدر من الناس من عويل ونياح وهتاف ولطم على الصدور، فإن لذلك بعداً آخر وهو البعد الاجتماعي والسياسي، على ما تشير إلى ذلك النصوص الواردة في الحزن على الحسين عليه السلام، وإن الجزع حرام إلا على الحسين عليه السلام.

ولذلك يجب أن نفرق بين القضايا المحزنة ذات الطابع الفردي، كما يصاب الإنسان بفقد عزيز لديه، وبين القضايا المحزنة ذات البعد الاجتماعي والسياسي العام، كما هو الحال في مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ أنه كان خاتم الأنبياء عليهم السلام وسيد المرسلين، ولم يبق هناك نبي من بعده صلى الله عليه وآله وسلم، فكان فقده انقطاع الوحي والنبوة.

أو مثل مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وأهل بيته عليهم السلام الذي قام من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة الطغيان ومحاربة الإستهتار بالحرمت وانتهاك المقدّسات، فتعرض إلى هذا اللون من الظلم والإعتداء، فقتل هو وأهل بيته وأصحابه عطاشى وأبو أن يدفنوا أجسادهم الطاهرة وبقيت ثلاثة أيام على رمضاء كربلاء بلا غسل ولا كفن.

أمّ البنين تندب الحسين عليه السلام

ولم يدم سرور يزيد طويلاً ولا سيما بعدما أحدثته السيدة زينب

وخطبة الإمام السجاد عليه السلام، من أثر عظيم بين الناس بما وضحته من الحقائق التي سعى يزيد إلى إخفائها فعاب عليه خاصته وأهل بيته ونساؤه ذلك، واستنكر الناس بأجمعهم ما ارتكبه يزيد من جرائم فظيعة في قسوتها وانقلابها على كل مفاهيم الدين العظيم ولا سيما أنها تمت بمراءى من الصحابة، فأقرفتهم الجريمة وضاقوا بيزيد ذرعاً وعندها خشي يزيد الفتنة، وانقلاب الأمر عليه؛ عجل بإخراج السجاد عليه السلام والعيال من الشام إلى وطنهم ومقرهم المدينة، وهياً لهم ما يريدون، وأمر النعمان ابن بشير وجماعة معه أن يسيروا معهم إلى مدينة جدهم، ولما عرف زين العابدين عليه السلام طلب منه الرؤوس كلها ليدفنها في محلها، فلم يرفض يزيد رغبة الإمام عليه السلام، فدفع إليه رأس الحسين مع رؤوس أهل بيته وصحبه وساروا حتى نزلوا كربلاء فألحق الإمام السجاد عليه السلام الرؤوس بالأبدان^(١).

ثم ساروا حتى نزلوا قرب مدينة الرسول، فقال الإمام السجاد عليه السلام لبشير بن حذلم: يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه؟ قال: بلى يابن رسول الله إنني لشاعر، فقال له: فادخل المدينة وانعأ عبد الله عليه السلام، فركب بشر فرسه وسار حتى بلغ المسجد النبوي الشريف فرفع صوته قائلاً:

(١) وقد نصّ على مجيء علي بن الحسين السجاد عليه السلام بالرؤوس إلى كربلاء، المصادر التالية: ابن شهر آشوب في (المناقب: ٢/٢٠٠) وسبط ابن الجوزي: في (تذكرة الخواص ١٥٠) وابن نما الحلي في (مثير الأحرار)، وابن طاووس في (التهذيب: ١١٢) والطبرسي في (إعلام الوری: ١٥١). ولعل من الجميل إيراد ما تمثله أبو بكر الألويسي عندما طرحت عليه هذه المسألة، فعبر عن شدة لوائه وحبه للحسين بغض النظر عن محل دفن الرأس، قائلاً هذين البيتين:

لا تطلبوا رأس الحسين	بشرق أرض أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا	نحوي فمشهد بقلبي

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين! فأدمعي مدرأُ
الجسم منه بكربلاء مضرَّج والرأس منه على القناة يُدارُ

وعندما دخل بشير بن حذلم إلى المدينة ناعياً الحسين عليه السلام، ومخبراً
بوصول الإمام زين العابدين وأهل بيته إلى المدينة، جاءت أمُّ البنين وسألته
عن الحسين، فأخبرها باستشهاد أولادها الأربعة العباس وإخوته، فكَرَّرت عليه
السؤال عن حال الحسين عليه السلام، فلما أخبرها بمصرعه وقعت على الأرض مغشياً
عليها، وكان حزنها على الحسين أكثر من حزنها على أولادها، حتى أنها عندما
دخلت على زينب عليها السلام لتعزيها، كانت تصيح: واحسيناه وا ولداه، ولم

تندب عندها واحداً من أولادها، بيد أن زينب عليها السلام تبادلها الندب
وتصيح: وا أخاه وا عباساه، ولما تأتي النساء لعزاء أمِّ البنين كانت تخاطبهم:
لاتدعوني ويك أم البنين تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم واليوم أضحيت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الرّبي قد واصلوا الموت بقطع الوتين
يا ليت شعري أكما أخبروا بأنَّ عبَّاساً قطيعُ اليمين

الليلة الثانية والعشرون

المرأة والكمالات الإلهية

قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ
وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ
فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا
وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِكْرَامٌ *﴾^(١)

قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا
أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت
خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ»^(٢).

لا شك أنه قد كمل من الرجال كثير من يوم خلق الله آدم عليه السلام، إلى
يومنا هذا، وذلك: بما فضل الله عليهم ومنحهم من قوة العقل والإيمان والإرادة
والصبر، ليحملوا الأمانة وليتحملوا مسؤولية هداية البشر، فكان منهم الأنبياء

(١) سورة التحريم: ١١-١٢.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٣٢٠، الصراط المستقيم ١: ١٧٠، الفصل الخامس.

والأولياء والأوصياء، والعلماء والحكماء والعرفاء، والقادة العظماء، فهؤلاء هم المصاديق الحقيقية للإنسان الكامل، ولكن هذا الأمر لا يعني أنَّ سلوك طريق الكمال، ينحصر بالرجال، بل هذا الطريق مفتوح لكل إنسان رجلاً كان أو امرأة كلٌّ بحسب علمه وجهده وإرادته وقوة إيمانه وتقواه، فيصل إلى الكمال من كان قوياً في العلم والإيمان ذكراً كان أو أنثى.

ومن سلك هذا الطريق من النساء ووصل إلى الكمال، النساء الأربع المذكورات في الحديث النبوي الشريف، وغيرهن من النساء اللاتي اقتدين بهنَّ وسلكن طريقهنَّ كالحوراء زينب عليها السلام، وقبل البدء بالحديث حول الجوانب الإيمانية لتلك النسوة، لا بُدَّ من تصدير مقدمة حول إيمان المرأة وعرفانها بالله تعالى، لكي نردَّ من خلالها على النظرية القديمة التي تقول: إنَّ المرأة لا تستطيع أن تسموا إلى درجات عالية نحو الإيمان والكمال.

فنقول: إنَّ كثيراً ما يصرَّح القرآن الكريم بأنَّ الإيمان والقرب الإلهي، والعمل الصالح لا يرتبط بجنس الفرد ذكراً أو أنثى فمن سلك طريق الإيمان والمعرفة وعمل صالحاً من العبادات وغيرها، حصل على بعض الكمالات، فتكون له حياة طيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾^(١).

ويمكن القول بأنَّ مقدمات وقابليات الوصول إلى الكمال توجد في كثير من النساء، وذلك لشدة عواطفهن وسرعة انفعالهنَّ بمجالس الوعظ والإرشاد، وهذا ما يؤهل المرأة لسلوك طريق المعرفة والكمال، لولا وجود بعض التعلقات الدنيوية التي غالباً ما تكون في المرأة أكثر من الرجال، بسبب سرعة التأثر

(١) سورة النحل: ٩٧.

والتَّغْيِيرُ والانفعال بالأقوال والأفعال في مجالس النساء والرجال .

وعندما تترك المرأة التعلقات الدنيوية وتسلك طريق الإيمان والمعرفة الإلهية، لا شك أنَّها سوف تصل إلى القرب الإلهي، وقد حدثنا التاريخ عن نماذج من النساء اللاتي قطعن مراحل من السير والسلوك، ووصلن إلى بعض المقامات كالرابعة الشامية والرابعة العدوية البصرية، وغيرهن من النساء العارفات، وقد صدر منهنَّ بعض الأشعار والكلمات في العرفان، فقد أنشدت الرابعة الشامية تقول:

حبيب ليس يعدله حبيبٌ وما لسواه في قلبي نصيبٌ
حبيب غاب عن بصري وعيني وشخصي ولكن عن فؤادي لا يغيب

وللسلوك العرفاني، والوصول إلى القرب الإلهي سواء للرجل أو المرأة - كما جاء في الآيات والروايات وكلام العرفاء - طريقان:

الأول: السير والسلوك الآفاقي وهو ما يسمَّى بالعرفان النظري، وهو طريق العقل والفكر والإستدلال.

الثاني: السير والسلوك الأنفسي وهو ما يسمَّى بالعرفان العملي، وهو طريق القلب وتهذيب النفس، بالرياضة والعبادة.

وعلى ما ذكرنا من أرضية المرأة وقابليتها في الوصول إلى الكمال والقرب الإلهي فإنَّ الطريق الثاني للمرأة أسهل وأسرع وصولاً إلى الله تعالى، لأنَّها - كما قلنا - أكثر تقبلاً وأسرع تأثراً من الرجل بالمواعظ الدينية والمحاضرات الأخلاقية، لكن ينبغي الاحتياط في اختيار مرشدها ومعلمها في هذا الطريق الخطير جداً، حذراً من الانحراف الفكري والعملي.

وأفضل معلم وخير قدوة للمرأة في هذا السلوك الإلهي هم الأنبياء والأولياء، والأوصياء، لاسيما خاتم الأنبياء محمد المصطفى ﷺ وأهل بيته الطاهرون معدن العلم والمعرفة، ثم العلماء الربانيون الذين سلكوا طريقهم. وأيضاً خير معلم وقدوة للمرأة في هذا السلوك الرباني، النساء اللواتي قطعن هذا الطريق، ووصلن إلى الكمال، كآسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وأم المؤمنين خديجة الكبرى، والصديقة فاطمة الزهراء، وابنتها العقيلة، زينب الحوراء، ومن هذا حذوهنَّ وسلك طريقهنَّ إلى الإيمان والعرفان وعبادة الرحمن.

فلو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهِلال

بعد هذه المقدمة المختصرة حول إيمان المرأة وكمالها، نبدأ الحديث حول السيرة الإيمانية وفضل ومقام سيدات نساء أهل الجنة الأربع، ثم نختم المقال بمن لحقت بهنَّ في الإيمان والكمال، الصديقة الصغرى العقيلة زينب الحوراء صاحبة المناقب والكمالات العليا، وأم المصائب.

آسيا مثل ضربه الله للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).
آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون المرأة المؤمنة بالله، والتي كانت على دين

(١) التحريم: ١١.

إبراهيم عليه السلام، قبل نبوة موسى عليه السلام، كما يشهد بذلك رسول الإسلام في قوله ﷺ: «ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين، مؤمن إل ياسين» حبيب النجار» وعلي بن أبي طالب وآسيا امرأة فرعون^(١)، لقد كانت تخفي إيمانها بالله الواحد، خوفاً من فرعون وأعدائه ولما عاينت المعجزات من عصا موسى، وغلبة السحرة، آمنت بنبوة موسى واتبعته، فلما ظهر إيمانها لفرعون نهاها فأبت، فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقاها في الشمس، ثم أمر أن يلقي عليها صخرة عظيمة، فلما قرب أجلها قالت - كما حدث عنها الله تعالى في كتابه: ﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾^(٢) فاستجاب الله دعاءها وخلصها من كيد فرعون وقومه.

وقد اختارت جوار ربها والقرب منه في الجنة، وتركت زخارف الدنيا وزينتها والمقام لدى فرعون وملكه، وآثرت بيتاً يبينه لها ربها على بيت فرعون الذي كان فيه مما تشتهيهِ الأنفس وتتمناه القلوب، وهذا ما رفعها إلى مستوى جعلها الله مثلاً وقدوة للمؤمنين.

مريم بنت عمران أسوة المؤمنين

قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الْإِيمَانُ﴾^(٣).

مريم بنت عمران مثل نموذجي شامخ، في صلابة الإيمان والعفة والتقوى

(١) الخصال ١: ١٧٣.

(٢) التحريم: ١١.

(٣) التحريم: ١٢.

ضربه الله للمؤمنين، وقد أثنى الله عليها، وهي الوحيدة التي صرح القرآن باسمها في أكثر من ثلاثين موضعاً في أكثر من عشرين سورة من القرآن، ويدل هذا على جلالة قدرها وعظمة مقامها عند الله.

مريم التي نذرتها أمها لله وهي في بطنها، على أن تكون خادمة لبيت المقدس، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿فَنَقَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ إِنِّي لِلْهِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١)، فكان زكريا وهو زوج خالة مريم ونبي زمانها، كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً غير معهود ولا في أوانه حيث كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فكان يتعجب ويسأل: أتى لك هذا؟ فكانت تجيبه: هو من عند الله.

مريم التي اصطفاه الله واختارها للعبادة، وطهرها وعصمها من جميع الذنوب وفضلها على نساء عالمها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، قال العلامة الطباطبائي في الميزان: وشأنها العجيب في ولادة عيسى المسيح عليه السلام، واختصاصها بهذا النوع من الولادة من بين النساء؛ هو وجه اصطفاؤها وتقديمها على النساء من العالمين لا من جميع الجهات^(٣)، فهي سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء

(١) آل عمران: ٣٧، ٣٦.

(٢) آل عمران: ٤٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ٣: ١٨٨.

العالمين من الأولين والآخرين .

ومن المقامات العالية لمريم بعد الاصطفاء والعصمة من قبل الله، هو نزول الملائكة عليها والتحدث معها كما أشارت الآية السابقة إلى ذلك، وهو يكشف عن علو منزلتها ومقامها عند الله عن الدرجة التي بلغتها بحيث أصبحت تشارك الأنبياء في بعض المقامات والكمالات، وقد فضلها الله بكلمات تقارب فضائل وكمالات الأنبياء إلا أنها ليست بنبية .

خديجة الكبرى أم المؤمنين

كانت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، من أسرة معروفة بالمعرفة، وكانت على دين إبراهيم عليه السلام، وكانت ذات شخصيه شامخة قوية، وذات عقل وكياسة، ومن نبوغها وحدة ذكائها ونظرتها البعيدة ما أدركته من عظمة شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبله الزاهر قبل تكليفه برسالة السماء، فأحبته واختارته زوجاً لها من دون الرجال والشخصيات المعروفة وصدقته وآمنت به وبذلت له نفسها وما تملك قبل البعثة وبعدها، حتى اشتهر أنه ما استقام للإسلام إلا بأموال خديجة وسيف علي عليه السلام وحماية أبي طالب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب خديجة حباً كثيراً ويذكرها، ويثني عليها في حياتها وبعد مماتها، بحيث أثار ذلك غيرة بعض نساءه فخاطبهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصف خديجة أم المؤمنين: «خديجة وأين مثل خديجة، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقني حين كذبنني الناس، وأزرتني على دين الله، وأعانتني عليه بماله إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء»^(١).

(١) أسد الغابة ٥: ٥٣٩.

خديجة أم المؤمنين بهذه المواصفات التي تدل على قوة إيمانها ومعرفتها بالله ورسوله، هي من النساء الأربع اللاتي وصلن إلى الكمال، وأصبحن سيدات نساء أهل الجنة، وقد بشرها رسول الله ﷺ ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب^(١)

ولما دنت وفاة خديجة عليها السلام نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ، وقال له إن الله يقرئك السلام، ويأمرك أن تقرأ سلامه على خديجة أم المؤمنين وتقول لها: إن كفن خديجة من عندنا، فإنها بذلت مالها في سبيلك، فلما توفيت كفنها رسول الله ﷺ بردائه الشريف بوصية منها، ثم كفنها بما جاء به جبرئيل عليه السلام من أكفان الجنة، ثم دفنها بيده الشريفة في مقبرة الحجون بمكة المكرمة.

فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين

إذا كنا في مقام البحث عن فضائل الزهراء عليها السلام ومقاماتها الإلهية، فحسبنا منها ما نزل من القرآن في حقها، من آية المباهلة وآية التطهير وسورة هل أتى، وغيرها من الآيات، وحسبنا ما تحدث به رسول الله ﷺ، والأئمة الأطهار عن مقامها ومنزلتها، ففي القرآن يصفها بالطاهرة في آية التطهير، وقد كان النبي ﷺ يركز على جلالتها، وعظيم قدرها بحيث ينبئ عن أن الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، مما يكشف عن عصمتها، وكفى بالله ورسوله شاهداً لهذا المقام الرفيع، وهو منتهى الكمال وأعلى مراتب الإيمان.

وحيث إن رضا فاطمة هو رضى الله ورسوله ﷺ، وغضبها غضب

(١) الإصابة ٤: ٢٧٥ - القصب: اللؤلؤ المعجوف المنظوم بالدر والياقوت، والصخب: الصياح، والنصب: الهم والتعب.

الله ورسوله، كما صرحت به أحاديث الرسول ﷺ وتناقله أهل بيته، فهو دليل على عصمتها، وعلو مقامها ولزوم ولايتها على الخلق، حتى يحصل رضاها ويتحقق عدم غضبها، وكفى للزهراء عليها السلام هذا المقام والمنزلة عند الله ورسوله، وكل هذا حصلت عليه فاطمة الزهراء عليها السلام بسبب إيمانها وتقواها ومعرفتها بالله وكثرة عبادتها لله.

يقول رسول الله ﷺ: «ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني وثمره فؤادي، وهي روعي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جل جلاله - زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله لملائكته: يا ملائكتي أنظروا إلى أمتي سيدة إمائي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أيّ قد أمنت شيعتها من النار»^(١).

ومن ألقاب فاطمة: «الزهراء» و«المحدثة»، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنما سميت فاطمة عليها السلام «محدثة»، لأن الملائكة كانت تهبط من السماء تناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها، وقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: «إن مريم كانت سيدة نساء عالمها وإنّ الله عزّ وجلّ جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها، وسيدة نساء الأولين والآخرين»^(٢).

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٧٦.

(٢) علل الشرايع: ١٨٣.

وروي: أَنَّ فاطمة مكثت بعد رسول الله خمسة وسبعين يوماً، كان قد داخلها حزن شديد على أبيها، فكان ملك يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فسمي هذا بمصحف فاطمة عليها السلام، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن عندي مصحف فاطمة ما أزعج أن فيه قراناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد...»^(١).

وكل هذه الفضائل والمناقب والمقامات التي ذكرناها للزهراء عليها السلام وغيرها من الكمالات حيث تركناها مراعاة للاختصار، هي تدلّ على علو مقامها عند الله وكمالها وعصمتها.

السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

هي فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وأخت الإمام الرضا عليه السلام والمدفونة بقم المقدسة، كانت من العابدات العارفات، وقد وصلت إلى مرتبة عالية في الكمال والقرب الإلهي، وقد نقلت عنها كرامات كثيرة، حتى بلغ قدرها ومقامها عند الله وأن الإمام الرضا عليه السلام قال في حقها: «من زارها عارفاً بحقها فله الجنة»^(٢).

كانت من أعظم نساء زمانها علماً وعملاً وعبادة وتقوى وأخلاقاً وفضلاً وتحماً للمحن والمصائب، فقد فقدت عليها السلام أباهما وهي في العاشرة من عمرها، وفارقت أخاها الرضا عليه السلام بعد ذلك بمدة وجيزة لقبت عليها السلام بألقاب عظيمة

(١) أصول الكافي ٢: ٢٤٠.

(٢) مستدرک الوسائل ١٠: ٣٦٨.

منها كريمة أهل البيت عليهم السلام، وفاطمة الثانية، وذلك لشدة شبهها بجدها فاطمة الزهراء عليها السلام. كما لقبت بال محدثة لكثرة علمها، ومن أشهر ألقابها (المعصومة)، لإيمانها العميق وشدة ارتباطها بربها ولعظيم تقواها.

وبعد وفاة أبيها، وسفر أخيها الإمام الرضا عليه السلام، إلى خراسان كانت المرجع الديني للناس في المدينة وبقيت على هذا الحال ردحاً من الزمان، غير أنها ولشدة تعلقها بأخيها الرضا عليه السلام، حيث كانت تحبه حباً جماً، وكان عزيزها الذي كانت تشعر بالأمن والراحة إلى جواره، قررت عليها السلام أن تلتحق بالإمام عليه السلام في خراسان فتجهزت مع بعض إخوة الإمام وأبناء إخوته^(١). وكان ذلك سنة (٢٠١هـ)، وبعد المسير الطويل نزلت مدينة قم في (٢٣ / ربيع الأول / ٢٠١هـ)، فخرج موسى الخزرج الأشعري مع أصحابه، وجمع كثير من الناس لاستقبالها، فلما وصل موسى إلى طعينة السيدة فاطمة عليها السلام تناول يد القائد لناقتها فقبلها، وطلب منه أن يسلمه زمام الناقة ليقودها بيده وليتشرف بذلك، فسلم إليه زمام الناقة فقادها موسى بيده حتى أنزل السيدة فاطمة بيته، وبقيت في بيته (١٧ يوماً) وهي مريضة ناحلة حتى توفيت في العاشر من ربيع الثاني من نفس السنة، فدفنت في قم، ومقامها اليوم مشهور مشهود يؤمّه الناس، ويأتونه من كل فج عميق يتقربون إلى الله تعالى بزيارتها، حيث بشر ثلاثة من الأئمة عليهم السلام، بأن ثمن وأجر زيارة السيدة فاطمة المعصومة هو الجنة: فقال جدّها الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ لِلَّهِ حَرَمًا وَهُوَ مَكَّةُ، وَلِرَسُولِهِ حَرَمًا وَهُوَ الْمَدِينَةُ، وَلَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَمًا وَهُوَ الْكُوفَةُ، وَلَنَا حَرَمًا وَهُوَ قُمْ، وَسُتَدْفَنُ فِيهِ امْرَأَةٌ مِنْ وَلَدِي تُسَمَّى فَاطِمَةَ، مَنْ زَارَهَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٢).

(١) ترجمة تاريخ قم: ٢١٣.

(٢) ترجمة تاريخ قم: ٣١٠، الباب ٣، الفصل ٢، وعنه في بحار الأنوار ج ٩٩: ٢٦٩ كتاب المزار.

وورد عن أخيها الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «مَنْ زَارَهَا عَارِفًا بِحَقِّهَا فَلَهُ الْجَنَّةُ»^(١)، وورد عن ابن أخيها الإمام الجواد عليه السلام: «مَنْ زَارَ عَمَّتِي بِقُمْ فَلَهُ الْجَنَّةُ»^(٢).

السيدة نفيسة المصرية

ولدت السيدة نفيسة بمكة المكرمة في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومئة من الهجرة النبوية (١٤٥هـ) وسماها أبوها نفيسة على اسم عمتها وبعد خمسة سنوات هاجرت مع أبيها إلى مدينة جدها رسول الله ﷺ.

أبوها هو الحسن الأنور^(٣) ابن زيد الأبلج ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، كان عالماً جليلاً يعد من التابعين وهو مجاب الدعوة تزوجت نفيسة بإسحاق المؤمن ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في سنة (١٦١هـ) وبزواجها هذا اجتمع في بيتها نوران: نور الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، فالسيدة نفيسة جدها الإمام الحسن والسيد إسحاق جده الإمام الحسين عليه السلام، وكان إسحاق من أهل العلم والفضل والورع والصلاح وروى عنه بعض الأحاديث والأخبار، وقد ولدت نفيسة من إسحاق ولدين هما القاسم وأم كلثوم، وعاشت السيدة نفيسة في المدينة مع أبيها وزوجها إلى أن هاجرت إلى مصر ودخلتها في يوم السبت الموافق (٢٦ من شهر رمضان /

(١) بحار الأنوار ٩٩: ٢٦٥، الباب الأول، عن بعض كتب الزيارات.

(٢) بحار الأنوار ٤٨: ٣١٦.

(٣) المدني الهاشمي، وهو والد جدّ عبد العظيم الحسني المدفون في رى.

سنة ١٩٣هـ)، وفي مصر التقت السيدة نفيسة بالإمام الشافعي الذي نزل مصر بعدها بخمس سنوات، ومع جلاله قدر الإمام الشافعي كان يزورها في بيتها ويسمع عنها الحديث ويسألها الدعاء فتدعو له فيستجاب.

قالت زينب بنت أخيها: تأملت عمتي في أول من رجب وكتبت إلى زوجها إسحاق المؤمن كتاباً، وكان غائباً بالمدينة تطلب إليه المجيء إليها لدنو أجلها وفراقها لدنياها وإقبالها على آخرها، وكانت صائمة فأشار الأطباء عليها بالإفطار لحفظ قوتها ولتتغلب على مرضها وضعفها، فقالت: واعجباه إن لي ثلاثين سنة وأنا أسأل الله عز وجل أن يتوفاني وأنا صائمة أفأفطر؟! معاذ الله تعالى، ثم أنشدت تقول:

إصرفوا عني طيبي ودعوني وحبيبي

زاد بي شوقي إليه وغرامي في لهيبي

وقالت زينب: ثم إنها بقيت كذلك إلى العشر الأوسط من شهر رمضان، فاشتد بها المرض واحتضرت، فاستفتحت بقراءة سورة الأنعام، فلا زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى ﴿فَقُلْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(١) ففاضت روحها الكريمة، وقيل إنها قرأت ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) فغشي عليها وقبضت واختارها الله لجواره ونقلها إلى دار كرامته وكان ذلك في سنة ثمان ومئتين (٢٠٨هـ)^(٣) وذلك بعد موت الإمام الشافعي بأربع سنين.

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٤.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٧.

(٣) وقيل توفيت في الثالث من شهر صفر سنة (٢٠٨هـ).

ولما توفيت اجتمع الناس ووصل زوجها في ذلك اليوم وأراد حملها إلى المدينة لدفنها بالبقيع فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد واستجاروا به إلى زوجها ليدفنها عندهم فقبل ذلك بعد الإصرار الكثير، فدفنها في الفسطاط القديمة والتي بنيت القاهرة بعد ذلك بجوارها.

إن السيدة نفيسة تعد من أولياء الله المقربين لعلمها ومعرفتها بالله، وكثرة عبادتها ولشدة زهدا وتقواها ولذا صدرت منها كرامات في حياتها وبعد مماتها بحيث عدّ لها ابن حجر العسقلاني نحواً من مئة وخمسين كرامة، وهذا دفع الناس قديماً وحديثاً للتوسل بها إلى الله لقضاء حوائجهم وقد اشتهرت بسرعة استجابة، دعاء من توسل بها، وإنّا لنذكر بعضاً منها لنكشف قيساً من ساطع نورها.

عن سعيد بن الحسن قال: توقف النيل بمصر في زمن السيدة نفيسة رحمها الله فجاء الناس إليها وسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها، فجاءوا به إلى النهر وطرحوه فيه، فما رجعوا حتى زخر النيل بمائه وزاد زيادة عظيمة^(١).

السيدة فاطمة (أم البنين)

هي فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية، كان أبوها حزام بن خالد^(٢) من أعمدة الشرف في العرب، ومن الشخصيات النابغة في السخاء والشجاعة وقرى الأضياف، وكانت أسرتها من أجل الأسر العربية وقد عُرفت بالنجدة

(١) نقله السخاوي في تحفة الأحياء: ١٥٩.

(٢) رجال الشيخ الطوسي: ١٠٤ ترجمة ٤.

والشهامة^(١). ويُذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام ندب أخاه عقيلاً - الذي كان عالماً بأنساب العرب - أن يخطب له امرأة قد ولدتها الفحول ليتزوجها، حتى تلد له غلاماً زكياً شجاعاً لينصر ولده الحسين في كربلاء، فأشار عليه عقيل بالسيدة فاطمة بنت حزام الكلابية، فإنه ليس في العرب من هو أشجع من أهلها ولا أفرس، فندبه الإمام إلى خطبتها، فانبرى عقيل إلى أبيها وعرض عليه الأمر، فاستجاب هو وابنته بكلّ فخر واعتزاز^(٢)، فتزوجها أمير المؤمنين وأنجبت له ذكوراً أربعة، وهم: العباس وجعفر وعبد الله، وعثمان، وقيل إنّ اسم الأخير منهم، عبد الرحمن^(٣).

ومنذ الأيام الأولى لانتقالها إلى دار الإمام قامت برعاية أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام على أحسن ما ترعى أمّ ولدها، وقد وجدوا عندها العطف والحنان، ما عوّضهما من الخسارة الأليمة بفقد أمهم فاطمة عليها السلام.

ولقد كانت السيدة أم البنين تكنّ في نفسها من المودة والحب للحسن والحسين وزينب عليها السلام، ما لا تكتنه حتى لأولادها، ولقد قدمت أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أبنائها في الخدمة والرعاية، امتثالاً لأمر الله تعالى فيهم، حيث قال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٤).

ومن مآثر هذه السيدة الفاضلة، أنها طلبت من أمير المؤمنين عليه السلام، أن لا يناديها باسمها (فاطمة)، معذرة إليه بأنها تخاف أن يسمع الحسنان باسم أمهما

(١) العباس بن علي، للمقرم: ٢٠..

(٢) بحار الأنوار ٤٢: ٧٤.

(٣) بحار الأنوار ٤٢: ٩٠.

(٤) الشورى: الآية ٢٣.

فيتذكّرها ويحزننا عليها، مما جعل أمير المؤمنين يلقبها بعد ذلك بـ (أم البنين). وقد كانت تأمر أولادها العباس وإخوته منذ الصغر باحترام وتقدير أبناء فاطمة وخدمتهم، وفعلاً لقد ضرب العباس الذي ارتشف من معين وفائها وإخلاصها واحترامها لأبناء الزهراء، أروع وأعظم مثلاً في الاحترام والتقدير لأخويه الحسن والحسين، فلقد كان يمشي دائماً خلف أخيه الحسين، وما عهد طيلة حياته أن نادى الحسين بـ (يا أخي) و(يا حسين)، إلاّ كان يقول له: (سيدي) ولقد أثرت هذه التربية أثرها العميق إلى أن استشهد العباس وإخوته عطاشى فداءً لأخيهم وسيدهم الحسين عليه السلام.

وامتنعت أم البنين عن الزواج بعد علي عليه السلام، على الرغم من أنّ الأشراف قد تقدّموا لخطبتها لنيل شرف الاقتران بها، وقد توفيت عليها في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤ من الهجرة النبوية الشريفة، ودفنت في البقيع قرب قبور الأئمة عليهم السلام، وقبرها الآن مقصد للمؤمنين، وقد اشتهر بينهم أنها أحد أبواب الله التي ما قصدتها أحد إلا استجاب الله له^(١).

يقول الشهيد الأول في حقها: كانت أم البنين من النساء الفاضلات، العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام، مخلصّة في ولائهم، ممحّضة في مودّتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه، والمحل الرفيع، وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تعزيها بأولادها الأربعة، كما كانت تعزيها أيام العيد^(٢).

(١) راجع بحار الأنوار ٤٢: ١٢.

(٢) راجع العباس بن علي عليه السلام، للمقرم: ٢٣.

زينب الحوراء عليها السلام أسوة المجاهدين

ويلحق بالنساء الأربع في الإيمان والكمال الإلهي زينب الحوراء، التي ورثت من جدتها خديجة الكبرى وأمها فاطمة الزهراء، جميع الصفات والخصال الحميدة، والفضائل الأخلاقية، والكمالات الإنسانية، كما ورثت المحن والمصائب منهما، وكيف لا تكون كذلك وهي التي تربت وتهذبت على يد جدها المصطفى، وأبيها المرتضى وأمها الزهراء، وأخويها الحسن والحسين عليهما السلام، وقد شهد ابن أخيها الإمام زين العابدين بفضلها وعلمها، فقال عليه السلام: «يا عمة أنت - بحمد الله - عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهومة»، وقد حصلت على هذا العلم بالإيمان والتقوى والجهاد في سبيل الله تعالى، والإخلاص في العمل، حيث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(١)، وقد أخلصت زينب عليها السلام لله طوال عمرها الشريف، وقدمت أعز ما عندها تقرباً لله، ولذا جرت وظهرت ينابيع العلم والحكمة على لسانها، فكانت تنظر بنور الله، وتعلم علم المنايا والبلايا، كجملة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وليس هذا عجيباً ولا غريباً، لأنّها من أهل بيت زقوا العلم زقا.

وعن الشيخ الصدوق كانت الحوراء زينب عليها السلام لها نيابة خاصة عن أخيها الإمام الحسين عليه السلام، وقد نابت عن ابن أخيها الإمام زين العابدين في أيام مرضه، فكانت تجيب عمّا يرد عليه من المسائل الشرعية في الحلال والحرام، حتى برأ الإمام من مرضه^(٢).

(١) الكافي ١٦: ٢، باب الإخلاص، عيون أخبار الرضا ٢: ٦٩، الباب ٣١.

(٢) عيون أخبار الرضا ٨: ٢٥٨، وأصول الكافي ٢: ١٦.

وروي أنَّ زينب عليها السلام كانت تروي عن أمها وأبيها وأخويها، وعن أم سلمه، وقد روت خطبة أمها الزهراء عليها السلام حول فذك.

نعم هكذا كان علم الحوراء زينب عليها السلام وعرفانها بالله، وأمّا عبادتها فقد روي أنّها لم تترك التهجد لله في الليل طوال حياتها، حتى ليلة الحادي عشر من المحرم بعد تلك المصائب العظيمة، التي جرت عليها في يوم عاشوراء، وقد روي عن الإمام زين العابدين الذي حضر واقعة الطف أنه قال: «رأيتُ عمتي زينب تلك الليلة تصلي من جلوس»، وبتهجدها في ليلة الحادي عشر، وبقولها بعد شهادة أخيها الحسين عليه السلام: «إلهي تقبل منّا هذا القربان»، جسدت أروع وأعلى مراتب الإيمان، والعرفان والكمال الإلهي والصبر والتسليم لأمر الله والرضا بقضائه.

إنَّ إيمان وعرفان الحوراء زينب عليها السلام بالله هو الذي أعطها الصبر على تلك المصائب، من شهادة أمها الزهراء وأبيها أمير المؤمنين وأخويها الحسن والحسين عليهما السلام، وبالأخص مصائب كربلاء وما بعد كربلاء من حرق الخيام، والأسر والضرب والشتم وابتداءً من مصرع الحسين في كربلاء، والكوفة، وختاماً في الشام.

وفي الشام لما سمعت زينب بنت علي عليه السلام يزيداً، يتمثل بأبيات ابن الزبيري^(١)، فوقفت خطيبة فقالت بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه وآله: «...أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة..... فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٦٤.

أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾، أَمِنْ
العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله
سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدو بهنّ الأعداء من بلد
إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمعازل، ويتصفّح وجوههنّ القريب
والبعيد، والدنيّ والشريف، ليس معهنّ من حماتهنّ حمي ولا من رجالهنّ
ولي؟....»^(٢).

لم انس إذ هتكوا حماها فانشنت	تشكو لواعجبها إلى حامياها
هذي نساؤك من يكون اذا سرت	في الأسر سائقها ومن حادياها
ايسوقها زجر بضرب متونها	والشمر يحدوها بسب أبيها
عجبا لها بالأمس انت تصونها	واليوم آل امية تبديها

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٣.

الليلة الثالثة والعشرون

العلاقات الاجتماعية في الإسلام

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١)

ومن وصايا الإمام علي عليه السلام لأبنائه: «عاشروا الناس بالمعروف معاشرة إن عشتهم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم...»^(٢)

من الأمور المهمة التي وضع لها الإسلام نظاماً، وبرنامجاً تعليمياً وتربوياً متكاملًا، ورسم لها خطوطاً توجيهيةً واسعةً، هي علاقة الإنسان بربه ثم علاقته بنفسه مقدمة لعلاقة الإنسان بالآخرين، حيث إن الارتباط بالله والخضوع لأوامره ونواهيه، ومن ثم تهذيب الإنسان نفسه وتربيتها تربية إلهية لها انعكاسات إيجابية، مؤثرة على علاقة الإنسان مع الآخرين، فالنظام الإسلامي يحمل السعة والشمول في العلاقات حتى أنه قرر كيفية معاملة الإنسان مع الحيوان

(١) سورة التوبة: ٧١.

(٢) بحار الأنوار ٧٥: ٧٧.

والنبات والجماد، فلا تجد شيئاً مهما كان صغيراً إلا وقد جعل له الإسلام حقاً ونوعاً من الارتباط الحسن، وهذا معنى أن الإسلام أعطى لكل ذي حق حقه. وقد أكد الإسلام على حسن العلاقة والمعاشرة بدءاً بالأقرباء من الناس من ذوي الأرحام، خصوصاً الوالدين، ثم أفراد الأسرة كالزوجة والأولاد وغيرهم من الأقرباء ثم بعد ذلك الاهتمام بحسن العلاقة والمعاشرة مع جميع الناس حتى غير المسلمين.

وقد نرى الاهتمام والتأكيد على هذا الجانب من دعوة الإسلام في كلمات الإمام علي عليه السلام الذي صَدَّرنا به الحديث، حيث دعا الإمام إلى العلاقات الاجتماعية البناءة ومعاشرة الناس بأحسن وجه، في وصيِّته لأبنائه: «عاشروا الناس بالمعروف معاشرة إن عشتُم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم»^(١)

هذا وقد نظم الإسلام العلاقات الاجتماعية، وصنَّفها إلى صنفين، العلاقات الاجتماعية العامة، والعلاقات الاجتماعية الخاصة، وفيما يلي عرض لبعض هذه العلاقات.

القسم الأول: العلاقات الاجتماعية العامة

يمثل نظام العلاقات الاجتماعية العامة الواجبات والحقوق المترتبة عليها أحد الأركان الأساسية والدعائم المهمة التي يقوم عليها المجتمع الانساني، ونريد بنظام العلاقات الاجتماعية العامة مجموعة الواجبات والسنن والاداب والحقوق والالتزامات التي تنظّم العلاقات العامة بين الناس.

(١) بحار الأنوار ٧٥: ٧٧.

وكما نظم الإسلام العلاقات الخاصة للمجتمع ، كذلك نظم العلاقات الاجتماعية العامة، وقد صنفها إلى أصناف كثيرة، فقد نظم علاقة الجيران فيما بينهم، ونظم العلائق بين المعلم والتلميذ، والمؤمن مع أخيه، وكيفية التعامل مع العامل والمستأجر، والصغير والكبير، وكيفية علاقة المسلم مع سائر المسلمين بل حتى مع غير المسلمين، وجميع هذه العلائق تعرض لها أئمة أهل البيت في أحاديثهم، خاصة الإمام زين العابدين في رسالته القيمة «رسالة الحقوق»، ونحن هنا سنقتصر على البحث ضمن العناوين التالية:

الإهتمام بأمور الناس

اعتبر الإسلام الاهتمام بأمور الناس حقاً لهم على كل فحث عليه وجعله عدل الإسلام والإيمان، وطلب من المؤمن أن يتخلّق بهذا الخلق ليدخل في جماعة المسلمين ويناصرهم ويعينهم، ويبذل لهم من نفسه وماله ما يحتاجونه، تعبيراً عن مودته ورحمته وحبه لهم، والخلاصة أن يشاركهم في أفراحهم وأحزانهم.

وعن أبي عبد الله عليه السلام، أن النبي ﷺ قال: «... ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»^(١)، وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»^(٢).

وقد جاء هذا المعنى في كثير من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، من خطبه وقصار جملة ورسائله، خصوصاً الكتاب الذي بعثه إلى مالك الاشر حين ولاه مصر.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٩، ٥٦٠، ب ١٨، ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٩، ب ١٨، ح ١.

الإحسان إلى الناس

الاحسان إلى الناس عامة دون أن يكون هناك علاقة خاصة بين المحسن والمحسن إليه، كما هو الحال في مثل الاعمال العامة التي يقوم بها المحسنون، كإصلاح الطرق، وحفر الابار، وبناء أماكن نزول الضيوف والزوار، وإيجاد الاوقاف العامة التي تبذل في إطعام الطعام، أو مساعدة الفقراء والضعفاء، أو بناء المدارس العلمية، والمؤسسات التعليمية والصحية والثقافية، وأمثال ذلك من أمور المعروف التي تعبّر عن الاهتمام بأمور المسلمين عامة، والتي ينطبق عليها عنوان «في سبيل الله»^(١). فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى من ليس من أهله، فإن لم يكن هو أهله فكن أنت من أهله»^(٢).

والضعفاء من الناس هم أولى بالإحسان إليهم، سواء كان هذا الضعف بسبب الوضع الطبيعي للتركيبية الجسمية، مثل الاطفال والنساء والشيوخ، أو كانوا من قبيل الذين يعرض لهم الضعف، مثل المعوقين والمتخلفين؛ حيث يبدو من الواضح البعد الانساني في هذا الجانب من التعامل، أو كان هذا الضعف بسبب الاوضاع الاقتصادية، مثل الفقراء والمساكين، وابناء السبيل وغيرهم من المحتاجين، أو كان بسبب الاوضاع الاجتماعية، مثل اليتامى والمملوكين، أو العمال والمستأجرين والمستخدمين من الناس، الذين تفرض عليهم ظروفهم الاجتماعية أن يكونوا تحت إدارة بعض الاشخاص وولايتهم.

(١) يمكن أن نجد الحث على هذه الاعمال والثواب المترتب عليها، وأثارها في كتاب وسائل الشيعة في الابواب التالية من الجزء الحادي عشر: ١٦ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ من أبواب المعروف، وكذلك في ابواب الصدقات والزراعة والوقف.

(٢) وسائل الشيعة ١: ٥٢٨، أبواب فعل المعروف، ب ٣، ح ١.

فعن الصادق عن آبائه عليهم السلام أن النبي ﷺ قال في وصيته لعلي عليه السلام: «يا علي، أربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة: من آوى اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه، ثم قال: يا علي من كفل يتيماً في نفقته بماله حتى يستغني وجبت له الجنة البتة، يا علي من مسح يده على رأس يтим ترخماً له أعطاه الله بكل شعرة نوراً يوم القيامة»^(١).

العطف على الصغير واحترام الكبير

إن أوامر الإسلام الموجهة للرجال والنساء كافة تركز على العطف على الصغير واحترام الكبير.

إن الغضب على الصغير والصراخ بوجهه واحتقاره وإهماله وعدم الوفاء بالوعد إزاءه كل ذلك يعتبر من المعاصي، كما أن عدم احترام الكبير والنظر إليه نظرة غضب وعدم الاستماع إلى مطالبه وإظهار الملل والتعب منه يعتبر ذنباً ومعصية، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا»^(٢).

ومن الواضح أن من يعيش يكبر، ومن يكبر يهرم، والهرم في البشر يفقدهم الكثير من كمالات الجسد، إذ تخور قواه حتى تصبح عند البعض أقل قدرة من الطفل، كما تتنازل مقدراته الفكرية والعقلية، فيبتلي بالنسيان والغفلة وعدم الالتفات، وهذا كله يجعل من التعامل معه وضعاً خاصاً، وطريقة فريدة، فيحتاج إلى الكثير من الاحترام والتوقير، وإلى مزيد من الرعاية، وإلى فيض من الحنان، حتى لا يشعر بثقله في المجتمع، وبتهميش

(١) وسائل الشيعة: ١١: ٥٦٠، أبواب فعل المعروف، ب ١٩، ح ١.

(٢) بحار الأنوار ٧٢: ١٣٧.

أفراده له، فالمجتمع الذي يعزل العُجْز عن الحياة العملية، بسبب عدم تأقلم قدراتهم معها، لا يدرك أنه يدخل إلى هذا الهرم أقسى وألم حدث في حياته، إذ يشعره بنهايته، وخلاص فائدته، وأنه لم يعد صالحاً، إلا لانتظار أجله، فمن هنا لابد وأن يعوّضه بما يمنع هذا التفكير ويحول بينه وبين أهاجيسه، وذلك بالاحترام والتقدير والرفق والرعاية، وفيض الحنان، والعطف، فقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «من لم يرحم صغيرنا، ولم يعزّز كبيرنا فليس منا»^(١)، وقال ﷺ في خطبته الشعبانية: «وتصدقوا على فقراءكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم»^(٢)، ومن أهم مصاديق الإنسان الكبير العالم والمعلم، والوالدين.

علاقة الجار بالجار

من الحقوق التي ركز عليها الإسلام حق الجار، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾^(٣)، ومن عظمة حق الجار أن تأكيد النبي عليه أوجب أن يظن المسلمون أنه ﷺ سيورثه، أي سيجعل له نصيباً من الميراث، كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «ما زال رسول الله يوصينا بالجار حتى ظننا أنه سيورثه»^(٤) وقال الإمام علي وقال عليه السلام: «حريم المسجد أربعون ذراعاً والجوار أربعون داراً من أربعة جوانبها»^(٥).

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٢٨٢ ح ٤٩.

(٢) عيون اخبار الرضا ٢: ٢٦٥، وعنه في بحار الانوار ٩٦: ٣٥٦ ح ٢٥.

(٣) النساء: ٣٦.

(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

(٥) الخصال ٢: ٥٤٤.

وعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: جعلت فداك، ما حدّ الجار؟ قال: أربعون داراً من كل جانب»^(١). وقال أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته: «الله الله في جيرانكم، فإنّهم وصيّة نبيّكم، ما زال يوصي بهم حتّى ظنّنا أنّه سيورّثهم»^(٢).

ما هي حقوق الجار

الأول: كف الأذى عنه: يروى أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله، إني اشتريت داراً من بني فلان، وإن أقرب جيرانني مني جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شره، قال: فأمر رسول الله ﷺ علياً وسلمان وأبا ذر وثالثاً لعله المقداد أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم؛ بأنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً.^(٣) بل جعل تمام الإيمان بالله واليوم الآخر عدم أذية الجار^(٤) كما أن من يؤذي الجار يخرج عن الانتساب لأهل البيت عليه السلام، قال الإمام الرضا عليه السلام: «ليس منّا من لم يأمن جاره بوائقه»^(٥).

عن رسول الله ﷺ قال: «من آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنة، ومأواه جهنم وبئس المصير، ومن ضيع حق جاره فليس منا، وما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه...»^(٦).

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٩٢، أبواب أحكام العشرة، ب ٩٠، ح ٣.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٤٧.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٧ ح ١.

(٤) الكافي ٢: ٦٦٧ ح ٦.

(٥) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٤ ح ٢.

(٦) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٨، أبواب أحكام العشرة، ب ٨٦، ح ٥.

الثاني: تحمل الأذى منه: قال الإمام الكاظم عليه السلام «ليس حسن الجوار كفّ الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى»^(١)، فصحيح أن دفع الأذى عن الجار هو الحق القائم له، ولكن لو كان الجار مؤذياً فلا يبرر ذلك أن ترد الأذى عليه، بل الصبر على تحمل الأذى منه، من الحقوق عليك.

الثالث: تفقد الجار: من حقوق الجار التفقد لأحواله، وكما قال النبي ﷺ: «إن استغاثك أغثته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابته مصيبة عزّيته، وإن أصابه خير هنّأته، وإن مرض عدته، وإن مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبناء، فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشترت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرّاً، ولا تخرج بها ولدك غيظ بها ولده، ولا تؤذ به بريح قدرك إلا أن تغرف له منها»^(٢).

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «أما حق جارك فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقليل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة»^(٣).

وأهم ما أكدت عليه النصوص أن لا تبيت شبعاناً وجارك جائع، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع»^(٤).

(١) الكافي ٢: ٦٦٧ ح ٩.

(٢) مسكن الفؤاد: ١٠٥.

(٣) الخصال: ٥٦٩.

(٤) الكافي ٢: ٤٦٦٨ ح ١٤، وسائل الشيعة ٨: ٤٩٠، أبواب أحكام العشرة، ب ٨٨، ح ١.

علاقة المسلم بغير المسلمين

قسّم الإسلام الكفار إلى قسمين، كافر حربي؛ وهو الذي نصب الحرب والعداء للإسلام وأهله، وهدفه هدم النظام الإسلامي، واقتحام دار المسلمين، وسفك دمائهم وذلهم. وكافر ذمي - أهل الذمة، وهو من تعاقد مع أهل الإسلام على أن يعيش معهم بسلام له ما لهم وعليه ما عليهم، لا يغير عليهم، ولا يغيروا عليه، ولا يعين على المسلمين، أحداً ولو كان من أهل ملته.

والكافر الحربي لم يضمن له الإسلام أي حق في بلاد المسلمين، لأنه أراد الشر بأهل الإسلام، فهذا موجب لسلب حقوقه، كما جرت عادة الدول في الماضي والحاضر من سلب الحقوق المدنية من كل من يريد الشر بالدولة والنظام أو أهله، ولعلّ هذا ما وافق عليه العقلاء في كل زمان ومكان، بمعنى: أن العقلاء وبدافع من عقولهم سلبوا الحقوق العامة عن كل من ينصب العداء للدولة أو النظام، فلم يأت الإسلام بجديد.

أما أهل الذمة فقد احترّمهم الإسلام وصانهم وصان عرضهم ومالهم، يعيشون ويحيون بين المسلمين وفي بلادهم لهم مالهم، وعليهم ما عليهم، وينعمون بحمى الإسلام، ويتتصف لهم الحاكم من كل من ظلمهم، ولم يمنع عنهم السلام، ولا حرّم على المسلمين الاختلاط بهم، وهذا ما أدب به النبي وأهل بيته الكرام المسلمين، من صون حقوقهم وعدم التعدي عليهم، وكما أن الإنسان المسلم محترم لشخصه كذلك الإنسان يحترم لشخصه، إلا أن يسقطه بما يضره من سوء كما في الكافر الحربي، كذلك أهل الذمة يحترمون بشخصهم وإنسانيّتهم وأدميتهم.

وكما أن الإسلام الذي جعل الايمان إطاراً للعلاقة الاجتماعية بين

المسلمين لم يغفل في نفس الوقت الجانب الانساني العام في هذه العلاقة أي علاقة الإنسان بنظيره الإنسان الآخر وأخذها بنظر الاعتبار في مجمل تصوّره النظري؛ كما يمكن أن يفهم ذلك من قول الامام علي عليه السلام في عهده لملك الاشتر المروي بطريق معتبر: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سيفاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^(١).

وهذا أمر واضح من خلال ما ورد من الحث على المجاملة العامة وحسن الخلق مع الناس جميعاً، مما يعني أن الاصل هو الاحتفاظ بالعلاقة الاجتماعية على المستوى الانساني ما لم تطرأ أوضاع استثنائية تفرض موقفاً آخر كالبراءة أو القطيعة، عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مجاملة الناس ثلث العقل»^(٢).

وعن أبي بصير عن أبي جعفر أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أعرايياً من بني تميم أتى النبي ﷺ فقال له: أوصني، فكان مما أوصاه: تحبب إلى الناس يحبوك»^(٣).

ومن هنا كان أهل البيت عليهم السلام قد استوعبوا كل الناس بأخلاقهم وجميل صنيعهم، فأمر المؤمنين علي عليه السلام يأتي إلى الكوفة مع يهودي ولما يبلغ الكوفة، يستمر علي عليه السلام في السير معه، فيقوله اليهودي: ألم تقل أنك تريد الكوفة، فقال علي عليه السلام: نعم، فقال له اليهودي، فلماذا تمشي معي في طريق

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣، شرح نهج البلاغة ١٧: ٣٢، الكتاب ٥٣، تحف العقول: ١٣٨.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٤، ب ٣٠، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٣، ح ١.

يبعدك منها، فيقول عليه السلام، أشايعك، فقال له: ما هذه الأخلاق التي لم نعهد لها، فقال عليه السلام: «هكذا علمنا نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم»، وبهذا الخلق العظيم استوعبوا كل الناس مسلمهم وكافرهم، حرهم وعبدتهم.

القسم الثاني: العلاقات الاجتماعية الخاصة

إن الإسلام في نظريته الاجتماعية وإن كان يؤمن بالمساواة بين الناس في الأخوة الإنسانية، فانا مع ذلك نلاحظ أن أهل البيت عليهم السلام خصوا فئات اجتماعية بمعاملة خاصة في هذه العلاقات لأسباب موضوعية مختلفة، فالأرحام مثلاً، والأقربون منهم خاصة، والابوان بصفة أخص، لهم امتيازات في التعامل الاجتماعي، حيث يجب الاحتفاظ بأصل العلاقة الاجتماعية مع الرحم، ولا يجوز قطيعته، ويجب إكرام الابوين، والبر بهما، وهذا التعامل الخاص مع الأرحام ينطلق من بعد إنساني، واحساس فطري، بالإضافة إلى الجانب الأخلاقي والعقائدي، لانه لون من ألوان شكر النعمة ورد الجميل، واللفظ والرحمة بالكبار والعطف على الصغار.

إن من أهم مصاديق الذين تشملهم علاقات الإنسان الاجتماعية الخاصة هم ذوا الأرحام من الأقرباء، خصوصاً الوالدان، وأفراد الأسرة بعضها مع البعض الآخر فنركّز الحديث حولهم بإختصار:

علاقة الإنسان مع أرحامه

من الحقوق التي أولى الإسلام لها أهمية كبيرة، الرحم، ونقصد به العلاقة النسبية بين بعض أفراد المجتمع كالوالدين والأخوة والأخوات وأبنائهم،

والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولادهم، والأجداد والجندات، وكل من يتفرع عنهم، فهؤلاء أرحام الإنسان، وقد فرض الإسلام صلتهم ودعا إليها، وفيما يلي بعض النصوص الدالة على وجوب صلة الرحم:

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(١)؛ أي اتقوا الأرحام، وتقواها يعني المحافظة عليها وصلتها وصونها، فعن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية يقول: «هي أرحام الناس إن الله عز وجل أمر بصلتها وعظمها، ألا ترى أنه جعلها منه»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(٣)، وفي قبال ذلك حرّم قطيعة الرحم، بل في بعض الأخبار أنها من الكبائر التي توعد عليها النار، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾^(٤)، وقد ذكر لها في الروايات عقوبات كثيرة كالتعجيل بالفناء، وحلول النعمة، وأن الرحمة لا تنزل على قاطع رحم، وأن عقوبته معجلة في الدنيا قبل الآخرة إلى غير ذلك.

فعن أبي حمزة الثمالي قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء، فقام إليه عبد الله بن الكواء الإشكري فقال: يا أمير المؤمنين، أو تكون ذنوب تعجل الفناء؟ فقال: نعم ويلك قطيعة الرحم.

(١) سورة النساء: ١.

(٢) الكافي ٢: ١٥٠.

(٣) سورة الرعد: ٢١.

(٤) سورة محمد: ٢٢، ٢٣.

إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله، وإن أهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أتقياء»^(١).

صلة الرحم وآثارها

لا يقصد الإسلام من صلة الرحم التزاور والسلام عليه وتحيته والسؤال عن حاله فحسب، وإن كان هذا العمل محبوباً لله تبارك وتعالى، وقد ورد الكثير في فضل التزاور والتحابب، ولكن لصلة الرحم معنى أعمق، وهو كف الأذى عنهم، وعيادة مريضهم، وتوديع مسافرهم واستقبال غريبهم، وإعطاء فقيرهم، ومواساة مكروبهم، والوقوف معهم عند مصائبهم ونزول البلاء بهم، وقضاء حوائجهم، وتقديم العون لهم، وأعظم أنواع الصلة تقديم الهداية لهم وتحبيبهم إلى الإيمان، أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وفي هذا الشأن يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أيها الناس، إنه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عترته - عشيرته - ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، ...»^(٢).

ويترب على صلة الرحم آثار عظيمة، فعن رسول الله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر»^(٣)، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوى وتيسر الحساب، وتنسى في الأجل»^(٤)، أي تطيل الأعمار، إلى غير ذلك من الآثار المهمة، والتي يرغب في تحصيلها المؤمن والفاقد، والمسلم والكافر.

(١) اصول الكافي ٢: ٣٤٧، باب قطيعة الرحم، ح ٧.

(٢) نهج البلاغة: خ ٢٣.

(٣) بحار الأنوار ٧٤: ٨٨ ح ٢٢.

(٤) الكافي ٢: ١٥٧ ح ٣٠.

ملاحظة مهمة

رغم التأكيد والاهتمام البالغ الذي رأيناه في كلمات المعصومين على صلة الرحم، وعلى جعلها من المسائل المهمة في حياة الإنسان، لكن ذلك مرهون بحدود وشروط معينة، وهي أن لا يجعل الإنسان من القرابة عاملاً للابتعاد عن الدين، بحيث يجعلها الإنسان شغله الشاغل، وهمّه الأكبر الذي يصرفه عن أمور دينه، ولهذا يقول عليه السلام: «لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولدك، فإن يكن أهلك، وولدك أولياء الله، فإن الله لا يضيع أوليائه، وإن يكونوا أعداء الله، فما همك وشغلك بأعداء الله؟»^(١).

وأما الأمور التي يجب أن يقدمها الإنسان على القرابة والرحم، فهي ما لو اقتضى الإسلام أن يقف الإنسان موقف العداء من قرابته الذين هم في خط أعداء الله، فحينئذ لا يجوز تقديم القرابة على الدين الذي هو المقياس الأساس في خط الإنسان.

ويتحدث الإمام علي عليه السلام عن الزمن الأول الذي بعث فيه النبي محمد صلوات الله عليه وآله، وكيف أن الإنسان المسلم كان يواجه بعقيدته كل الناس حتى أقربهم إليه في سبيل الحفاظ على الإسلام ونشره، حيث يقول عليه السلام: «لقد كنّا مع رسول الله عليه السلام نقتل آبائنا وأبنائنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً»^(٢).

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٥٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٥٦.

الأسرة، حقوق وواجبات

الأسرة هي اللبنة الأولى والاساس في النظرية الإسلامية في بناء المجتمع الانساني، فإذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد، حيث اهتم الإسلام بها ووضع للعلاقات فيها نظاماً دقيقاً محكماً وشاملاً ينظم مجموع العلاقات في الاسرة بأدق تفاصيلها ومختلف شؤونها.

وقد ساهمت الأسرة بطريق مباشر في بناء الحضارة الإنسانية، وإقامة العلاقات التعاونية بين الناس، ولها يرجع الفضل في تعلم الإنسان لأصول الاجتماع، وقواعد الآداب والأخلاق، كما أنها السبب في حفظ كثير من الحرف والصناعات التي توارثها الأبناء عن آبائهم.

وقد دعا الإسلام إلى سيادة الحب والمودة والتآلف بين أفراد الأسرة، وأن يجتنبوا عن كل ما يعكر صفو الحياة والعيش، وإنَّ إشاعة الود والعطف بين الأبناء له أثره البالغ في تكوينهم تكويناً سليماً، فإذا لم يرع الآباء ذلك، فإن أطفالهم يصابون بعقد نفسية تسبب لهم كثيراً من المشاكل في حياتهم، ولا تثمر وسائل النصيح والإرشاد التي يسدون بها لأبنائهم ما لم تكن هناك مودة صادقة بين أفراد الأسرة، وقد ثبت في علم النفس أن اشد العقد خطورة، وأكثرها تمهيداً للاضطرابات الشخصية هي التي تكون في مرحلة الطفولة المبكرة، كما أن تفاهم الأسرة وشيوع المودة فيما بينها مما يساعد على نموه الفكري، وازدهار شخصيته.

وقد حث الإسلام على التعاون فيما بين الزوجين على شؤون الحياة، وتدير أمور البيت، وأن يعيشوا جميعاً في جو متبادل من الود والتعاون، والمسؤولية تقع في ذلك بالدرجة الأولى على المرأة فإن باستطاعتها أن تحوّل

البيت إلى روضة أو جحيم، وتقع بالدرجة الثانية على زعيم الأسرة، وهو الزوج، فقد طلب الإسلام منه أن يقوم برعاية زوجته ويشترك معها في شؤون المنزل، فقد كان رسول الله ﷺ يتولى خدمة البيت مع نسائه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يشارك الصديقة الزهراء عليها السلام في تدبير شؤون المنزل، ويتعاون معها في إدارته، ومن الطبيعي أن يخلق في نفوس الأبناء روحاً من العواطف النبيلة التي هي من أهم العناصر الذاتية في التربية.

فعلى الزوج احترام زوجته وتقديرها، وكذلك على الزوجة أن تحترم زوجها وتقدره، ذلك لأنه إذا شاع الاحترام بينهما فسيتعلم الأولاد الاحترام، وكذا العكس فلو انعدم الاحترام بين الزوجين نشأ الأولاد على عدم الاحترام والتقدير لا للوالدين ولا للآخرين.

وقد ركزت التعاليم على مسألة الأسرة لما لها من علاقة مؤثرة في تطور المجتمع وتقدمه فعمدوا إلى وضع القوانين النازمة لها والموجبة لرفيها وسعادتها وذلك بحسب ما تقتضيه ثقافة شعوبها.

وقد سبق الإسلام في تشريعاته كل الأنظمة في مجال العناية بالأسرة وتلبية متطلباتها منذ ما قبل الزواج من خلال اختيار الزوجة الصالحة إلى حين بناء العائلة، وآداب علاقة أفرادها مع بعض على أساس الفطرة الإنسانية، والحب المتبادل بينهم، وقد جعل لكل فرد من أفراد الأسرة دوراً ينبغي أن يقوم به:

أ. علاقة الأب مع الأسرة

من أهم ما ينبغي أن يقوم به الأب في الأسرة بعد الكد للإنفاق عليهم، هو المعاملة الحسنة مع أفراد العائلة، أولاً مع الزوجة حيث خاطب الله الرجال

بقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١)، قال رسول الله ﷺ: «أحسن الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وأطفهم بأهله»^(٢)، وعنه ﷺ: «جلوس المرء عند عياله أحب إلى الله من اعتكاف في مسجدي هذا»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من سعادة المرء أن يضع معروفه عند أهله»^(٤)، لأن أفراد العائلة هم أولى الناس بالمعروف، فمن الإجحاف أن يقدم الإنسان معروفه إلى الآخرين، ولا يقدمه إلى أقاربه وأفراد عائلته، وتقول الحكمة الشهيرة: «الأقربون أولى بالمعروف»، وقال عليه السلام: «عليك بلزوم الحلال، وحسن البر بالعيال، وذكر الله في كل حال»^(٥).

ب. علاقة الزوجة مع الزوج

إن إطاعة الزوج ومراعاة حاله من أهم ما ينبغي أن تقوم به الزوجة، قال رسول الله ﷺ: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»^(٦)، وعنه ﷺ: «ما من امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلا نظر الله إليها ومن نظر الله إليه لم يعذبه»

وعن رسول الله ﷺ أن شخصاً جاءه فقال له: «إن لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأيتني مهموماً قالت ما يهملك؟ إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك، وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله همًا.

(١) سورة النساء: الآية ١٩.

(٢) بحار الأنوار ٧١: ٣٨٧.

(٣) تنبيه الخواطر ٢: ١٢٢، ومستدرک الوسائل ١٢: ٣٥٠ ب ٤.

(٤) غرر الحكم: ٤٠٥.

(٥) نهج البلاغة، كتاب ٣١.

(٦) بحار الأنوار ١٠٣: ٢٤٦.

فقال له رسول الله: بشرها بالجنة، وقل لها: إنك عاملة من عمّال الله»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أيا امرأة حملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم تقبل منها حسنة»^(٢)، قال الإمام الصادق عليه السلام: «سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله»^(٣) وقال علي عليه السلام: «جهاد المرأة حسن التبعل»^(٤).

جدور الأب والأم في الأسرة

أجمع الباحثون والمحققون على أن للتربية في سنّ الطفولة دور كبير في بناء شخصية الإنسان، وتكوين صفاته، لأنها كالأرض الخالية بالنسبة إلى الفلاح، فعلى طبق ما يزرع تكون نتيجة الحصاد، ففي وصية الامام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام يشير إلى مضمون هذا الكلام حيث يقول: «... أي بني..... ، وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك.. فما طاب سقيه، طاب غرسه وحلت ثمرته، وما خبث سقيه، خبث غرسه وأمّرت ثمرته..... ثم يذكر الامام عليه السلام أهم أهداف التربية والتعليم فيقول: ... فبادرتك بالأدب... لتستقبل بجّد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة»^(٥)، وفي وصية أخرى لولده الحسن عليه السلام يقول: «... وأن ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله،

(١) مكارم الأخلاق ١: ٢٢٩.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢١٥.

(٣) كنز الفوائد ١: ١٥٠.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٦.

(٥) نهج البلاغة، الرسالة ٣١.

وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك بك إلى غيرك»^(١) وقال عليّ عليه السلام: «خير ما ورث الآباء الأبناء الأدب»^(٢).

يقول الامام علي عليه السلام: «حقّ الولد على الوالد أن يحسّن اسمه، ويحسن أدبه، ويعلمه القرآن»^(٣).

يقول الإمام علي عليه السلام: «أولى الأشياء أن يتعلمها الأحداث الأشياء التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها»^(٤).

فالملاحظة المهمة في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام هي تنبيه الوالدين، لأن يعطيا اهتماماً لتربية وتعليم أولادهما منذ الصغر، ويتيحاهما فرصة كافية لبروز المواهب التي أودعها الله تعالى فيهم.

وفي رسالة الحقوق للامام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق ولدك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عما وليته من حسن الادب والدلالة على ربه عزّ وجلّ، والمعونة على طاعته، ...»^(٥).

د- دور الأولاد في الأسرة

لعل أهم واجب يقع على عاتق الأولاد تجاه الوالدين هو البر بهما وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الحث على هذه الفريضة. ولقد أولى الإسلام

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٧.

(٣) بحار الأنوار ٧١: ٦٥.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢: ٣٣٣.

(٥) وسائل الشيعة ١١: ١٣٥، أبواب جهاد النفس، ب ٣، ح ١.

اهتماماً بالغاً للوالدين، ففرض على الفرد احترامهما وتقديرهما وبرهما، ومنع من إيذائهما وعقوقهما، وقد تواترت النصوص على ذلك، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(٢)، فجعل شكره مقروناً بشكرهما، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله تعالى، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «إن الله أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة أخرى، أمر بالصلاة والزكاة فمن صلى ولم يذك لم تقبل منه صلاته وأمر بالشكر له وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله وأمر باتقاء الله وصلة الرحم فمن لم يصل رحمه لم يتق الله»^(٣)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «يجب للوالدين على الولد ثلاثة أشياء؛ شكرهما على كل حال وطاعتهما فيما يأمرانه وينهيانه عنه في غير معصية الله ونصيحتهما في السر والعلانية»^(٤)

وقد جعل الإسلام برّهما من أكبر الفرائض المفترضة على الفرد، حيث جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «بر الوالدين أكبر فريضة»^(٥)، ولهذا كان موضعاً للدعاء، فإن الإمام زين العابدين عليه السلام يطلب من الله تعالى أن يوفقه لبرهما، بقوله: «اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرهما برّ الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالدي، ويرّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمآن حتى أوتر على هواي

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) لقمان: ١٤.

(٣) الخصال ١: ١٥٦، بحار الأنوار ٧١: ٦٨، ب ٢.

(٤) تحف العقول: ٣٢٢.

(٥) غرر الحكم: ج ٤٤٢٣.

هواهما»^(١).

قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يمد له في عمره ويبسط رزقه فليصل أبويه...»^(٢). وقال عليّ عليه السلام: «برّوا آباءكم يبرّكم أبناءكم»^(٣). ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك»^(٤).

ولم يقتصر الإسلام على برّهما في حال حياتهما، بل فرض برهما بعد وفاتهما أيضاً، فعن رسول الله ﷺ قال: «سيد الأبرار يوم القيامة رجل برّ والديه بعد موتهما»^(٥)، وفي بيان كيفية برهما بعد وفاتهما قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً وإنه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار بهما فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل باراً»^(٦)، وغيرها من الأحاديث والروايات الكثيرة التي لا يسع المجال لذكرها

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق أمك فأن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء ٢٤.

(٢) مستدرک الوسائل ١٥: ٢٠٢.

(٣) غرر الحكم: ٤٠٧.

(٤) الكافي ٢: ١٥٩.

(٥) بحار الأنوار ٧٤: ٧٢.

(٦) الكافي ٢: ١٦٣.

يعطي أحد أحداً^(١)، ووقتك بجميع جوارحها ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لاجلك، ووقتك الحر والبرد لتكون لها، وإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه. وأما حق أبيك فأن تعلم أنه أصلك، فإنه لولاه لم تكن، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله^(٢).

وفي قبال ذلك نهى عن عقوقهما، وجعله من كبائر الذنوب التي توعد الله عليه النار، ومعنى العقوق، إيذاء الوالدين وعدم تلبية طلبهما. إذا كان جائزاً. وعدم احترامهما وتعنيفهما بالقول أو العمل، والنظر الماقت لهما، وعدم الانفاق عليهما، وقد حدد القرآن الكريم أصغر العقوق وهو «أف» ليعلم الفرد أن كل ما كان فوقه كان عقوقاً من باب أولى، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۖ﴾^(٣)، وفي تفسيرها عن الباقر عليه السلام: «هو أدنى الأذى، حرم الله فما فوقه»^(٤)، وعن الصادق عليه السلام: «أدنى العقوق «أف» ولو علم الله عز وجل أهون منه لنهى عنه»^(٥).

(١) في تحف العقول «وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحداً».

(٢) وسائل الشيعة ١١: ١٣٥، أبواب جهاد النفس، ب ٣، ح ١.

(٣) سورة الإسراء: ٢٣.

(٤) بحار الأنوار ٧٤: ٧٦.

(٥) الكافي ٢: ١٤٨ ح ١.

حدود طاعة الوالدين

المستفاد من الآيات والروايات أنه لا حدود لطاعة الوالدين عدا ما إذا أمرا بمعصية الله أو الشرك به، فعند ذلك يسقط حق الطاعة لهما، ولكن يبقى برهما قائماً، فلا يجوز عقوبتهما وإن كانا فاسقين أو حتى كافرين، وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾^(١)، وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾^(٢)، أما في ما عدا ذلك فحق الطاعة قائم لهما، قال الإمام الرضا عليه السلام: «بر الوالدين واجب وإن كانا مشركين ولا طاعة لهما في معصية الخالق»^(٣).

المعاملة الخاصة مع ذرية الرسول ﷺ

لقد جاء التأكيد في الآيات والروايات رعاية ومعاملة خاصة لذرية رسول الله ﷺ من أولاد علي وفاطمة عليهما السلام، وذلك بسبب انتمائهم إلى رسول الله ﷺ، إكراماً له، وتقديراً لحقه، وتقديساً لشأنه، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يقبل رأس أحد ولا يده إلا رسول الله ﷺ أو من أريد به رسول الله ﷺ»^(٤)، وعن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «النظر إلى ذريتنا عبادة» قلت: النظر إلى الائمة منكم، أو النظر إلى ذرية النبي؟ فقال: بل النظر إلى

(١) لقمان: ١٥.

(٢) العنكبوت: ٨١.

(٣) وسائل الشيعة ١٦: ١٥٥، هذا والمعروف في فتاوى الفقهاء المتأخرين عدم وجوب طاعتهم في حالة شركهما.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٦٥، أبواب أحكام العشرة، ب ١٣٣، ح ٣.

جميع ذرية النبي ﷺ عبادة ما لم يفارقوا منهاجه، ولم يتلوّثوا بالمعاصي»^(١).
ومن ذرية رسول الله ﷺ السيدة رقية طفلة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام،
عاملوها أهل الشام بمعاملة خاصة بخلاف ما أوصى به جدّها المصطفى ﷺ:

السيدة رقية عليها السلام في خربة الشام

السيدة رقية طفلة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، من زوجته أم إسحاق
وذكر ارباب المقاتل أنّ عمرها خلال السبي وبعد حادثة الطف كان يبلغ ثلاث
سنين.

وكانت هذه الطفلة مثلاً للمظلومية، فقد رافقت ركب السبايا إلى الشام
في رحلة مريرة شاقة، حتى إنها فارقت الحياة في خربة الشام، في موقف مؤثر
لم يشهد التاريخ مثيلاً له.

ففي الخربة، حيث مستقر السبايا استفاقت رقية عليها السلام ليلاً من منامها،
وهي مضطربة اضطراباً شديداً، وهي تقول: أين أبي الحسين؟

فلما سمعت النسوة ذلك صرخن وأعولن وارتفعت أصواتهن بالبكاء،
فانتبه يزيد من نومه، وقال: ما الخبر؟ فأعلموه بما جرى، فأمر أن يذهبوا برأس
أبيها إليها، فجاءوا بالرأس ووضعوه في حجرها، فرفضته وكانت تظن أنه
طعام لأنه كان مغطى بمنديل، ولما رفعوا المنديل عنه، احتضنته ووضعت فمها
على فمه وهي تبكي بحرقة وتخاطب الرأس بكلمات ملؤها الأسى والحسرة،
وما هي إلا لحظات حتى فارقت روحها جسدها وكان ذلك في الخامس من

(١) وسائل الشيعة ٨: ٦٢٠، أبواب أحكام العشرة، ب ١٦٥، ح ١.

شهر صفر سنة ٦١ للهجرة. ودفنت في المكان الذي قضت فيه^(١).
 ودارت الأيام والسنون وشاء الله أن يرتفع فوق ذلك المكان الذي
 يحتضن الجسد الصغير مقام ومعلم لانتصار الحق على الباطل، وما أجمل
 قول الشاعر معبراً عن ذلك بهذه الأبيات:

ويظلّ مجدك يارقية عبدة	للظالمين على الزمان يجدد
يزكو به عطر الأذان ويزدهي	بجلال مفرقه النبي محمد
وعليه أسراب الملائك حوّم	وهموم أفئدة الموالي حشد

(١) مزيد من الإطلاع راجع كتاب منتهى الآمال للشيخ عباس القمي عليه السلام ١: ٣٢٧.

الليلة الرابعة والعشرون

انتفاضات وثورات بعد الطف^(١)

قال تعالى:

﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

قال رسول الله ﷺ للإمام الحسين: «يخرج رجل من صلبك يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرّاً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب»^(٣).

منذ مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وأهل بيته وأصحابه بدأت الثورات ضد الحكم الأموي تتوالى، بدءاً من ثورة التوابين، وكأنّ دم الحسين عليه السلام قد استصرخهم، وكان كل المناهضين للحكم الأموي ومهما اختلفوا يتخذون آل بيت النبي ﷺ رمزاً وشعاراً لحركاتهم، والتي نهضت بها سواعد الشيعة، وأبو

(١) على رواية إنّ واقعة الحرة وانتفاضة اهل المدينة كانت في شهر صفر سنة ٦٣ هـ، وذكرى شهادة زيد كانت أيضاً في هذا الشهر، فكان من المناسب إختيار هذا الموضوع للبحث وعرض أهمّ الانتفاضات والثورات التي حدثت بعد واقعة الطف بسنين قريبة.

(٢) سورة النساء: ٩٥.

(٣) تاريخ البعقوبي ٣: ٦٦، وراجع مقاتل الطالبين، الحديث حول زيد.

مسلم الخراساني كان مثلاً لهذه الحركات، فقد استطاع أن يتغلب على بلاد خراسان، وأن يهزم نصر بن يسار عامل مروان الحمار على خراسان، واستقر له الأمر، ثم اتجه إلى العراق واحتلها، ولكنه كان يخفي تحت شعار الرضا لأهل البيت، الدعوة إلى العباسيين حيث بايع بالخلافة لأبي العباس السفاح في الكوفة يوم العاشر من محرم سنة (١٣٢هـ)^(١)، وكان من بين تلك الثورات واقعة الحرة وانتفاضة أهل المدينة، وثورة المختار الثقفي، وثورة زيد بن علي من أهم وأشهر تلك الثورات نستعرضها باختصار:

واقعة الحرة وانتفاضة أهل المدينة^(٢)

كان معاوية يستخدم الشدة مع الدين في سياسته مع أهل المدينة، وكان مدارياً للأنصار بأساليب عديدة من إغراء وخداع وترغيب وإذا لم تنفع هذه فيأتي دور التهيب، فأبقى أحقادهم وكراهيتهم لحكمه في نطاق المعارضة السلمية، وأما في عهد يزيد، فتحوّلت المعارضة السلمية إلى معارضة مسلحة بسبب الممارسات السلبية التي ارتكبها يزيد في سنوات حكمه القليلة، منها: نشر الفسق والفجور والفساد حيث اشتهر يزيد بولعه بالمعازف وشرب الخمر والغناء واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب، والدباب والقروود، ومنها: هدم الكعبة، ومنها: مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وأهل بيته وخيرة الصحابة والتابعين وكان ذلك ذا أثر كبير على نفوس أهل المدينة^(٣).

(١) تاريخ البعقوبي ٣: ٦٦، وراجع مقاتل الطالبين، الحديث حول أبي مسلم الخراساني،

(٢) واقعة الحرة وانتفاضة أهل المدينة كانت في شهر ذي الحجة السنة ٦٣ هـ، وقيل في شهر صفر، راجع (موسوعة

التاريخ الإسلامي ٦: ٢٥٣) عن الإمامة والسياسة ١: ٢٢ وفي تاريخ ابن الوردي ١: ١٦٥.

(٣) راجع البداية والنهاية ٨: ٢٣٥، تاريخ الطبري ٥: ٤٥٦، الكامل في التاريخ ٤: ٧٩.

وبعد مقتل الحسين عليه السلام اضطربت الأوضاع على يزيد في المدينة، وفي كل أرجاء الدولة الإسلامية فأراد والي المدينة محمد بن أبي سفيان، أن يكسب رضا أهلها فأرسل وفداً من أبناء المهاجرين والأنصار ومنهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، إلى دمشق ليشهدوا الخليفة، وينالوا نصيبهم من هداياه، فلما وصلوا رأوا الخليفة يشرب الخمر ويضرب أمامه بالدفوف، وفي سلوكه ما يشين ويقبح، فلما رجعوا من الشام إلى المدينة، أظهروا شتم يزيد وعيبه، وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطناير، وتعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب - اللصوص - وإنا نشهدكم أننا قد خلعناه، وقال عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة): «.. فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة»، وقال: لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطاني وأكرمني، وما قبلت عطاءه إلا لأتقوى به.

فلما سمع أهل المدينة ذلك خلعوا محمد بن أبي سفيان عامل يزيد في المدينة وطرّدوا من هو موجود من بني أمية وبايعوا عبد الله بن حنظلة وولّوه عليهم، فلما وصلت الأنباء إلى الشام عقد يزيد لمسلم بن عقبة جيشاً لمحاربة أهل المدينة، وقال له: أدع القوم ثلاثاً، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثاً فما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند، وأمره أن يجهز على جريحهم ويقتل مدبرهم.

وقام أهل المدينة بحفر خندق حولها، وحين وصول جيش الشام بقيادة مسلم بن عقبة؛ خان مروان وأبناءؤه الميثاق، وظاهروا الجيش على قتال

أهل المدينة، وأقنعوا بني حارثة بإدخال جيش الشام من جهتهم، فدخل الى جوف المدينة، فكان الهجوم على أهلها من الأمام ومن الخلف ثم من الجهات الأربع، فحوصرت المدينة، لكن أهلها استبسلوا بالقتال واستطاع عبد الله بن حنظلة أن يهزم كل من توجه إلى قتاله إلى أن قُتل أخوه وأبناءؤه العشرة، وبعد مقتلهم انهزم أهل المدينة، واستطاع الجيش الأموي إخماد حركتهم وأباح قائداهم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، ودعى ابن عقبة أهل المدينة إلى البيعة على أنهم عبيد ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم فمن أبى البيعة بهذه الصورة قُتل، واستثنى من ذلك الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وجيء به إلى مسلم وهو مغتاض منه فتبرأ منه ومن آبائه، لكن لما اقترب منه ارتعدت فرائصه فقام له وأقعده، وقال له: سلني حوائجك، فكان يتشفع لأهل المدينة حتى استنقذ عدداً كبيراً من القتل، والإمام لم يشارك في هذه الانتفاضة، بل لم يكن في المدينة، إذ بعد مقتل الحسين اتخذ بيتاً في البادية من الشعر، لما لاقاه من أهلها. وكان الإيعاز في الانتفاضة من عبد الله بن الزبير الذي حاصر مكة وملكها، فكانت هذه الثورة لا على أساس شرعي، فعلى الرغم من عدم مشاركته عليه السلام في هذه الانتفاضة، وعلى الرغم من عدم اكتسابها الطابع الشرعي من الإمام، غير أنه عليه السلام كان يعول أربعمئة بيت من يتامى وأرامل من قتل في هذه المعركة^(١).

نتائج الحقد الأموي على المدينة

أولاً: بلغ عدد القتلى العدد الذي أحصي يومئذٍ «من قريش والأنصار

(١) راجع تاريخ الخلفاء: ١٦٧، تاريخ الطبري ٥: ٤٥٦، الكامل في التاريخ ٤: ٧٩.

والمهاجرين ووجوه الناس ألفاً وسبعمائة، ومن سائر الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان». «وقتل من أصحاب النبي ﷺ ثمانون رجلاً، ولم يبق بدريّ بعد ذلك وفي رواية ابن أعثم (٦٥٠٠) ورواية المسعودي (٤٢٠٠)^(١)، ومن الوجوه البارزة التي قتلت في الواقعة: عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وأبناءؤه العشرة وأخوه وغيرهم من أبناء الصحابة وبقية الصحابة من حملة القرآن ومن المشاركين في بدر، حتى كانت الحرّة نهاية للبدرين وقتل فيها (سبعمائة من حملة القرآن)^(٢). وقد أخبر رسول الله ﷺ بهذه الواقعة لما مرّ بالحرّة حيث وقف فاسترجع، وقال: «يُقتل في هذه الحرّة خيار أمتي»^(٣).

ثانياً: لم يرع الجيش الشامي أية حرمة للنساء والأطفال، فاستقبلوا أوامر الإباحة باندفاع، فبعد هزيمة أهالي المدينة (افتض فيها ألف عذراء) وأنه «حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج»^(٤)، ودخلت الجيوش الشامية أحد البيوت فلم يجدوا فيها إلا امرأة وطفلاً ليس لديها مال أخذوا طفلها وضربوا رأسه بالحائط فقتلوه وقام أحد جنود الشام بتكرار العملية حينما ضرب ابناً لابن أبي كبشة الأنصاري بالحائط فانثر دماغه في الأرض^(٥).

ثالثاً: انتهاك المقدسات: لم يرع جيش الشام أي حرمة للمقدسات الإسلامية، خلافاً لتحذيرات رسول الله ﷺ المتكررة من الاعتداء على أهل المدينة، وكان جيش الشام يخاطب بقايا المهاجرين والأنصار (يا يهود)^(٦)، وسمّى

(١) الفتوح ٥: ١٨١. مروج الذهب ٣: ٧٠.

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٣٠.

(٣) الإمامة والسياسة: ١: ٢١٩.

(٤) تاريخ الخلفاء: ١٦٧، البداية والنهاية ٨: ٢٢١.

(٥) الإمامة والسياسة: ١: ٢١٥.

(٦) أنساب الأشراف: ٣٢٧.

ابن عقبة المدينة «نتنة وقد سماها رسول الله ﷺ طيبة»^(١).

وحينما وصلت الأخبار الى يزيد وفي رواية حينما أُلقيت الرؤوس بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبيري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وسبق ليزيد أن تمثل بهذه الأبيات حينما وصل إليه رأس الإمام الحسين عليه السلام، وهكذا كانت الواقعة تعبيراً عن الحقد الذي يكنّه الأمويون للأنصار منذ واقعة بدر^(٢).

ثورة المختار الثقفي (سنة ٦٤ للهجرة)

ولد المختار المكنى بأبي إسحاق في مدينة الطائف في السنة الأولى للهجرة، حيث كانت موطن أهله وعشيرته من ثقيف، وقتل سنة ٦٧ للهجرة في حرب مع مصعب بن الزبير بأمر من أخيه عبدالله، عن عمر يناهز السابعة والستين، وأبوه أبو عبيدة بن مسعود، كان قد اعتنق الإسلام وأخلص له، وقد اشترك في معارك المسلمين مع الفرس، واختاره عمر بن الخطاب للقيادة، فأبدى في ميادين القتال شجاعة واستبسلاً قلّ نظيرهما في تاريخ المعارك، وقد وقع شهيداً في إحدى معاركه مع الفرس على شاطئ الفرات، وأمّ المختار إسمها دومة، امرأة عربية كانت قد اشتركت مع زوجها في المعارك خلال معاركه للفرس، وتلفت مصرعه ومصرع ولدها جبر بصبر وثبات، وكان

(١) مروج الذهب ٣: ٦٩.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٢٠٩.

المختار يومذاك في الثالثة عشرة من عمره، وقد بدت عليه علائم النجابة، وهو في حداثة سنه، ويروي بعض المؤرخين بهذه المناسبة: أن أباه جاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو صبي فأجلسه في حجره، ومسح رأسه وهو يقول: «يا كَيْس يا كَيْس» ولزمه هذا الاسم واشتهر بكيسان^(١).

موقف المختار من الأمويين

مما لا يمكن لباحث أن ينكره معارضة المختار للحكم الأموي، ولسياسة الأمويين، وتسلطهم منذ دخل معترك السياسة، وتعرض بسبب ذلك لسجونهم ومعتقلاتهم وتعذيبهم، وقد حاربهم مع ابن الزبير حينما فرّ من ابن زياد من الكوفة، والتحق به في مكة، وفيها اشترك مع المكين في صدّهم عن الكعبة التي كانت هدفاً لثيران يزيد بن معاوية ووسائل الدمار التي استعملوها للإجهاد على حركة ابن الزبير قبل أن يستفحل أمرها، وحارب قتلة الحسين والجيش الأموي الذي قاده ابن زياد لإسترجاع العراق إلى الحكم الأموي حتى قضى عليه في الموصل، وعلى أعوانه ممن اشترك في معركة كربلاء^(٢).

موقف المختار من أهل البيت عليه السلام

اشتهر المختار بالتشيع لأهل البيت عليه السلام منذ نعومة أظفاره، ولكنّه انصرف عن السياسة والمعارضة السلبية لمعاوية، لأنّه كان قوياً، وقد استعمل

(١) راجع بحار الأنوار ٣٧: ١، ب ٤٩.

(٢) الكامل في التاريخ ٤: ١٦٠.

سياسة البطش والقتل والتنكيل بالشيعة، بل حتى بمن يتهم بالتشيع وبعد أن وجد المختار أن المعارضة لا تجدي شيئاً، خرج من الكوفة الى ضيعة له خارجها، ولم يرجع إلى الكوفة إلا بعد أن دخلها مسلم بن عقيل موفداً من الحسين عليه السلام، وشيعتها، وحينما دخلها مسلم بن عقيل نزل عليه ضيفاً، فرحب بقدومه، ومضى يدعو الناس إلى البيعة للحسين ولزوم طاعته، ويعزو بعض الباحثين اختيار مسلم لدار المختار إلى ما كان بينهما من روابط المودة والصداقة القديمة منذ نعومة أظفارهما، وإلى تشييع المختار وولائه لأهل البيت عليهم السلام بالإضافة إلى مصاهرة المختار لوالي الكوفة النعمان بن بشير حيث كان زوجاً لبنته عمرة مما يجعله في مأمن من الوالي ما دام مقيماً في دار صهره^(١).

وكيفما كان الحال فالمؤكد الذي عليه المؤرخون، أن دار المختار كان مركزاً لمسلم وللقائه بالوفود المبايعة له إلى حين قدوم عبيد الله بن زياد واستلامه إمارة الكوفة، خلفاً للنعمان بن بشير الذي عزله يزيد بسبب ما يتصف به من لين وضعف تجاه تحركات مسلم وأصحاب الحسين عليه السلام.

وبعد مقتل مسلم، ووصول الخبر ببلوغ الحسين عليه السلام إلى كربلاء، جمع المختار جماعة من الشيعة، واتجه بهم قاصداً نصرة الحسين عليه السلام فأخذته الشرطة التي كلفها ابن زياد بملاحقة الخارجين لنصرة الحسين عليه السلام، فاعتقلوه، وحينما أدخلوه على ابن مرجانة، تناول الأخير قضيباً، وانهال به يضربه على وجهه ورأسه، فأصاب عينه وشرها، ثم ألقاه في السجن مع من اعتقلهم من الشيعة^(٢).

(١) حياة المختار للخرطوبلي: ٦٣.

(٢) تاريخ يعقوبي ١٦٢: ٢.

ويروي ابن أبي الحديد: أنه لما زجَّ بالمختار في السجن، كان ميثم التمار معتقلاً فيه وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث، وكان عبد الله والمختار يعتقدان أن ابن زياد سيقتلهما لا محالة فجعلوا يستعدان للقاء الله تعالى، غير أن ميثم التمار وبما انتهى إليه من أمير المؤمنين عليه السلام من الغيبيات التي كان النبي يختصه بها، أخبرهما بما يجري لهما، فقال لابن الحارث: إنك ستخرج من سجن هذا الطاغية، وتحكم البصرة، وقال للمختار: إنك ستخرج وتتولى الثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره، وبهذا أخبرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

هذا ولما علمت أخت المختار زوجة عبد الله بن عمر بخبر سجنه، طلبت من زوجها عبد الله بن عمر أن يتدخل ويطلب من يزيد إطلاق سراحه، ففعل فأطلق سراحه، وأمره ابن مرجانة أن يغادر العراق خلال ثلاثة أيام، وإن وجده بعدها ضرب عنقه، فغادر العراق متّهباً نحو الحجاز ونزل عند ابن الزبير، وكان يقول: والله لأقطعن أنامل ابن زياد، ولأقتلن بالحسين بن علي عدد من قتل بدم يحيى بن زكريا^(١).

انتقام المختار من قتلة الحسين عليه السلام

بعد أن قضى المختار وقتاً مع ابن الزبير كان قد تحقّق ما أراحه من إشاعة الفوضى والاضطرابات في أرجاء الدولة الأموية، وخاصة في العراق، فلمّا تبين له أنّ الكوفة قد ثارت، وهي على استعداد للأخذ بثأر الحسين لو تيسر لهم

(١) راجع شرح نهج البلاغة ١: ١٢٧.

الزَّعيم الذي يجمعهم تحت لوائه توجّه إلى الكوفة، وترك ابن الزبير المعادي لأهل البيت عليه السلام، وكان سليمان بن صرد الذي قاد حركة التوابين يستعدون لقتال الأمويين، فلم يشترك معهم وانتهت حركتهم بالفشل، وانضمَّ أفرادُه إلى المختار، فجاهر المختار في الدعوة إلى العلويين، وأخذ البيعة لهم، فكثرت أنصاره حتى طرد عامل ابن الزبير على الكوفة، وانضمَّ إلى المختار إبراهيم بن الأشتر، وحارب الأمويين والزبيريين حتى خضع العراق وسائر الأمصار عدا الحجاز والشام والجزيرة للمختار^(١).

وما إن دخل المختار قصر الإمارة في الكوفة حتى بسط يده يطلب البيعة على كتاب الله والطلب بثأر أهل البيت، ومناصرة من يناصرهم، وفي هذه الأثناء فرّ شمر ابن ذي الجوشن، وعمر بن سعد، ومحمد بن الأشعث من الكوفة، غير أنَّهم بعد ذلك سمعوا بخروج الناس على المختار في الكوفة فعادوا إليها، وجعلوا يحرضون الناس عليه، وقادوا معركة ضارية معه انتهت إلى انتصار المختار^(٢).

ثم نادى منادي المختار في أرجاء الكوفة: من أغلق بابه فهو آمن إلا من اشترك في قتل الحسين. وأطلق العنان لجيشه لينتقموا من قتلة الحسين، وقال لأصحابه: اطلبوا قتلة الحسين وآل البيت، فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض والمصر منهم، فتعالت الصيحات من كل جانب: يا لثارات الحسين. فأخذ الجيش باستخراجهم من مخابئهم وقتلهم، ثم قبض على عمر ابن سعد فقتله واحتز رأسه، وأحضر ابنه حفص، فقال له: أتعرف هذا الرأس؟

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٣٠٠.

(٢) وراجع الخوارج والشيعة، للمستشرق فلهوزن ٥٢.

فقال: نعم ولا خير في العيش بعده . فقال له: ومن أنباك أنك تعيش من بعده . فأمر بقتله ووضع الرأسين بين يديه وبكى ، ثم قال: هذا برأس الحسين ، وهذا برأس علي الأكبر ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أئمة من أنامله . ومضى المختار يطارد قتلة الحسين وآله وأصحابه ، حتى لم يبق أحد إلا فرّ أو قتل ، ثم استأجر نوادب من نساء الكوفة يندبن الحسين عليه السلام ، ومن قتل معه على باب عمر بن سعد^(١) .

ثم أنه قد وصله أخبار تحرك عبيد الله بن زياد بجيش نحو العراق لتحريره من الزبيريين عن طريق الموصل كان قد أعدّه عبد الملك بن مروان ، فجهّز جيشاً مؤلفاً من سبعة آلاف لمقابلته ، فالتقى الجيشان عند نهر الخازر في ضواحي مدينة الموصل ، ودار بينهما قتال عنيف انتهى بهزيمة جيش ابن زياد وقتله ، فطلب ابن الأشر جثة ابن زياد واحتز رأسه وأحرق جثته .

وأرسل المختار رأسي عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد إلى الإمام زين العابدين في المدينة ، ولما ورد الرسول المدينة بالرأسين ، نادى: يا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ومهبط الوحي أنا رسول المختار بن أبي عبيدة ، ومعني رأس ابن مرجانة وعمر بن سعد ، فضج الناس وتصايحوا ، حتى أدخل الرأسين على الإمام زين العابدين ، ووضعهما بين يديه ، فلما رأهما عليهما السلام ، قال: أبعدهما الله إلى النار ، ولم ير الإمام عليه السلام يوماً قط ضاحكاً منذ قتل أبوه إلا في ذلك اليوم^(٢) .

وعندما علم ابن عباس بذلك قال: جزاه الله عنا وعن رسول الله خير

(١) ((الأخبار الطوال: ٣٦٠. تاريخ الطبري ٤: ٥٣٣.

(٢) ((تاريخ يعقوبي ٢: ١٦٤.

جزاء المحسنين، لقد أخذ بثأرنا وأدرك وترنا. كما خرَّ محمد بن الحنفية ساجداً شاكراً لله، وقال: جزاه الله خير الجزاء، لقد أدرك لنا ثأرنا ووجب حقُّه على كل من أولده عبد المطلب بن هاشم. وعن فاطمة بنت علي عليه السلام، قالت: ما تخضبت امرأة من العلويات، ولا أجالت في عينيها مروداً، ولا ترجلت حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد إلى المدينة. وقد روى المرباني نفس هذا المضمون عن الإمام الصادق عليه السلام^(١).

موقف أهل البيت عليه السلام من المختار

في رواية عن المنهال بن عمرو أنه قال: حججت في السنة التي ظهر فيها المختار، ودخلت على الإمام علي بن الحسين، فقال لي: يا منهال ما فعل حرملة ابن كاهل؟ فقلت: تركته حياً يرزق، فرفع الإمام عليه السلام يديه، وقال: اللهم أذقه حرَّ الحديد، اللهم أذقه حرَّ النار. ومضى المنهال يقول: فرجعت إلى الكوفة، وذهبت لزيارة المختار ذات يوم، وكان لي صديقاً، فوجدته قد ركب دابته، فركبت معه حتى أتى الكناسة، فوقف ينتظر شيئاً، وكان قد وجَّه الشرطة في طلب حرملة بن كاهل، فلمَّا وقف بين يديه، قال: الحمد لله الذي أمكنني منك. ثم دعا الجزار وأمره بأن يقطع يديه ورجليه، وبحزمة قصباً، فقطع يديه ورجليه وأحرقه بعد ذلك^(٢)، فقلت بعدما رأيت ذلك: يا سبحان الله. فالتفت إليَّ المختار، وقال: ممَّ سبَّحت يا منهال؟ فقصصت عليه ما سمعته

(١) حياة المختار للخرطوبلي: ٢٠٣.

(٢) هذا هو أهمُّ الإشكال الذي يرد على المختار حيث مثَّل بقتلة الحسين وقد نهى رسول الله وأهل بيته عن المثلة ولولبالكلب العقور.

من الإمام عليّ عليه السلام، ودعاه على حرملة، فقال لي: بالله عليك لقد سمعت ذلك؟ فقلت: إي والله. فنزل وصلى ركعتين وصام نهاره شكراً لله على استجابة دعاء الإمام علي بن الحسين على يديه^(١).

وبلا شك فإنّ المختار قد أدخل السرور على قلوب أهل البيت، وقد ترخّم عليه الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام، ونزّهه الإمام الصادق من كل ما نسب إليه، ويروى أنه دخل على الإمام الباقر عليه السلام، الحَكَم بن المختار فتناول الحَكَم يد الإمام ليقبلها فمنعه، وقال له من أنت؟ فقال: أنا الحَكَم بن المختار. وكان متباعدًا من أبي جعفر عليه السلام، فمدَّ الإمام يده إليه وأدناه حتى كاد يقعده في حجره، فقال له الحكم: أصلحك الله إنّ الناس قد أكثروا في أبي وقالوا، والقول كثير، يقولون إنّ كذاب، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته، فقال عليه السلام: ... «رحم الله أباك، رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه»^(٢).

مصير المختار وأنصاره

قال الواقدي: كان المختار حين وقف لمصعب في عشرين ألفاً! وتوجّه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يجدوا من يقاتل بهم ووجدوا المختار في القصر... فأقام مصعب يحاصره أربعة أشهر، يخرج إليهم في سوق الكوفة فيقاتلهم من وجه واحد ولا يقدر على قتله حتى قُتل المختار^(٣)، فلمّا قُتل المختار بعث من في القصر يطلب الأمان فأبى مصعب حتى ينزلوا على حكمه، فلمّا

(١) الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ: ٤٦٢.

(٢) رجال الكشي: ١٢٥، بحار الأنوار ٣٤٣: ٤٥، ب: ٤٩.

(٣) ودفن المختار بجوار مسلم في الكوفة.

نزلوا على حكمه وهم ثمانية آلاف سبعة آلاف من العرب وسائرهم عجم! فلما خرجوا أراد مصعب أن يترك العرب ويقتل العجم! فقال له من معه: أي دين هذا؟! تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحد! فقدّمهم فضرب أعناقهم.

وفي مروج الذهب: وأتي بحرم المختار، فدعاهن إلى البراءة منه ففعلن، إلا حرمتين له إحداهما بنت سمرة بن جندب الفزاري، والثانية عمرة ابنة النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي فأنّهما قالتا: كيف نتبرأ من رجل يقول: ربّي الله، كان صائم نهاره قائم ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله وأهله و«شيعة» فأمكنه الله منهم حتّى شفى النفوس! فكتب مصعب إلى أخيه عبدالله بن الزبير يخبره بخبرهما وما قالتاه، فكتب إليه: إن هما رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه، وإلا فاقتلتهما! فعرضهما مصعب على السيف فقالت ابنة سمرة: فمع السيف لو دعوتني إلى الكفر لكفرت، فأشهد أنّ المختار كافر! ولعنته وتبرأت منه! ولكن ابنة النعمان قالت: كلا! إنّها مودة ثمّ الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته! والله لا يكون ذلك! آتي ابن هند فأتبعه! وأترك ابن أبي طالب! اللهم اشهد أنني متّبعة لنبيك وابن بنته و«أهل بيته وشيعته»!^(١).

ثورة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

روى علي بن العباس عن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ للإمام الحسين: «يخرج رجل من صلبك يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم

(١) مروج الذهب ٣: ٩٩.

القيامة رقاب الناس غرّاً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب»^(١).

لإلقاء الضوء على ثورة زيد بن علي وقصة استشهاده^(٢) نقتبس ما أورده المرحوم السيد محسن الأمين فيه من كتابه (المجالس السنية): كان زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عين إخوته بعد أخيه أبي جعفر الباقر عليه السلام وأفضلهم، وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين عليه السلام، وكان سبب خروجه مضافاً إلى طلبه بدم الحسين عليه السلام، أنه دخل على هشام بن عبد الملك وقد جمع هشام أهل الشام وأمر أن يتضايقوا في المجلس حتى لا يتمكن من الوصول إلى قربه. فقال له زيد: إنه ليس من عباد الله أحد فوق أن يوصى بتقوى الله، ولا من عباده أحد دون أن يوصي بتقوى الله وأنا أوصيك بتقوى الله فاتقه.

فقال له هشام: ما فعل أخوك البقرة؟

فقال: سماه رسول الله ﷺ باقر العلم وأنت تسميه بقرة لشد ما اختلفتما في الدنيا ولتختلفان في الآخرة!

فقال له هشام: أنت المؤهل نفسك للخلافة الراجي لها؟ وما أنت وذاك لا أم لك وإنما أنت ابن أمة!

فقال له زيد: إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من نبي بعثه وهو ابن أمة فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعث وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام فالنبوة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة يا هشام؟ وبعد فما يقصر برجل أبوه رسول الله ﷺ وهو ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٤٩ ب ٢٥، بحار الأنوار ٤٦: ١٧٠، ب ١١.

(٢) استشهاد زيد بن علي عليه السلام، في يوم الثالث من شهر صفر السنة ١٢١ هـ (على رواية المفيد)

فوثب هشام من مجلسه ودعا قهرمانه وقال: لا يبيتنّ هذا في عسكري، فخرج زيد وهو يقول: إنه لم يكره قوم قط حد السيوف إلا ذلّوا، فحملت كلمته إلى هشام، فعرف أنه يخرج عليه فأرسل معه من يخرج به على طريق الحجاز ولا يدعه يخرج على طريق العراق. فلما رجع عنه الموكلون به بعد أن أوصلوه إلى طريق الحجاز، رجع إلى العراق حتى أتى الكوفة، وأقبلت الشيعة تختلف إليه وهم يبأيعون، حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان والجزيرة. فحاربه يوسف بن عمرو والثقي، فلما قامت الحرب انهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتلهم أشد القتال وهو يقول متمثلاً:

فذل الحياة وعزّ الممات وكلاً أراه طعاماً وبيلاً
فإن كان لابد من واحد فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

وحال المساء بين الصفين، وانصرف زيد وهو مثخن بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته، وطلبوا من ينزع السهم فأتى بحجام، فاستكتموه أمره، فأخرج النصل فمات من ساعته، فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجري الماء على ذلك، وحضر الحجام وقيل عبد سندي مواراته فعرف الموضع، فلما أصبح مضى إلى يوسف فدلّه على موضع قبره فاستخرجه يوسف بن عمرو وبعث برأسه إلى هشام وبعثه هشام إلى المدينة فنصب عند قبر النبي ﷺ يوماً وليلة. (ولمّا) قتل بلغ ذلك من الصادق عليه السلام كل مبلغ وحزن عليه حزناً عظيماً وفرق من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه ألف دينار وكتب هشام إلى يوسف بن عمرو أن اصلبه عرياناً فصلبه في الكناسة فنسجت العنكبوت على عورته من يومه ومكث أربع سنين

مصلوباً، حتى مضى هشام وبويع الوليد بن يزيد، فكتب الوليد إلى يوسف بن عمرو: أما بعد فإذا أتك كتابي فاعمد إلى عجل أهل العراق فاحرقه ثم انسه في اليم نسفاً. فأنزله وحرقه ثم ذراه في الهواء. ولقد نفذ يوسف ما أمره سيده فأحرق جسد زيد بن علي ورماه في نهر الفرات^(١).

وروى عن علي عليه السلام قال: يخرج بظهر الكوفة (الكناسة) رجل يقال له: زيد، في أبهة (الملك) لا يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل عمله! يخرج يوم القيامة وأصحابه ومعهم شبه الطوامير حتى يتخطوا أعناق الخلائق، تتلقاهم الملائكة تقول: هؤلاء حلفاء الحق ودعاة الخلق! ويستقبلهم رسول الله فيقول: «يا بني! قد عملتم ما أمرتم به فادخلوا الجنة بغير حساب»^(٢).

الإمام الصادق عليه السلام وثورة زيد

يظهر من بعض الاخبار أنّ جمعا من الشيعة كانوا يزعمون أنّ زيدا صاحب الأمر منذ عصر الباقر عليه السلام، وكان البعض يظن أنّ زيد كان يدعو لنفسه ففي آخر خبر عن زيد قبل قيامه في عهد الصادق عليه السلام، عن عمار بن زيد الأنصاري قال: سألت زيد بن علي: أنت صاحب الأمر؟ قال: لا، ولكني من «العترة» فقلت له: فبمن تأمرنا؟ فأشار إلى الصادق جعفر عليه السلام^(٣)، وفي خبر آخر عن سليمان بن خالد قال: انتهيت إلى زيد وهو يقول: جعفر إمامنا في

(١) تاريخ يعقوبي ٢: ٣٩١، تاريخ الطبري ٨: ١٢٢. واستشهد زيد بن علي عليه السلام في يوم الثالث من شهر صفر السنة ١٢١ هـ (على رواية المفيد)

(٢) مقاتل الطالبين: ٨٨. وفي فرحة الغري: ٥١، وفي بحار الأنوار ٤٦: ١٨٣.

(٣) انظر قاموس الرجال ٤: ٥٦٧.

الحلال والحرام^(١).

ولذا عندما قرّر زيد الثورة، لم يتجاوز إمام عصره حيث طرح الأمر على الإمام الصادق عليه السلام، قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: سمعت أبي يقول: رحم الله عمّي زيداً... لقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك^(٢).

وبعد ما استشار زيد عمّه الإمام الصادق عليه السلام، وأقرّ له عمله وأخبره نبأً شهادته، جمع زيد بن علي الأنصار فأعلن ثورته والتحق به عدد غفير، ومما التحق معه كثير من الفقهاء والمحدثين والقضاة من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليه السلام، ولكن حُذِل زيد في هذه المعركة كما خذل من قبل جدّه الحسين وتفرق جيشه حتّى قال: أراها حسينية، وبعد قتله حملت جثته وصلبت بالكناسة بالكوفة وكان ذلك في الثالث من شهر صفر سنة (١٢١ هـ)، وكان عمره يوم شهادته ستّاً وخمسين سنة^(٣).

وبعد أن بقي زيد الشهيد أربع سنوات على أعواد المشانق كتب الوليد الفاسق^(٤) الذي ولي هشام إلى عامله في الكوفة يوسف بن عمر: بإنزال جثمان

(١) اختيار معرفة الرجال: ٣٦١، الحديث ٦٦٨.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ٤٧٧، الباب ٤٧، الحديث ١٨٧، وراجع الإحتجاج: ٢: ١٣٥، والكناسة اسم محلة بالكوفة.

(٣) أنساب الأشراف ٣: ٤٤٦، وراجع كتاب (زيد الشهيد) للسيد عبد الرزاق المكرم. وقيل كانت شهادته ودفته ليلة الجمعة السادس والعشرين من شهر محرّم الحرام سنة (١٢٢ هـ)، راجع مقاتل الطالبين: ٩٢، وأنساب الأشراف ٤: ٢٥٢، الحديث ٢٥٤.

(٤) بعد موت هشام تولى الخلافة الوليد بن يزيد سنة (١٢٥ هـ) وقد اشتهر بالفسق إذ لم يكن في بني أمية أكثر إدماناً للشراب منه، وكان من فسقه أنه نكح أمهات أولاد أبيه، وتفاءل يوماً بالمصحف الكريم فخرجت الآية: (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فمزّق المصحف وأنشأ يقول: إذا ما جئت ربك يوم حشرxxx فقل يا ربّ مزّقني

زيد وأمره باحراقه بالنار ثم نسفه في اليم، ولقد نفذ يوسف ما أمره سيده فأحرق جسد زيد بن علي ورماه في نهر الفرات^(١)

وقد صرح الإمام الصادق عليه السلام بعاقبة هذا الأمر بقوله: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذَكَرَهُ، أَدْنَى فِي هَلَاكِ بَنِي أُمَيَّةَ بَعْدَ إِحْرَاقِهِمْ زَيْدًا بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ»^(٢).

ويقول مهزّم الأسدي دخلت على الإمام الصادق عليه السلام بعد شهادة زيد فقال: يا مهزّم ما فعل زيد؟ قال: قلت: صلب، قال: أين؟ قلت: في كناسة بني أسد، فقال: أنت رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد؟ قلت: نعم، فبكى حتّى بكت النساء خلف الستور^(٣)، وفي رواية أخرى لما سمع بمقتل زيد بكى ثم قال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَمِّي، إِنَّهُ كَانَ نَعَمَ الْعَمِّ، إِنَّ عَمِّي كَانَ لَدُنْيَانَا وَآخِرَتَنَا، مَضَى - وَاللَّهِ - عَمِّي شَهِيداً كَشَهِدَاءِ اسْتَشْهَدُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٤).

ونجد الإمام الصادق عليه السلام في مواقف متعدّدة يتبنّى الدفاع عن ثورة عمه زيد ويترحم عليه، يقول الفضيل بن يسار: بعد قتل زيد ذهبت إلى المدينة لألتقي بالإمام الصادق عليه السلام وأخبره بنتائج الثورة، وبعد أن التقيته وسمع منّي مادار في المعركة قال: «يا فضيل شهدت مع عمّي قتال أهل الشام؟ قلت: نعم. قال: فكم قتلتم منهم؟ قلت: ستّة. قال: فلعلّك شكّ في دمائهم؟ قال: فقلت: لو كنت شاكاً ما قتلتهم. ثم قال: سمعته يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله زيد عمّي وأصحابه شهداء، مثل ما مضى عليه عليّ بن أبي

الوليد (مروج الذهب: ٣/٢١٦، حياة الحيوان: ١/٧٢)

(١) تاريخ يعقوبي ٢: ٣٩١، تاريخ الطبري ٨: ١٢٢، الكامل في التاريخ ٥: ١٢٧.

(٢) الكافي ٨: ١٦١، وتفسير العياشي ١: ٣٢٥.

(٣) أمالي الطوسي ٢: ٢٨٤.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٨١، الباب ٤٧، الحديث ١٩٢.

طالب وأصحابه^(١)».

ويقول عبد الرحمن بن سياه: دفع إليّ أبو عبد الله الصادق عليه السلام ألف دينار وأمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، فقسمتها فأصاب عبد الله أخا الفضيل الرّسان أربعة دنانير^(٢).

وقالوا بأن ثورة زيد بن علي عليه السلام هي خروج على سلطان زمانه «هشام بن عبد الملك» لأهداف كان يريد لها زيد لنفسه، فردّ على هذا الإتهام الإمام الصادق عليه السلام حين قال: «لاتقولوا خرج زيد، فإنّ زيدا كان عالماً صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنّما دعاكم إلى الرضيّ من آل محمد ﷺ، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه»^(٣)، ومن بعده ردّ عليهم الإمام الرضا عليه السلام، حيث يقول: حدّثني أبي موسى بن جعفر: أنّه سمع أباه جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: رحم الله عمّي زيدا، إنّّه دعا إلى الرضا من آل محمد^(٤).

وهكذا نرى كيف كان الإمام الصادق عليه السلام يتابع ثورة عمّه زيد ويتحمّل نتائجها وأعباءها، كما أيّد ثورة يحيى بن زيد فيما بعد.

خروج يحيى بن زيد بعد أبيه

قد خرج يحيى من الكوفة بعد مقتل أبيه زيد وتوجّه إلى خراسان، فسار إلى الري، ومنها أتى سرخس، ثم خرج ونزل بلخ على الحريش بن عبد

(١) أمالي الصدوق: ٢٨٦، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٨٣، الحديث ١٩٣.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٧٥.

(٣) راجع كتاب (زيد بن علي)، للسيد عبد الرزاق المرقم: ١٧٦.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٧٧، الباب ٤٧، الحديث ١٨٧ عن المبرّد النحوي البصري الأزدي.

الرحمن الشيباني ولم يزل عنده حتّى هلك هشام وولي الوليد، وكتب والي الكوفة إلى نصر بن سيار والي خراسان يخبره بأنّ يحيى بن زيد موجود في منزل الحريش في بلخ، وهنا طلب نصر من الحريش بأن يسلم إليه يحيى، فردّ الحريش على الوالي نصر بن سيار قائلاً: لا علم لي به، ولهذا السبب ضرب الحريش ستمائة سوط، ثم قال الحريش: والله لو أنه تحت قدمي ما رفعتهم^(١).

وأرسل نصر جيشاً يقدر بعشرة آلاف فارس وكان يحيى في سبعين رجلاً، وفي المعركة الأخيرة التي دارت حوالي جوزجان أصيب يحيى بسهم في جبهته كأبيه فقتل وبادروا إليه فاحتزّوا رأسه، وقاتل بعده أصحابه حتّى قُتلوا عن آخرهم، وأرسل نصر بن سيار برأسه إلى الوليد بن يزيد فأرسله الوليد إلى أمه ريطة في المدينة، وكان مصرعه سنة ١٢٥هـ بعد مضي خمس سنوات على مصرع أبيه^(٢)، وصلب جسده الشريف على باب مدينة جوزجان ولم يزل مصلوباً حتّى ظهر أبو مسلم الخراساني فأنزله وغسّله وكفّنه وحنّطه ودفنه هناك وقبره مشهور مزور^(٣)، ثمّ تتبّع قتلته فلم يدع أحداً ممن شهد قتله^(٤)، وأظهر أهل خراسان النياحة عليه سبعة أيام! ثمّ لم يولد في تلك السنة بخراسان مولود إلاّ وسَمّي يزيد أو يحيى، لما داخل أهل خراسان من الحزن والجزع عليه^(٥).

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٨٩.

(٢) راجع مقاتل الطالبين: ١٠٧، وفي مروج الذهب ٣: ٢١٢.

(٣) ينسب ليحيى بن زيد ثلاثة مزارات أحدها في ميامي التي تبعد عن مشهد حوالي ستين كيلو متراً، والثاني في مدينة جرجان القديمة قرب مدينة كنبد كاووس في محافظة كلستان في شمال إيران، والمرقد الثالث في جوزجان أفغانستان وهو أقرب للصواب حيث دارت المعركة هناك، وكما جاء خبره في قصيدة دعبل التائية في حضور الإمام الرضا(ع).

(٤) راجع تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٣٢، والكامل في التاريخ: ١٢٧/٥، وزيد بن علي، للسيد عبد الرزاق المقرم: ١٧٦.

(٥) مروج الذهب ٣: ٢١٣.

نهاية الخلافة الأموية

كانت معركة الزاب التي خاضها عبد الله بن علي ضد مروان بن محمد هي نهاية الحكم الأموي إلى الأبد، فقد جاء في (تاريخ يعقوبي) و (مروج الذهب) وغيرهما من كتب التواريخ؛ أنّ مروان بن محمد قد انهزم في معركة نهر الزاب بعد أن قتل أكثر من معه من الجيش وغرق في نهر الزاب خلق كثير ممن كانوا معه، واتجه مروان فيمن بقي معه نحو الموصل فمنعه أهلها من دخولها فاتجه إلى حرّان وكانت داره بها وعياله يقيمون فيها، ثم هرب بهم إلى فطرس في بلاد فلسطين، وعبد الله بن علي في إثره، وفي طريقه حاصر دمشق وفيها الوليد بن معاوية بن عبد الملك في خمسين ألف مقاتل ففتحها وأسر جماعة من أحفاد عبد الملك بن مروان وأرسلهم إلى أبي العباس في الحيرة، فقتلهم وصلبهم فيها، كما قتل من بني أمية وغيرهم خلقاً كثيراً.

وأخيراً سقطت الدولة الأموية في (١٣ / ربيع الثاني / السنة ١٣٢ هـ) وكان السبب الرئيسي والأساسي لسقوطها، هو فسادهم وانحرافهم عن الدين وطعن الدين باسم الدين، فقتلوا عترة رسول الله ﷺ، بدؤوا بسبطي النبي ﷺ وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام، وسبوا حريمهم، ومن قبل قتلوا عمار بن ياسر قتيل الفئة الباغية، وقتلوا حجراً، وأمروا أولاد الزنا، وعاثوا في الأرض فساداً على أيدي العتاة المردة من جلاوزتهم أمثال بسر بن أرطاة، وعبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمير، والحجاج بن يوسف الثقفي، وغيرهم من المجرمين.

وقد أخبر الإمام الصادق عليه السلام بسقوط دولة بني أمية بقوله: «إن الله عزّ ذكره، أذن في هلاك بني أمية بعد إحراقهم زيدا بسبعة أيام» وكان حرق

جسد زيد بن علي ورميه في نهر الفرات من قبل عامل الوليد في الكوفة يوسف بن عمر^(١).

ويرى بعض الرواة أنَّ الآية من سورة القدر ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٢) تشير إلى الزمان الذي تعيشه تلك الدولة التي لم تترك حرمة من حرمت الإسلام إلا وداستها ووطأتها بأقدامها، ولا لونا من ألوان التعذيب والتنكيل بالعلويين والأبرياء من صلحاء المسلمين إلا ومارسته، وحققت لأبي سفيان وحزبه جميع ما كان يحلم به ويعمل من أجله، ولكن الله يهمل ولا يهمل..

لقد سقطت الدولة الأموية بعد تسعين عاماً على إنشاءها لتقوم دولة أخرى بدماء العلويين كما قامت دولة الأمويين على دمائهم، وإذا كان الأمويون معذورين بقتل ذرية رسول الله لأخذ ثارهم من بدر كما صرح يزيد في أشعاره، فليس هناك عذر لبني العباس وهم يدعون القرابة من النبي، وقد أشار إلى هذه المسألة شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي بعد شهادة الإمام الرضا بقوله:

أرى أمية معذورين إن «قتلوا»

ولا أرى لبني العباس من عذر!

نعم قد تعرض أهل بيت النبي ﷺ لأنواع الأذى والظلم والاضطهاد في سبيل حفظ الإسلام من الانحراف، ووقوفهم ضد الظلم والظالمين، من الحكام الأمويين وخاصة العباسيين، ولو أنَّ النبي ﷺ قد أمرهم بإيذاء أهل

(١) تاريخ يعقوبي ٢: ٣٩١، الكافي ٨: ١٦١، تاريخ الطبري ٨: ١٢٢.

(٢) سورة القدر: الآية ٢.

بيته لأمكننا القول بأنه لم يمكن أن يلاقوا أكثر مما لاقوه بالفعل من الأذى والظلم والمحن والمصائب، بحيث يعجز عن بيانها القلم، ويكلّ عن ذكرها اللسان، وجدير بتلك المآسي أن تبكيها العيون دماً.

وقد أخبر الرسول ﷺ بتلك المظالم التي سوف تقع على أهل بيته عليه السلام، وأوصاهم بالصبر، قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ مِنْ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قِتْلًا وَتَشْرِيدًا، وَإِنَّ أَشَدَّ قَوْمًا لَنَا بَغْضًا بَنُو أُمَيَّةَ وَبَنُو الْمُغِيرَةِ وَبَنُو مَخْزُومٍ»^(١)، وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «قد وضع بنو أمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلتين: أحدهما أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْخِلَافَةِ حَقٌّ فَيَخَافُونَ مِنْ ادْعَائِنَا إِيَّاهَا وَأَنْ تَسْتَقَرَّ فِي مَرْكَزِهَا. وَثَانِيهَا أَنَّهُمْ قَدْ وَقَفُوا مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَلَى أَنْ زَوَالَ مَلِكِ الْجَبَابِرَةِ وَالظُّلْمَةِ عَلَى يَدِ الْقَائِمِ مَتَى، وَكَانُوا لَا يَشْكُونَ أَنَّهُمْ مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَالظُّلْمَةِ، فَسَعَوْا فِي قَتْلِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِبَادَةِ نَسْلِهِ، طَمَعًا مِنْهُمْ فِي الْوُصُولِ إِلَى مَنْعِ تَوَلَّدِ الْقَائِمِ # أَوْ قَتْلِهِ، فَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَكْشِفَ أَمْرَهُ لَوَاحِدٍ مِنْهُمْ، إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^(٢).

وقد حدّثنا التاريخ وروايات أهل البيت عليه السلام عن بعض ما وقع عليهم من الظلم والاضطهاد، بحيث يقول الإمام الحسن عليه السلام، في حديثه بعد قتل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام: حدثني جدي رسول الله ﷺ «إِنَّ الْأَمْرَ يَمْلِكُهُ إِثْنَا عَشَرَ إِمَامًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَفْوَتِهِ مَا مِنَّا إِلَّا مُقْتُولٌ أَوْ مَسْمُومٌ»^(٣).

(١) المستدرك على الصحيحين ٤: ٥٣٤، الصوارم المهرقة: ٧٤ و١٩٨.

(٢) إثبات الهداة ٣: ٥٧٠، عن التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري عليه السلام.

(٣) كفاية الأثر: ١٦٠.

ولذا نرى أنَّ الشعراء الرساليين أيضاً قد تحدّثوا عن المصائب والمحن التي جرت على أهل البيت عليهم السلام ، ونظموا الشعر الحزين في رثائهم، ومن تلك القصائد المحزنة من أحد هؤلاء الشعراء الرساليين الذي يرثي بها أهل البيت عليهم السلام ويخاطب ويعاتب بها الدهراخؤون هذه القصيدة:

لا تأمن الدهر إنّ الدهر ذو غيرٍ	وذو لسانين في الدنيا ووجهين
أخنى على عترة الهادي فشتتهم	فما ترى جامعاً منهم بشخصين
بعض بطيبة مدفون وبعضهم	بكربلاء وبعض بالغريين
وأرض طوس وسامرا وقد ضمنت	بغداد بدرين حلاً وسط سطرين
يا سادتي ألن أنعى أسي ولمن	أبكي بجفنين من عيني قريحين
أبكي على الحسن المسموم مضطهداً	أم الحسين قضى بين الخميسين

الليلة الخامسة والعشرون

حقيقة الموت وفلسفة الشهادة

قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١)

قال رسول الله ﷺ: «فوق كل ذي برٍّ حتى يقتل المرء في سبيل الله، وإذا قتل في سبيل الله، فليس فوقه برٌّ»^(٢)

إنَّ أوَّلَ منزل من منازل الحياة الاخرية هو الموت، الذي هو: عبارة عن انفصال الروح عن البدن وهو في الواقع انتقال من مرحلة من الحياة إلى مرحلة أخرى كمثّل الطفل الذي يعيش جنيناً في بطن أمّه، ثم يولد فينتقل إلى الدنيا، فهذا حقيقة الموت وقد شبه في بعض الروايات بالنوم، فسئل محمد بن علي الجواد عليه السلام ما الموت؟ فقال عليه السلام: «هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة إلا

(١) سورة آل عمران: ١٦٩

(٢) الكافي ٥: ٥٣، باب فضل الشهادة، بحار الأنوار ٧١: ٦٠، ب ٢.

أنه طويل مدته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة... فاستعدوا له»^(١)

وكذلك فقد يكون الموت أول منازل العقاب لبعض، كما قد يكون أول الخيرات ومواقع السعادة لبعض آخر، فعن الصادق عليه السلام حين قال له قائل: صف لنا الموت، فقال عليه السلام: «هو للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينتعش بطيبه فينقطع التعب والألم كله، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشد»^(٢)، وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام ما الموت؟ فقال عليه السلام: «للمؤمن كنز ثياب وسخة قملة وفك قيود وأغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ المراكب وأنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب»^(٣).

ويعتبر الموت مرحلة من مراحل السير التكاملي للإنسان نحو الآخرة، وهو الرجوع إلى الله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٤)، حيث أن الاستقرار النهائي عند الله، والراحة الأبدية عند لقائه، قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾^(٥).

أبى الله أن يكون لي سرور دون لقائه

عن الرضا قال: إنَّ سليمان بن داود قال ذات يوم لأصحابه: إنَّ الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، سخر لي الريح

(١) بحار الأنوار: ٦، ١٥٥، الباب ٦، سكرات الموت وشدائده.

(٢) بحار الأنوار: ٦، ١٥٢، الباب ٦.

(٣) بحار الأنوار: ٦، ١٥٥، الباب ٦.

(٤) سورة البقرة: ١٥٦.

(٥) سورة القيامة: ١٢.

والجنّ والطّير والوحوش وعلمني منطق الطّير وآتاني من كلّ شيء، ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تمّ لي سرور يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكه، فلا تأذنوا لأحد عليّ لئلا يرد عليّ ما ينغص عليّ يومي، قالوا: نعم، فلمّا كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتي، فرحاً بما أعطي إذ نظر إلى شابّ حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلمّا بصر به سليمان قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم، فيأذن من دخلت؟

فقال الشابّ: أدخلني هذا القصر ربه، ويأذنه دخلت.

فقال: ربّه أحق به منّي، فمن أنت؟

فقال: أنا ملك الموت.

قال: وفيما جئت؟

قال: جئت لأقبض روحك.

قال: امضِ إلى ما أمرت به، فهذا يوم سروري، وأبى الله أن يكون لي

سرور دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه...^(١).

أسباب الخوف من الموت

مع أنّ الموت ولقاء الله هو راحة المؤمن ويوم سروره فينتقل إلى حياة أفضل من الحياض الدنيا التي يعيش فيها نرى بعض الناس يخافون من هذا

(١) عيون أخبار الرضا ٢٦٥: ١، ب٢٦، بحار الأنوار ١٤: ١٣٦، ب١١.

الانتقال، ويكرهون الموت لعلل وأسباب أهمها الأمور التالية:

السبب الأول: عدم التعرف على حقيقة الموت

يخاف الإنسان من العدم والفناء، ويبغضه بفطرته ويريد الحياة الأبدية، وسبب خوف بعض الناس من الموت أنهم يعتبرونه فناء، أما لو اعتبروا الموت ولادة أخرى، كولادة الطفل من رحم أمه، واعتبروه عبوراً من عالم ضيقٍ إلي عالمٍ أوسع وأكمل، وحياة أحسن وأفضل، فسيعلمون أن الموت في هذه الدنيا هو مقدمة لتلك الحياة الأفضل الأبدية، ولسوف ينتظرونه ويرتقبونه، ولا يخافونه، إذا استعدوا له بالأعمال الصالحة، ليدخلوا في الحياة الأبدية التي لا موت فيها قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(١).

وسئل الإمام الجواد عليه السلام: «ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟» قال عليه السلام: «لأنهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عز وجل لأحبوه، ولعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا...»^(٢) فأولياء الله كانوا يحبون الموت ويعشقون لقاء الله، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه، ومن الرجل بأخيه وعمه»^(٣)، وإذا طلبوا الدنيا وطول البقاء فيها فهو لأجل الزيادة من الحسنات والطاعات لنيل الدرجات، فهذا الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو ويناجي ربه: «إلهي إن كان عمري بذلة في طاعتك فعمّرني وإن كان مرتعاً للشيطان فاقبضني»^(٤).

(١) سورة الدخان: ٥٦.

(٢) بحار الأنوار ٦: ١٥٦، الباب ٦، سكرات الموت وشدائده.

(٣) شرح نهج البلاغة ١: ١٣، وبحار الأنوار ٢٨: ٢٨، الباب ٤.

(٤) من أدعيته في الصحيفة السجّادية.

السبب الثاني: الخوف من الأعمال الفاسدة

هناك جماعة من الناس يخافون من الموت لا لأنهم يعتبرونه فناء، بل لأنهم قد ارتكبوا المعاصي والمحرمات الكثيرة، وعلموا أن الله تعالى يعذبهم على ذلك عذاباً أليماً، فلذلك خافوا من الموت، ففي قوم من اليهود الذين ارتكبوا بعض المعاصي ادعوا أنهم المقربون والمحبوبون لله سبحانه، فنزلت الآيات التالية من سورة الجمعة لتكذبهم وتقول لهم: لو كان حقاً ما تقولون لتمنيتم الموت، واشتقتم إلى لقاء الله: ﴿قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَنْمَوْنَ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(١).

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: لَا تَكُفُّمُ عَمَلُكُمْ الدُّنْيَا وَأَخْرَبْتُمُ الْآخِرَةَ فَتَكْرَهُونَ أَنْ تُثَقِّلُوا مِنْ عُمْرَانٍ إِلَى خَرَابٍ فَقَالَ لَهُ فَكَيْفَ تَرَى قَدْ وَمَنَا عَلَى اللَّهِ فَقَالَ أَمَّا الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ فَكَالْغَائِبِ يَقْدِمُ عَلَى أَهْلِهِ وَأَمَّا الْمُسِيءُ مِنْكُمْ فَكَالْبَاقِ يُرَدُّ عَلَى مَوْلَاهُ...^(٢).

السبب الثالث: التعلق بالدنيا

إنَّ أحد أسباب الخوف من الموت التعلق بالدنيا، وعندما يوجد الإنسان في نفسه محبة شديدة للدنيا وزينتها من الأموال والأولاد والأرقاب بعيداً عن الله تعالى فإنه يصعب عليه تركها، أما لو ترك الإنسان التعلق بالدنيا للفوز بالجنة والرضوان من الله، فسيكون الإعراض عن هذه العلائق والتوجه إلى المحبوب الحقيقي سهلاً جداً، فحينئذٍ يسهل عليه الموت، بل يختار الموت بنفسه

(١) سورة الجمعة: ٦، ٧.

(٢) الكافي ٢: ٤٥٣، باب محاسبة العمل.

لينال السعادة الآخروية، لأنَّ الموت بالنسبة للمؤمن سعادة كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «إني لا أرى الموت إلا شهادة والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(١).

الموت في سبيل الله

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢)، إِنَّ القرآن المجيد في هذه الآية الكريمة يعبر عن الذين يُقتلون في سبيل الله بأنهم ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وليس بأموات، وما اعظمها من منزلة، فالينظر ما هو سرُّ ذلك:

يقول الشهيد مطهري «الشهيد يخلد نفسه في المجتمع عن طريق دمه، أي عن طريق الدم الجديد الخالد الذي يهبه شرايين المجتمع، وبعبارة أخرى يكتسب الشهيد صفة الخلود عن طريق تقديم كل وجوده وحياته.. لا عن طريق تقديم جزء من وجوده وشخصيته، كما يفعل غيره من الخالدين.

ولهذا فالنبي الكريم يقول: «فوق كل ذي برٍّ حتى يقتل المرء في سبيل الله، وإذا قتل في سبيل الله، فليس فوقه برٌّ»^(٣).

ويضيف الشهيد مطهري بقوله: «نرى بأنَّ أحكام الميت لا تُطبَّق على جسد الشهيد سوى الصلاة والدفن، أما الغسل والتكفين و.. فلا، فالشاهد يُدفن بدمه وملابسه.. وهذا الاستثناء له مغزاه العميق، انه يرمز الى ان روح الشهيد بلغت درجة من السموّ والطهارة بحيث ترك هذا السموّ والطهر آثاره

(١) وقعة الطف عن الطبري، راجع اللهوف: ٧٩، بحار الأنوار ٤: ١٩٢، ب ٢٦.

(٢) سورة ال عمران: ١٦٩

(٣) الكافي ٥: ٥٣، باب فضل الشهادة، بحار الأنوار ٧١: ٦٠، ب ٢.

على جسد الشهيد وعلى دمه، بل وحتى على ما يرتديه من لباس.
 إِنَّ كُلَّ قطرة من دم الشهيد تتحوّل الى آلاف القطرات.. بل الى بحر من
 الدماء يدخل جسد المجتمع، ومن هنا قال الرسول ﷺ: «ما من قطرة أحب
 الى الله من قطرة دم في سبيل الله»^(١).
 فالشهادة تزريق لجسد الامة بدم جديد، والشهداء يضخّون في شرايين
 المجتمع، وخاصة المجتمع الذي يعاني من فقر الدم، دماً جديداً.
 الشهيد يسجّل بدمه ملحمة يحيي بها روح الحماسة في مجتمع ماتت
 فيه روح الحماسة وخاصة الحماسة الالهية، ولهذا فالاسلام بحاجة دوماً الى
 شهيد...

لا بدّ من الموت

مهما كان الموت وكيف كان بالحتف أو القتل فهو لا بد منه، وما علينا إلا
 الصبر والإتعاظ به وكفى بالموت واعظاً، واقتداءً برسول الله حيث قال: «العين
 تدمع والقلب يخشع ولا نقول ما يسخط الرّب»^(٢)، فنحن نحزن ونبكي على
 أحبّتنا ونؤجر ونثاب على ذلك، ولا ريب أن فقد الأعبة صعب جداً، ولذا
 نرى لما استشهد عمار بن ياسر وقف الإمام علي عليه السلام على مصرعه وتنفس
 الصعداء وبكى وهو الصبور، ونعاه بهذه الابيات:

ألا أيها الموتُ الذي ليس تاركي

أرحني فقد أفنيت كلَّ خليلٍ

(١) الكافي ٥: ٥٣، بحار الأنوار ٩٧: ١٤، ب ١، وسائل الشيعة ١٥: ١٣، ب ١.

(٢) مسكن الفؤاد: ١٠١، بحار الأنوار ١٢: ٣٢٥، ب ٩.

أراك بصيراً بالذين أحبُّهم

كَأَنَّكَ تَنَحُّونَهُمْ بِدَلِيلٍ^(١)

ولكن مهما كبرت وعظمت مصائبنا فهي لا شيء في مقابل المصائب التي جرت على النبي وأهل بيته، وتهون وتصغر كل المصائب أمام تلك المصائب، ولذا أوصينا وأمرنا بالصبر أمام كل المصائب ولكن مع هذا وقد يصعب الصبر لعظم بعض المصائب كمصيبة فقد الرسول وقف أمير المؤمنين عليه السلام على قبره ساعة دفنه وقال: «إِنَّ الصبر لجميل إلا عنك وإن الجزع لقبيح إلا عليك»^(٢)، وأخذ يرثي النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله:

الموت لا والداً يُبقي ولا ولداً هذا السبيلُ إلى أن لا ترى أحداً
هذا النبي ولم يُخلد لأمتِه لو خلَّد الله خلقاً قبله خلداً
للموت فينا سهامٌ غيرُ خاطئةٍ من فاته اليوم سهم لم يفتُه غداً

ونرى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام وهو يسير نحو كربلاء يُردِّد هذه الأبيات المنسوبة له أولآبيه أمير المؤمنين عليه السلام:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة

فدار ثواب الله أبقي وأنبل

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت

فقتل امري بالسيف في الله أفضل^(٣)

(١) ديوان الإمام علي: ٣٨، بحار الأنوار ٣٤: ٤٣٨، ب ٣٦، ج ٧٥: ٨٨ ب ١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٩: ١٩٥، بحار الأنوار ٧٩: ١٣٤، ب ١٨.

(٣) ديوان الإمام علي: ٣١٢، اللهوف: ٧٤، بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٤، ب ٣٧.

ومع أنَّ الإمام الحسين هو أسوة في الصبر والتحمل للمصائب، ويعرف حقيقة الموت في سبيل الله ولكن وقف يوم عاشوراء مخاطباً أصحابه: قوموا رحمكم الله إلي الموت الذي لا بدّ منه، ثم لما رآهم صرعى مجزرين كالأضاحي، وقد بذلوا مهجهم دونه وقف على أجسادهم الطاهرة وأخذ يبكي عليهم ويندبهم وكأنّ بلسان حاله:

أحباي لو غير الحما أصابكم

عتبت ولكن ما على الموت معتب

إلي الله أشكوا لا إلي الناس أشتكي

على الأرض أبقى والأخلاء تذهب^(١)

الليلة الخامسة والعشرون

الإمام علي عليه السلام وحروبه الثلاث^(١)

قال تعالى:

﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ
بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ
أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «يا علي ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين
من بعدي»^(٣).

لقد صبر الإمام علي عليه السلام مدة خمسة وعشرين سنة عن حقه في الخلافة
والحاكمية على الأمة الإسلامية ولقد أعان الخلفاء الثلاثة في الحكم لأجل مصلحة

(١) بمناسبة وقعة صفين في (١/ صفر/ سنة ٣٧ هـ)، وحرب النهروان في (٩/ صفر/ سنة ٣٨ هـ)، إختارنا هذا الموضوع
للبحث، لنعرض صفحات من سيرة خلافة الإمام علي وحروبه الثلاث التي خاضها مع الناكثين والقاسطين
والمارقين، والتي أخبر بها رسول الله ﷺ، أمير المؤمنين عليه السلام، ونركّز البحث حول معركتي صفين والنهروان
لمناسبة وقوعهما في شهر صفر.

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٨: ٢٣، ب: ٦٥. و بحار الأنوار ٣١: ٤٣٥، ب: ٢٧، وج ٣١١: ٣٢، ب: ٧.

الإسلام العليا، إلى أن قتل الخليفة عثمان بن عفان وبقيت المدينة أياماً بعد قتله والناس يلتمسون علياً عليه السلام للقيام بالأمر وفيهم وجوه من الأنصار والمهاجرين منهم طلحة وزبير وقالوا لعل علي عليه السلام: قد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من بين القرى، فهات نبايعك! فقال عليه السلام: «دعوني والتمسوا غيري؛ فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول... إن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم!»^(١).

وازدحم الناس وألحوا على الإمام علي عليه السلام بقبول الخلافة، ولولا أن تمت الحجة على الإمام عليه السلام لما قبلها، وكان قبوله للخلافة فقط لأجل إجراء العدالة الاجتماعية في المجتمع، فقد قال عليه السلام: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها»^(٢).

ويرى أمير المؤمنين عليه السلام أن الحكم والمنصب والخلافة ليس إلا وسيلة يستخدمها الحاكم لخدمة الناس وإحقاق الحق، ودحض الباطل لا أنه غاية لدرّ الأرباح، وقد التزم الإمام بهذه الرؤية إلى أبعد الحدود حتى نراه يجتنب عن إعطاء المهام الحساسة كالولاية وبيت المال إلى المتعطّشين للسلطة كطلحة والزبير، ولهذا السبب فقد أٌججوا نائرة الفتنة، ورفعوا لواء العصيان ضد

(١) ونقله الرضي في نهج البلاغة، الخطبة ٩٢، ولا مصدر غير الطبري، والخبر عن سيف التميمي! وعن الطبري

في الكامل وعنه في بحار الأنوار ٣٢: ٨.

(٢) نهج البلاغة: خ ٣، الخطبة الشقشقية.

الإمام عليّ عليه السلام، ولذا كان يقول عليه السلام: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لبرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»^(١).

وبايعوا الناس أمير المؤمنين في يوم ٢٥ ذي الحجة، السنة ٣٥ هـ، فبدأ أمير المؤمنين عليه السلام من يومه الأول للخلافة يجند قواه للإصلاح ويقوم ما أعوج من شؤون الناس، فإذا هو يعزل الولاة من عمال عثمان واحداً بعد واحد، وهو لا يرى فيهم من يصلح للبقاء في عمله، ولهذا لم يقرّ معاوية من اليوم الأول لخلافته على ولاية الشام، على الرغم من أنّ البعض اقترح عليه إقراره إلى حين، ثم عزله في وقت أمكن لعلي عزله إلا أنّ علياً عليه السلام لم يكن ليداهن الباطل على الحق، ولا يتوسّل به عليه، وقد كتب إلى معاوية بعد ما طلب الأخير إبقاءه على الشام، قال عليه السلام: «... وحاشى الله أن تلي للمسلمين بعدي صديقاً أو ورداً، أو أجري لك على أحد منهم عقداً أو عهداً»^(٢).

ولذا كانت بيعة الناس لأمر المؤمنين عليه السلام بمنزلة صاعقة حلتّ بقريش وكلّ من يكنّ العداء للإسلام، فحكومة الإمام هي امتداد لحكومة رسول الله ﷺ التي أذلت الظلم والعدوان والبغي، وجاءت بالعدل والمساواة والحق والفضيلة.

وقد كان كلّ من طلحة والزبير يرى نفسه قريناً لأمر المؤمنين عليه السلام، بعدما رشّحهما عمر للخلافة فكان يتوقّع كلّ منهما أن يلي حكومة جزء كبير

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١.

(٢) نهج البلاغة: كتاب ٦٥.

من البلاد الإسلامية على أقلّ تقدير، وكان معاوية يتصرّف في الشام تصرّف الحاكم المطلق المتفرد والطامع في الخلافة، من هنا اجتمعت آراؤهم وأهواؤهم على إثارة الفتن للحيلولة دون استقرار الحكم العادل^(١).

ولم يكن تمرّد بعض الفئات من المسلمين على حكم الإمام عليّ عليه السلام غريباً؛ فقد أخبره النبي ﷺ بذلك، وعهد إليه بقتالهم في قوله ﷺ: «يا علي ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي»^(٢). فبعد مقتل الخليفة عثمان ومبايعة المسلمين الإمام علياً عليه السلام، جعل أولئك الذين تمنوا الموت للخليفة عثمان، وحرّضوا الناس ضده حتى أودوا بحياته، جعلهم متحدين يطالبون بدمه، خرجوا إلى مكة بحجة العمرة ومنها إلى البصرة وفيها وقعت حرب الجمل في الخامس عشر من شهر جمادى الأولى أو الثانية سنة ٣٦ للهجرة حيث خلّفت نتائج سلبية على واقع المجتمع الإسلامي وشاعت الأحقاد بين المسلمين، وفتحت باب الحرب والإقتال فيما بينهم، فأطلّ معاوية بن أبي سفيان ليكمل مسيرة الانحراف، فشنت حرب صفين على الإمام بعد مضي سنة من حرب الجمل، وتلاها حرب الخوارج على الإمام في النهروان وقد وقعتا في شهر صفر وإليك الحديث عنهما بإختصار:

قتال القاسطين (وقعة صفين)

كان ابتداء القتال بصفين في أول يوم من صفر سنة (٣٧ للهجرة)، وذلك عند نهر الفرات في وادي صفين قرب الرقة، ويذكر المؤرخون أنه لما

(١) راجع تاريخ بغداد ٨: ٣٤٠، مجمع الزوائد ٩: ٢٣٥، وكنز العمال ٦: ٨٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٨: ٢٣، ب ٦٥، بحار الأنوار ٣١: ٤٣٥، ب ٢٧، وج ٣٢: ٣١١، ب ٧.

عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير لقتال معاوية ومن معه من أهل الشام، خطب في أصحابه، ومما جاء في كلامه بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ: فالعجب من معاوية بن أبي سفيان، ينازعني الخلافة، ويجحدني الإمامة ويزعم أنه أحقّ بهمني، جرأة منه على الله وعلى رسوله، بغير حق له فيها ولا حجة، لم يبايعه عليها المهاجرون، ولا سلّم له الأنصار والمسلمون...». إلى أن قال عليه السلام: «اتقوا الله - عباد الله - وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم، فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر؛ إذا أمرتهم أطاعوني، وإذا استنهضتهم نهضوا معي، لاستغنيت بهم عن كثير منكم، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه فإنه الجهاد المفروض»^(١).

وقد كشف معاوية عن نواياه العدائية، عندما بادر إلى الاستيلاء على الماء، وحال بينه وبين أهل العراق، فأضّرّ بهم العطش، فأرسل إليهم أمير المؤمنين عليه السلام: «إنا لم نأت هذه الأرض لنسيطر على الماء والكلاء، ولو سبقناكم إليه، لا نمنعكم منه».

ولكن لم تجد هذه الكلمات آذاناً صاغية من الطرف المقابل، ما اضطرّ علياً عليه السلام إلى استعمال القوة لإنقاذ عشرات الألوف ممن كان معه من الموت عطشاً، فأرسل الأشرع ﷺ في كتيبة من عسكره فأظهروا من البسالة ما أبهر جيش معاوية وأجبرهم على الانسحاب، فاستعاد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الماء من أهل الشام، وهنا ظهرت سماحة الإمام عليه السلام حيث حاول بعض أصحابه إقناعه أن يقابل أهل الشام بالمثل ويمنع عنهم الماء، فأبى عليه السلام عليهم أشدّ الإباء^(٢).

(١) الإرشاد ١: ٢٦٣.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٨٤، شرح النهج لابن أبي الحديد ٣: ٣٢٠، والكامل في التاريخ ٣: ٢٨٣.

فبقي الجيشان ينهلان من الماء على قدم المساواة، واستمرت جهود الإمام عليه السلام في حلّ النزاع سلمياً كما يظهر ذلك من أكثر المرويات في هذا المجال، ولكن جهود الإمام عليه السلام ذهبت سدى، بعد أن واصل أصحاب معاوية استفزازاتهم، وغاراتهم حتى أوقعوا في أصحاب الإمام عدداً من القتلى، عندها أذن الإمام بالقتال.

شهادة الصحابي عمار عليه السلام^(١)

كان عمار بن ياسر رضي الله عنه من السابقين الأولين هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة وصلى إلى القبلتين وشهد بدرًا واليمامة وأبلى فيهما بلاءً حسناً وكان هو وأمه ممن عذبوا في الله فأعطاهم ما أرادوا بلسانه، فنزل فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه ابن حجر في الإصابة: «من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله»^(٣).

وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إِنَّ عماراً تقتله الفئة الباغية» وأجمعوا على أنه قتل مع علي عليه السلام بصفين. قال: في (الاستيعاب): هذا من إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب وأعلام نبوته وهو من أصحّ الأحاديث.

(١) استشهد عمار في معركة صفين في (٩/ صفر/ السنة ٣٧ هـ)، واليوم فقد تحوّل مكان استشهاده عليه السلام إلى مزار يؤمّه المحبّون، وذلك في مدينة الرقة السورية في منطقة صفين، وقد حاز هذا المقام اهتماماً بالغاً من قبل الجمهورية الإسلامية حيث تمّ بناؤه وتشبيده على أحسن ما يكون، ليكون معلماً لظلمته ومظلومية مولاه أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٦.

(٣) وقعة صفين: ٣٤١، بحار الأنوار ٣١: ١٩٦.

وقيل لحذيفة حين احتضر وقد ذكر الفتنة: إذا اختلف الناس بمن تأمرنا؟ قال: عليكم بابن سمية (يعني عماراً) فإنه لن يفارق الحق حتى يموت، ولما كان يوم صفين خرج عمار إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «يا أخا رسول الله أتأذن لي في القتال». فقال عليه السلام: «مهلاً رحمك الله». فلما كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله فأعاده ثالثاً فبكى أمير المؤمنين عليه السلام، فنظر إليه عمار فقال: «يا أمير المؤمنين إنه اليوم الذي وصفه لي رسول الله صلى الله عليه وآله»، فنزل أمير المؤمنين عليه السلام عن بغلته وعانق عماراً وودعه وبكى ثم قال: «يا أبا اليقظان جزاك الله عنا وعن نبيك خيراً فنعم الأخ كنت ونعم صاحب كنت»، ثم ركب عمار وبرز إلى القتال وكان قد جاوز التسعين، وأنشأ يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

واشتد به العطش فاستقى فأتي إليه بلبن فشربه، ثم قال: «هكذا عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة من لبن»، وحمل عليه أبو العادية الفزاري فطعنه برمحه واحتز رأسه ابن جون السكسكي، وقال المسعودي: وكان قتلُه عند المساء، ولم يغسله علي عليه السلام، وصلى عليه ودفنه في صفين^(١).

فتنة رفع المصاحف

تفاجأ معاوية ومن معه من بسالة أصحاب الإمام في الدفاع عن الحق الذي يمثله الإمام عليه السلام، وفيهم أكابر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، ونتيجة لذلك انهار عسكر

(١) مروج الذهب ٢: ٣٨١.

معاوية، وأوشك جيش العراق أن يحتل مضارب معاوية ويقبض عليه حياً حتى إنه دعا بفرسه لينجو، فتذكر مستشاره عمرو ابن العاص، فلجأ إليه لينقذه من هذه الورطة فأشار عليه برفع المصاحف على أسنة الرماح فكان ما أراد وارتفعت الأصوات من ناحية عسكر معاوية: «يا أهل العراق، هذا كتاب الله بيننا وبينكم فهلّموا إلى العمل به»، فانطلقت الحيلة على ضعاف النفوس والخنونة المنبئين في جيش علي عليه السلام، وضموا أصواتهم إلى أصوات أصحاب معاوية لمنع علي عليه السلام وأصحابه المخلصين من الاستمرار في القتال والقضاء على رأس الفتنة، وخطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال لأصحابه: «عباد الله! امضوا على حقكم وصدقكم وقاتل عدوكم، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط و... ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، ويحكم! والله ما رفعوها إلّا خديعةً ووهناً ومكيدهً، إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل،.....» وكان في ساحة المعركة مالك الأشتر يقاتل ببسالة ويقين حتى كاد أن يصل إلى معاوية فقالوا للأمير المؤمنين: ابعث الى الأشتر ليأتيك.. ولكنّ الأشتر لم ينش عن عزمه في القتال، لأنه يعلم أنّ الأمر خدعة فهذّده بقتل الإمام عليه السلام، فعاد الأشتر يؤثبهم فقال لهم: خُذْ عِزَّكُمْ وَاللَّهِ فَانْخِذْهُمْ وَدُعَيْتُمْ إِلَى وَضْعِ الْحَرْبِ فَأَجَبْتُمْ، يَا أَصْحَابَ الْجَبَاهِ السُّودِ كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ صَلَاتَكُمْ زُهَادَةً إِلَى الدُّنْيَا وَشَوْقَ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ، فَلَا أَرَى فِرَارَكُمْ إِلَّا إِلَى الدُّنْيَا مِنَ الْمَوْتِ، وَإِذَا هَذَا الْوَضْعُ الْخَطِيرُ، لَمْ يَجِدْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَمَامَهُ إِلَّا خِيَارَيْنِ أَحْلَاهُمَا مَرًّا: إِمَّا الْمَضِي بِالْقِتَالِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ سَيُقَاتِلُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ جَيْشِهِ وَأَهْلَ الشَّامِ بِأَجْمَعِهِمْ، وَإِمَّا الْقَبُولَ بِالتَّحْكِيمِ وَهُوَ أَهْوَنُ الشَّرِّينِ وَقَدْ أَدْلَى عليه السلام بِمَا مَنِي بِهِ بِقَوْلِهِ: «لَقَدْ

كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت بالأمس ناهياً فأصبحت اليوم منهياً»^(١).

القبول بالتحكيم

ولم تكن مرحلة التحكيم بأيسر من مرحلة القتال على أمير المؤمنين عليه السلام. فبعد أن اجتمعت كلمة أهل الشام على اختيار عمرو بن العاص كمندوب لهم للتفاوض، اختلف أهل العراق مع علي عليه السلام على اختيار مندوب لهم. فقد كان رأيه عليه السلام وعدة من أصحابه اختيار أحد الثلاثة عبد الله بن عباس، أو مالك الأشتر، أو الأحنف بن قيس، وكانوا من أفضل المرشحين، ولكن الكثرة الغالبة من ضعاف النفوس التي انطلت عليهم خديعة رفع المصاحف، رفضوا هؤلاء الثلاثة وأصرّوا على ترشيح أبي موسى الأشعري، فخشي الإمام أن تدبّ الفتنة مرة أخرى في صفوف جيشه فاضطرّ لقبول مرشحهم، ولكن قال لهم الإمام عليه السلام: «إنكم قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن، إنّي لا أرى أن أولي أبا موسى فإنّه ليس بثقة، قد فارقتني وخذّل الناس عني بالكوفة في حرب الجمل».

وعند اجتماع الطرفين للاتفاق على بنود التحكيم ظهرت نوايا معاوية المبيتة، عندما رفض إدراج صفة أمير المؤمنين خلف اسم الإمام عليه السلام حيث جاء في الكتب المعتبرة أنهم حينما شرعوا في كتابة بنود الاتفاق كتب الكاتب: «هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان»، فقال عمرو بن

(١) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٨، وراجع وقعة صفين: ٤٨١، وتأريخ الطبري: ٤: ٣٤.

العاص: اكتب اسمه واسم أبيه، ولا تسمّه بإمرة المؤمنين، فإنما هذا أمير هؤلاء وليس بأميرنا، فقال له الأحنف بن قيس: لا تمح هذا الاسم، فإني أتخوّف إن محوته لا يرجع إليك أبداً.

فامتنع أمير المؤمنين عليه السلام من محوه فتراجع الخطاب فيه ملياً من النهار، فقال الأشعث بن قيس: امح هذا الاسم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الله أكبر سنة بسنة ومثل بمثل والله إني لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية وقد أُملي علي: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو، فقال له سهيل: امح رسول الله، فإننا لا نقر لك بذلك، ولا نشهد لك بذلك، اكتب اسمك واسم أبيك، فامتنعت من محوه»، فقال النبي ﷺ: «امحه يا علي، وستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض...».

وتمّ الكتاب بين الطرفين ووقعه من كل منهما عشرة من قاداتهم ووجهائهم، ويتلخص مضمونه بأن يقفوا عند أحكام الله ويرجعوا إلى حكم الكتاب فيما يختلفون فيه، وإلى سنة رسول الله ﷺ فيما لم يجدوا حكمه في الكتاب، والتزم علي ومعاوية ومن يتبعهما بما يحكم به الحكمان، وأن يجتمع الحكمان في مكان بين الشام والحجاز يدعى (دومة الجندل)، وأن لا يحضر معهما إلا من أرادوه، وأن يعمل الطرفان على توفير الجو المناسب لهما خلال اجتماعهما،

الحكمان في دومة الجندل

حان الأجل الذي ضرب لاجتماع الحكمين، فأرسل الإمام عليه السلام أربعمئة رجل عليهم شريح بن هاني، وبعث معهم عبد الله بن عباس ليصلّي بهم ويولي

أُمُورهم وأبو موسى الأشعري معهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة رجل من أهل الشام حتى توافوا في دومة الجندل، واجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص، والأوّل يحمل الغباء السياسي وضعف الانتماء العقائدي وقلة الولاء لإمامه عليّ عليه السلام، والثاني هو الماكر المخادع ذو السجية الغادرة والطامع إلى إقصاء خطّ أهل البيت عليهم السلام تماماً عن الميدان السياسي، يدفعه لذلك طمعه للملك وشركته مع الطليق ابن الطليق معاوية.

ولم يطل الاجتماع طويلاً حتى اتفق الاثنان في اجتماع مغلق على خلع الإمام عليّ عليه السلام، ومعاوية عن ولاية أمر المسلمين، واختيار عبد الله بن عمر بن الخطاب ليكون الخليفة المقترح.

وبادر ابن عباس محدّراً الأشعري، فقال له: ويحك، والله إنّي لأظنّه قد خدعك إن اتّفقتما على أمر، فقدّمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ثمّ تكلم أنت بعده، فإنّ عمراً رجل غادر لا آمن من أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك.

فقام الأشعري فخطب وخلع الإمام عليّاً عليه السلام، ثمّ انبرى عمرو فخطب وأكد خلع الإمام وثبّت معاوية لولاية الأمر^(١)، وبتلك الغدرة ظفر معاوية بالنصر، وعاد إليه أهل الشام يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، وأمّا أهل العراق فغرقوا في الفتنة وأيقنوا بضلال ما أقدموا عليه، وهرب أبو موسى إلى مكّة، ورجع ابن عباس وشريح إلى الإمام عليّ عليه السلام.

وتشير بعض الروايات إلى أن إقصاء أمير المؤمنين عن الخلافة كان أمراً مفروغاً منه لدى الطرفين، ولكن الخلاف كان على البديل، فقد اقترح

(١)، تاريخ الطبري ٤: ٥٢، ومروج الذهب ٢: ٤١١، والكامل في التاريخ ٣: ٣٢٢

أبو موسى الأشعري عبد الله بن عمر بن الخطاب، فردّ عليه ابن العاص بأن عثمان بن عفان قتل مظلوماً ومعاوية وليه، ومضى ابن العاص يغريه بالسلطة إن هو وافق معه على أن تكون الخلافة لمعاوية، وبعد حوار طويل بين الطرفين استطاع ابن العاص أن يخدعه فأظهر له موافقته على إقصائهما معاً وترك الأمر للمسلمين يختارون لأنفسهم من يريدون، وكان ما أراده ابن العاص فخلع أبو موسى علياً وأثبت ابن العاص معاوية، وانتهت مهزلة التحكيم على هذا النحو كما يرويها المؤرخون^(١)

الإمام علي عليه السلام في الكوفة

أقام الإمام في صفين بعد إعلان الهدنة وكتابة بنود الاتفاق يومين أو ثلاثة مشغولاً بتهذئة الخواطر والنفوس، ودفن القتلى من أصحابه، ثم خرج بعدها متوجهاً إلى الكوفة، فدخل الإمام عليه السلام فرأى لوعة وبكاءاً، قد سادت جميع أرجائها حزناً على من قتل في صفين، واعتزلت فرقة تناهز اثني عشر ألف مقاتل عن جيش الإمام، ولم يدخلوا الكوفة فلحقوا بحروراء، وجعلوا أميرهم على القتال شبت بن ربعي، وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، وخلعوا بيعة الإمام عليه السلام يدعون إلى جعل الأمر شورى بين المسلمين.. وكان أمر هؤلاء قد بدأ منذ كتابة صحيفة المودعة، إذ لم يعجبهم الأمر فاعترضوا وقالوا: لا حكم إلا لله، واتخذوه شعاراً لهم رغم أنهم هم الذين أصرّوا على الإمام عليه السلام لقبول التحكيم، وقد سعى أمير المؤمنين لمعالجة موقفهم بالحكمة والنصيحة، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس وأمره أن لا يعجل في الخوض

(١) راجع وقعة صفين: ٤٩٩، تأريخ الطبري ٤: ٣٦، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٣: ٣٢٠

معهم في جدال وخصومة، ولحقه الإمام عليّ عليه السلام، فكلمهم وحاججهم وفند كل دعاويهم، فاستجابوا له ودخلوا معه الى الكوفة ولكن استمروا بأفكارهم وعداوتهم لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، حيث اجتمعوا في النهروان للقيام ضده^(١).

قتال المارقين (خوارج نهروان)^(٢)

الخوارج هم الذين أنكروا التحكيم الذي وقع بعد معركة صفين، فاعترفوا بخطئهم في قبول التحكيم وأعلنوا توبتهم وجاءوا إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يطلبون منه أن يتراجع ويتوب كما تابوا، فلم يستجب لطلبهم لأنه لم يخطئ إنما خالفوا أمره الذي تابوا إليه الآن، فانفصلوا عنه قبل أن يدخل الكوفة في مكان يدعى حروراء، ومن أجل ذلك سمّاهم المؤرخون بالحرورية، وسمّوا بالخوارج لأنهم خرجوا على إمامهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وقد أخبر النبي ﷺ عنهم ووصفهم بالمارقين عن الدين بقوله: «يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن ولا يجاوز حلوقهم يرقون من الدين مروق السهم من الرمية»^(٣).

وقد رفعوا الخوارج شعار «لا حكم إلا لله»، وقد حاورهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، بالتي هي أحسن وفند معتقداتهم وآراءهم، إلا أنهم لم يصغوا

(١) راجع تأريخ الطبري ٤: ٥٤، والكامل في التأريخ ٣: ٤٢٦.

(٢) النهروان موقع بين بغداد وحلوان في العراق قبل بعقوبة إلى خائنين، وفيها جرت الوقعة المعروفة بين الإمام علي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، والخوارج في (٩/ صفر/ السنة ٣٨ هـ).

(٣) انظر البداية والنهاية ٧: ٣٢١، صحيح البخاري ٩: ٢١ باب ترك قتال الخوارج، وصحيح مسلم ٢: ٧٤٤ الحديث ١٠٦٤.

إلى توجيهات أمير المؤمنين عليه السلام واستمرّوا في غيهم، وتعاضم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، وراحوا يعلنون القول بشرك المنتمين إلى معسكر الإمام علي عليه السلام، ورأوا استباحة دمائهم!^(١)

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام عازماً على عدم التعرّض لهم ابتداءً، ليمنحهم فرصة التفكير بما أقدموا عليه عسى أن يعودوا إلى الرأي السديد، فخطبهم الإمام عليه السلام بعد أن كانت مخالفتهم سياسية، ولم تتعدى القيام بعمليات عسكرية بقوله: «أما أنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتُمونا: لا نمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفياء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا»^(٢).

ولكن هذه الفئة الخارجة عن الطاعة المارقة عن الدين تمادت في غيها فقامت بقتل الأبرياء وتهديد أمن الناس، وقد قتلوا الصحابي عبد الله بن خباب وبقروا بطن زوجه الحامل، كما قتلوا نسوة من طي، وعندما أرسل إليهم الإمام عليه السلام الحارث بن مرّة العبدي ليتعرّف على حقيقة موقفهم، قتلوا رسول أمير المؤمنين عليه السلام^(٣) وقد جمّعوا قواتهم في النهروان لحرب أمير المؤمنين، وعندها قرّر الإمام علي عليه السلام مواجهتهم فرجع من الأنبار (حيث كان اتخذها مركزاً لتجميع قواته المتجهة نحو الشام) وتوجه إليهم والتقى الجيشان في النهروان فأمر الإمام عليه السلام أصحابه بالكف عنهم حتى هم يبدؤوا القتال، فهجم الخوارج على جيش الإمام وتنادوا من كلّ جانب: «لاحكم إلّا الله... الرواح،

(١) راجع سيرة الأئمة الاثني عشر ١: ٤٤١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٦: ٤١ حوادث سنة ٣٧.

(٣) راجع تاريخ الطبري ٤: ٥٧، البداية والنهاية ٧: ٢٨٦.

الروح إلى الجنة»، وشهروا، فاستقبلهم الرماة بالنبال والسهام، وشدّ عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه فما هي إلا سويقات حتى قُتل أكثرهم ولم ينج منهم إلا أقل من عشرة ولم يقتل من أصحاب أمير المؤمنين إلا أقل من عشرة أشخاص، وهذا من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الواقعة حيث أخبر أصحابه قبل المعركة بأنه لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة، وكان الأمر كما أخبرهم، فلم يقتل من أصحابه إلا تسعة ولم ينج منهم إلا تسعة أو ثمانية، كما روى ذلك أكثر المؤرخين^(١).

وهنا يروي المؤرخون حديث المَخْدَج المعروف بـ(ذي الثديّة)، أحد قتلى الخوارج في هذه المعركة، حيث كان النبي ﷺ قد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بقتل الخوارج وقتل المَخْدَج معهم، لذلك فإنه بعد انتهاء المعركة فتش عنه وألح في طلبه حتى وجدوه بين القتلى، وهو يقول عليه السلام: «الله أكبر ما كُذِبْتُ ولا كُذِبْتُ»^(٢).

شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

كان عدو الله عبد الرحمن بن ملجم مَنَّ تَبَقَّى من الخوارج وهو على رأيهم، وكانت بينه وبين قطام حب وغرام، وقطام قد قتل أبوها وأخوها وزوجها، في النهروان، وقد امتلأ قلبها غيظاً وعداء لأمير المؤمنين، وأراد ابن ملجم أن يتزوجها فطلبت منه ثلاثة آلاف ديناراً وعبدًا وقينة «جارية» وقتل علي بن أبي طالب عليه السلام

(١) نهج البلاغة الخطبة ٥٩، ومروج الذهب ٢: ٣٨٥، والبداية والنهاية ٧: ٣١٩.

(٢) رواه المفيد في الإرشاد ١: ٣٧١، وراجع شرح نهج البلاغة ٢: ٢٧٦، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٤١: ٢٨٣.

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمم

وقد جاء عبد الرحمن بن ملجم في الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان، وبات في مسجد الكوفة ينتظر طلوع الفجر، ومجيء الإمام للصلاة، وهو يفكر بالجريمة العظمى التي قصد ارتكابها، فجاء الإمام إلى المسجد واتجه إلى المحراب وقام يصلي، وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في صلاته، فقام المجرم الشقي وأقبل يمشي حتى وقف بإزاء الاسطوانة التي كان الإمام يصلي عندها فأملهه حتى صلى الركعة الأولى، وسجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها فتقدم اللعين، وأخذ السيف وهزه، ثم ضربه على رأس الإمام عليه السلام، فوقع الإمام عليه السلام على وجهه قائلاً: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ثم صاح: فزت ورب الكعبة، قتلني ابن ملجم، قتلني ابن اليهودية، أيها الناس لا يفوتكم ابن ملجم»^(١).

ولما حضرته الوفاة قال للحسن والحسين: إذا أنا متّ (فضعاني) على سريري واحملا مؤخر السرير فإنكما تكفيان مقدّمه (حتى تبلغا) بي الغريين^(٢) فتريان صخرة بيضاء تلمع نوراً! فاحتفرا فيها، فإنكما تجدان فيها (خشبة) ساجة، فادفنا فيهما^(٣).

(١) الامامة والسياسة: ١٨٠، ١٣٥، وتأريخ دمشق ٣: ٣٦٧ ترجمة الإمام علي عليه السلام.

(٢) الغريان تثنية الغري وهو فعيل بمعنى المفعول من الغري أي: الطلاء والصبغ، وهما قبران قائمان لنديمي المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة المقتولين بأمره سكراناً، قبل الإسلام، في النجف بظهر الكوفة، معجم البلدان ٤: ١٩٨. والنسبة إليها: الغروي، واصطلح بها على أهل العلم منها، واصبح واشتهر الغري اسماً آخر للنجف الأشرف.

(٣) الإرشاد ١: ٢٣.

ثم عرق جبين الإمام عليه السلام وسكن أنينه، فقالت له الحوراء زينب: يا أبة أراك عرق جبينك، وسكن أنينك، قال عليه السلام: يا بنية سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول: إن المؤمن إذا نزل به الموت، ودنت وفاته عرق جبينه، وسكن أنينه، فقامت زينب وألقت بنفسها على صدر أبيها، وقالت: يا أبة حدثني أم أيمن بحديث كربلاء وقد أحببت أن أسمعك منك، فقال عليه السلام: «يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكأني بك ونساء أهلك سبايا بهذا البلد...»^(١).

ثم نظر إلى أولاده فراهم تكاد تزهق أرواحهم من شدة البكاء والنحيب فقال لهم: «أحسن الله لكم العزاء، ألا وإني منصرف عنكم، وراحل في ليلتي هذه، ولاحق بحبيبي محمد ﷺ كما وعدني فإذا أنا مت يا أبا محمد، فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله ﷺ، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل إليه، ثم ضعني على سرير، ولا يتقدم أحد منكم على مقدم السرير، واحملوا مؤخره، واتبعوا مقدمه، وصلي عليّ يا بني حسن وكبير عليّ سبعا واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين، يقيم اعوجاج الحق، فإذا أنت صليت عليّ فنح السرير عن موضعه، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً، ولحداً منقوباً، وساحة منقوبة، فضعني فيها ثم اشرح اللحد باللبن، وأهل التراب عليّ، ثم غيّب قبري»^(٢).

ثم أخذ الإمام يودع أولاده الواحد بعد الآخر، ثم أغمي عليه ساعة وأفاق، وقال هذا رسول الله ﷺ وعمي حمزة وأخي جعفر، وأصحاب

(١) كامل الزيارات ٢٦٥، ب ٣٨، بحار الأنوار ٢٨: ٦٠، ب ٢، وج ٤٥: ١٨٣ ب ٣٩.

(٢) مقاتل الطالبين: ٢٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧: ٥، ٤٧.

رسول الله كلهم يقولون عجل قدومك علينا فإننا إليك مشتاقون، ولما دنت وفاته قال يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأنكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من هاهنا، وهاهنا فاصبرا حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين، ثم قال يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه، ثم أدار عينيه في أولاده وأهل بيته وقال استودعكم الله جميعاً، وحفظكم الله جميعاً، الله خليفتي عليكم وكفى بالله خليفة^(١).

ولم يزل أمير المؤمنين عليه السلام بتلك الحال يسبح الله ويذكر الله تعالى كثيراً، ثم استقبل القبلة وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رفقا بي ملائكة ربي»، ثم عرق جبينه وسكن أنينه، وغمض عينيه، ومد رجليه ويديه، وقضى نحبه شهيداً^(٢).

ألا يا عين جودي فاسعدينا ألا فأبكي أمير المؤمنين
إمام صادق برّ تقي فقيه قد حوى علماً ودينا
وكنّا قبل مقتله بخير نرى مولى رسول الله فينا

(١) للإطلاع على خبر شهادة أمير المؤمنين ٨ بالكامل راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة: ٦: ١١٥ وج ٢٠: ٢٨٤، والمناقب لابن شهر آشوب: ٣: ٣١٠، وج ٤: ٩٣، روضة الواعظين: ١٣٢، بحار الأنوار: ٤٢: ٢٧٥، ب ١٢٧.
(٢) قال اليعقوبي: أقام الإمام عليه السلام بعد ضربته يومين، وتوفى في أول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان سنة أربعين، ومن شهور العجم في كانون الثاني (اليوناني) وهو ابن ثلاث وستين سنة. وغسله الحسن عليه السلام، بيده، وصلى عليه وكبر سبعاً وقال: أما إنه لا يكبر (سبعاً) على أحد بعده، ودفن (بظهر) الكوفة في موضع يقال له الغري، (تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٢)، وقال ابن قتيبة: وغسله الحسن... وعمى قبره مخافة أن تنبشه الخوارج، (الإمامة والسياسة ٢: ١٦١)، وروى الاصفهاني بسنده عن أبي مخنف: أنه عليه السلام دفن عند صلاة الصبح (مقاتل الطالبين: ٢٥)، ولتحقيق تاريخ الوفا انظر قاموس الرجال: ١٢: الرسالة: ٢٨.

الليلة السابعة والعشرون

صلح الحسن عليه السلام وثورة الحسين عليه السلام

قال تعالى:

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(١)

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(٢)

بمناسبة ذكرى شهادة الإمام الحسن عليه السلام، يوم الثامن والعشرين من شهر صفر سنة (٥٠) وهو ابن ثمان وأربعين سنة على القول المشهور^(٣) نلقي نظرة على حياة كريم أهل البيت عليهم السلام خاصة مايتعلق بقضية صلحه مع معاوية مقارنة مع ثورة أخيه الحسين عليه السلام، حيث كان صلحه مورد سؤال في الماضي والحاضر، ثم نعرّج على مصيبة إستشهاده عليه السلام:

(١) سورة الأنفال: الآية ٦١.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢٢٠، علل الشرايع ١: ٢١١

(٣) لقد اختلف المؤرخون في تاريخ شهادة الإمام الحسن، فعلى رواية الطبرسي في إعلام الوري في يوم الثامن والعشرين من شهر صفر سنة ٥٠ للهجرة، وتبعه الحلبي الساروي ابن شهر آشوب المازندراني (مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٤) ويعمل به في الجمهورية الإسلامية في إيران، واختار الكفعمي السابع من شهر صفر وعليه يعمل في العراق وشعوب دول الخليج (راجع وبحار الأنوار ٤٤: ١٤٠)، وقيل: سنة ٤٩ هـ وذهب إلى ذلك ابن الأثير، وقيل: في الخامس من ربيع الأول (راجع كشف الغمة ١: ٥٨٤).

قبس من أنوار الإمام الحسن عليه السلام

ولد الإمام الحسن عليه السلام بالمدينة المنورة في ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة على المشهور،^(١) ولما أذيع نبأ ولادته المباركة، ووصل الخبر إلى الرسول ﷺ فرح فرحاً شديداً، وسارع إلى بيت ابنته الزهراء عليها السلام ليهنئها بوليدها الجديد ويبارك لأخيه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قام بإجراء مراسم الولادة عليه وسمّاه حسناً وحقاً إنه حسن، وكنّاه أبا محمد، وكانت ملامحه عليه وصفاته تحاكي ملامح جده رسول الله ﷺ وصفاته، فعن الغزالي في إحياء العلوم أن رسول الله ﷺ قال للحسن: «أشبهت خلقي وخلقي»^(٢) فكان عليه السلام كجده في الأخلاق والصفات الحسنة من العبادة وحسن معاشرته الناس والسخاء والكرم والعفو، والتجاوز عن الآخرين وغيرها من الفضائل الأخلاقية والصفات الحميدة.

وكيف لا يكون كذلك، وهو من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، قد نشأ في بيت الوحي، وتربّى في مدرسة التوحيد، فالرسول ﷺ تولّى تربيته وأفاض عليه بمكرمات نفسه، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام غذاه بحكمه، والزهراء القدسية غرست في نفسه الفضيلة والكمال، وبذلك سمت طفولته فكانت مثلاً لخلق النبي ﷺ، والتكامل الإنساني، فهو من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير، وأمر المسلمين بمودتهم واطاعتهم، ونزلت الآيات العديدة في فضلهم وتحدث الرسول ﷺ الكثير في فضلهم، وحبهم، منه قوله ﷺ: «أحبّ أهل بيتي الحسن والحسين عليهما السلام»^(٣)، بل بلغ من حبه ﷺ لهما عليهما السلام: أنه يقطع خطبته في المسجد وينزل عن المنبر ليحتضنهما.

(١) أصول الكافي ١: ٤٦١، الإرشاد ٢: ٥، التنبيه والإشراف: ٢١٠، وكشف الغمّة ٢: ١٤٠.

(٢) المناقب ٤: ٢٠، عن إحياء العلوم، بحار الأنوار ٤٣: ٢١٤، ب، ١٢.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٠٥ والغدير ٧: ١٢٤.

وهكذا قطع الإمام الحسن عليه السلام شوطاً من طفولته مع جده عليه السلام، يرى منه الحنان والعطف، ويشعر بالسعادة والعزة، لكن لم تدم له هذه الحالة الهائلة، فقد آن للرسول عليه السلام أن ينتقل إلى حظيرة القدس، ونزل عليه القرآن بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١)، فمات جده الرسول عليه السلام وله من العمر سبع سنين وستة أشهر.

وحينما مضى النبي عليه السلام إلى جنة المأوى، وسمت روحه إلى الرفيق الأعلى، انثالت الفتن على المسلمين تترأ كقطع الليل المظلم، وحدث بعده ما حدث، من اقضاء أمير المؤمنين عليه السلام عن حقه ومنصبه الإلهي، والمعاناة التي عصفت به خلال فترة ما قبل خلافته وكل ذلك يجري، والإمام الحسن عليه السلام يشارك أباه أمير المؤمنين الصبر، إلى أن تولى الأمر أبوه علي ابن أبي طالب عليه السلام فلازمه طيلة حياته، وشهد معه حروبه الثلاث، الجمل، وصفين، والنهر وان، وقام بالأمر بعد شهادة أبيه سنة أربعين للهجرة وله سبعة وثلاثون سنة، فحكم ستة أشهر وخمسة أيام، ثم اضطره معاوية لمصالحته سنة إحدى وأربعين، وخرج إلى المدينة وأقام بها عشر سنين، واستشهد عليه السلام في الثامن والعشرين من صفر سنة (٥٠هـ)، إثر السم الذي دسّه زوجته جعدة بنت الأشعث، بمؤامرة من معاوية، وكان عمره الشريف عند شهادته سبعة وأربعين سنة وأشهرًا^(٢).

من وصايا الإمام ومواعظه لجنادة

قال جنادة بن أبي أمية^(٣): دخلت على الحسن بن علي في مرضه الذي

(١) سورة الزمر: ٣٠.

(٢) راجع الإرشاد للمفيد: ٢٢٠

(٣) جنادة بن أبي أمية، عدّه كتب تراجم الصحابة منهم ولم يرو عنه في كتبنا إلا حديث نبوي واحد في

توفّي فيه وبين يديه طست يقذف فيه الدم قطعة قطعة من السمّ الذي سقاه معاوية، فقلت له: يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟! ثم التفت إليّ فقال: والله لقد عهد إلينا رسول الله ﷺ: أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد عليّ وفاطمة، ما منّا إلاّ مسموم أو مقتول! ثم رفع الطست، وبكى، فقلت له: عظمي يابن رسول الله.

قال: نعم، (يا جنادة) استعدّ لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنّك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه. واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك!

واعلم أن في حلالها حساباً، وفي حرامها عقاباً وفي الشبهات عتاباً. فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة! خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر إذا أخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فإن العتاب يسير.

واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجل.

وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت شدّ صولتك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت منك ثلّة

«أما لي الطوسي»، مما لا صراحة فيه بصحابتيه، ولم يذكر في أي خبر مع عليّ والحسن عليهما السلام، ويذكر في قواد معاوية لغزو الروم في البحر في عام (٥٦ هـ و ٥٩ هـ) ومات في سنة ٨٠ هـ (انظر موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٥، عهد الإمام الحسن).

سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك وإن سكّت عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدى الملمات ساءه...^(١).

بعد هذه الجولة القصيرة في حياة الإمام الحسن عليه السلام، وذكر مقتطفات من وصاياه ومواعظه نركّز الحديث حول مسألة صلحه مع معاوية الذي وقع في النصف من جمادى الأولى، سنة ٤١ للهجرة على أصح الروايات، ثم نختم الحديث بقصة إستشهاده ورحيله إلى الرفيق الأعلى.

صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية

لا شك أنّ الحرب والجهاد والصلح والهدنة ليست من الثوابت في الإسلام، بل تتبع الشرائط والأزمان، والهدف من الحرب والصلح، هو لحفظ الإسلام وعزة المسلمين، والقتال مع أهل البغي الذي أشارت الآية إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَعِّلُوا الْتَىٰ بَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢)، هو أيضاً للدفاع عن الإسلام وحقوق المسلمين، ولا شك أنّ جيش معاوية كان من أهل البغي فيجب محاربته، إلا أنه إذا كان بالصلح والسلم تتحقق المصلحة الإسلامية، فلا شك أن الصلح يقدم على الحرب، والقرآن الكريم أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٣).

(١) بحار الأنوار ٤٤: ١٣٨ عن كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر للخزّاز القمي الرازي، وراجع أعيان الشيعة ٤: ٨٥.

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) الأنفال: ٦١.

وهناك نماذج في صدر الإسلام من صلح الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام تؤكد ذلك، فقد كان الرسول ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة ولم يحارب إلى أن هاجر إلى المدينة، ونزلت الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١). وفي السنة السادسة من الهجرة كان صلح الحديبية بين الرسول ﷺ والمشركين، كما كان الإمام علي عليه السلام جليس بيته لمدة خمس وعشرين سنة لم يحارب فيها، لحفظ كيان الإسلام ووحدية المسلمين، وأما في الوقت الذي يرى المصلحة في الحرب فهو عليه السلام يخوض الحروب والمعارك الثلاثة، ضد الناكثين والمارقين والخوارج، وهكذا فقد صالح ابنه الإمام الحسن معاوية بن أبي سفيان لما رأى في ذلك المصلحة للإسلام والمسلمين عامة ولشييعته خاصة.

ولقد كان صلح الحسن مورد سؤال في الماضي والحاضر، وقياساً مع ثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام، يتصور البعض أنَّ الإمام الحسن عليه السلام كان سلمياً والإمام الحسين عليه السلام كان حربياً، ولكن في الحقيقة إنَّ شرائط الزمان الذي كان يعيش فيه الإمام الحسن عليه السلام غير شرائط زمان الإمام الحسين عليه السلام، فلو كان الإمام الحسين عليه السلام مكان الإمام الحسن لصالح معاوية، بل كان الحسين عليه السلام مع الحسن عليه السلام عندما أبرم الصلح ولم يعترض على أخيه، ولم يرض من أصحابه الاعتراض عليه، بل كان يصوب فعل أخيه ويقنع قاصري العقول به وبمصلحته كما أنه لو كان الإمام الحسن عليه السلام مكان الحسين عليه السلام لحارب يزيد بن معاوية، وقد أشار جدهما المصطفى إلى هذه الحقيقة بقوله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(٢).

(١) الحج: ٣٩.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢٢٠.

ففي زمن الإمام الحسن عليه السلام المصلحة الإسلامية كانت تقتضي الصلح مع معاوية، وفي زمن الإمام الحسين عليه السلام كانت المصلحة تقتضي الحرب والجهاد ضد يزيد بن معاوية، وهذا التفاوت في الزمان والشرائط كانت من وجوه ثلاث:

١ - كان الإمام الحسن عليه السلام في مسند الخلافة ومعاوية حاكماً، ولم يطلب معاوية من الإمام الحسن البيعة بعد الصلح. أمّا في زمن الإمام الحسين عليه السلام كان يزيد خليفة، وطلب من الإمام الحسين عليه السلام أن يبايعه، ومثل الإمام الحسين عليه السلام كيف يبايع يزيد، وإن أدى ذلك إلى الحرب والشهادة.

٢ - إن عدد جيش الإمام الحسن عليه السلام، كان يقارب عدد جيش معاوية إلا أن الكوفة في زمانه عليه السلام كانت متفرقة وممزقة، وقد قام الإمام عليه السلام للحرب، ولكن خذله معظم القادة والجنود من الجيش، واستسلموا لجيش معاوية، واضطر الإمام عليه السلام للصلح، أمّا بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام فإن أهل الكوفة هم الذين دعوه لينصروه فوجب عليه أن يجيبهم لكي لا يلوموه ويلومه التاريخ بعد ذلك.

٣ - كان يزيد بعكس معاوية يتجاهر بالفسق والفجور، فعلى مثل الإمام الحسين أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن لم يكن له ناصرٌ ومعين، ولم يكن معاوية كذلك، بل كان متظاهراً بالتدين، وقد خفي أمره على الناس، فالنهوض في وجهه لا يعد عند الكثيرين جهاداً أو أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر.

هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها، هي من أهم أسباب صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، والإمام الحسن عليه السلام مع هذه الظروف، ولأجل

المصلحة الإسلامية العامة، وحفظ دماء المسلمين وبالأخص شيعته، صالح معاوية ضمن شروط لو عمل بها معاوية لأطاحت بحكمه، ولكن كما قال هو بنفسه بعد معاهدة الصلح «إني كنت شرطت لقوم شروطاً، ووعدتهم عدات فان كل ما هنالك تحت قدمي هاتين». فنقض معاوية العهد والشروط التي كانت بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام، التي كان من أهم بنودها:

١- تنازل الإمام عليه السلام عن الأمر إلى معاوية بشرط العمل بكتاب الله وسنة رسول الله، ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين.

٢- يرجع الحكم بعد معاوية إلى الحسن، وإذا لم يكن فيرجع إلى أخيه الحسين عليه السلام، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

٣- لا يحق لمعاوية أن يلعن علياً عقيب الصلاة وعلى المنابر وفي المحافل، وعليه أن يذكره بخير.

٤- بيت المال الذي في الكوفة يستثنى من التسليم لمعاوية، ويجب على معاوية إعطاء مليونين درهم في السنة إلى الحسن عليه السلام، مليون لبني هاشم ومليون لعوائل شهداء الجمل وصفين.

٥- وكان فيما اشترطه الإمام الحسن عليه السلام أن لا يسمى معاوية بأمر المؤمنين، وأن لا يتعقب على شيعته شيئاً، ويؤمنهم ولا يتعرض لأحدهم بسوء، ويوصل لكل ذي حق حقه.

وكانت المعاهدة في النصف من جمادى الأولى، سنة ٤١ للهجرة على أصح الروايات، وما كان هدف معاوية في صلحه مع الحسن عليه السلام، إلا الاستيلاء على الملك كما صرح بذلك بعد الصلح بقوله: «رضينا بها ملكاً»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابن الحديد ٤: ١٣.

ولم يرض الحسن عليه السلام بتسليم الملك لمعاوية إلاّ ليصون ويحفظ الإسلام والمسلمين، وبالأخص يحفظ شيعته من الإبادة، وليتأكد السبيل إلى استرجاع الحق المغصوب يوم موت معاوية.

ويكفيينا من تصريحات الحسن عليه السلام، ما قاله أكثر من مرة لأجل إفهام شيعته سبب صلحه مع معاوية: «ما تدرون ما فعلت والله، للذي فعلت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس»، وما قاله عليه السلام، مرة أخرى لبشير الهمداني - وهو أحد رؤساء شيعته في الكوفة: «ما أردت بمصالحتي إلاّ أن أدفع عنكم القتل»^(١).

المؤامرة لقتل الحسن عليه السلام

لما تم الأمر لمعاوية عشر سنين، عزم أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده، فنظر في نفسه فرأى أثقل الناس عليه مؤونة هو الحسن بن علي بن أبي طالب، وسعد ابن أبي وقاص الزهري، أما الحسن عليه السلام، فلن تعدل الناس عنه إلى يزيد، لأنه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما سعد فإنه من الصحابة الستة أصحاب الشورى، فسعى إلى التخلص منهما بكل وسيلة حتى يخلو له الأمر عن منازعه ينازعه في ذلك. فأرسل إلى سعد رجلاً فدىّ إليه سمّاً فمات، ثم عزم على التخلص من الحسن عليه السلام، ودعا معاوية مروان بن الحكم إلى إقناع جعدة بأن تسقي الحسن السمّ بشربة من العسل^(٢) فكلمها في ذلك وأعطاها المواعيد فقبلت وفي هذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الأشعث شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام،

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٢.

(٢) وقد اشتهرت كلمة معاوية: «إنّ لله جنوداً من عسل».

وابنته جعدة سمّت الحسن، وابنه محمد شرك في دم الحسين عليه السلام^(١).

بقيت جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي تتحين الفرص لقتل الحسن عليه السلام حتى كان ذلك اليوم الذي قدم فيه الإمام عليه السلام إلى منزله وكان صائماً في يوم صائف شديد الحر، فقدّمت إليه طعاماً فيه لبن ممزوج بعسل قد ألفت فيه سُمّاً، فلما شربه الحسن أحسّ بالسم، فالتفت إلى جعدة وقال لها: «قتلتيني يا عدوة الله، قتلك الله، وأيم الله لا تصيبين مني خلفاً، ولقد غرّك وسخر بك فالله مخزيه ومخزيك».

واشتدّ الوجع بالإمام عليه السلام أثر السم، فيلتفت إليه بعض عوّاده قائلاً له: يا بن رسول الله، لمَ هذا الجزع؟ أليس الجدّ رسول الله ﷺ والأب علي والأُم فاطمة، وأنت سيّد شباب أهل الجنة؟! فأجابه بصوت خافت: «أبكي لخصلتين: هول المطلق، وفراق الأحبة»^(٢).

شهادة الحسن عليه السلام ومراثيه عليه السلام^(٣)

إنّ الإمام الحسن عليه السلام قام في مرضه أربعين يوماً، فلما تحقق من دنوّ أجله استدعى أخاه حسين ونصبه علماً للناس، ودفع إليه كتب رسول الله ﷺ وسلاحه، وكتب أمير المؤمنين عليه السلام وسلاحه، وأوصاه بوصاياه، ومما جاء في وصيته: «...، وأن تدفني مع رسول الله ﷺ فإنّي أحقّ به

(١) راجع أصول الكافي ١: ٤٦٢، الإرشاد ٢: ١٥.

(٢) أمالي الصدوق: ١٣٣.

(٣) راجع قصة إستشهاده بكاملها في تاريخ يعقوبي ٢: ٢٢٥، مقاتل الطالبين: ٤٨ وعنه نقل المفيد في الإرشاد ٢: ١٥، وراجع روضة الكافي: ١٤٧، الحديث ١٨٧.

وببَيْتِهِ، فإن أبوا عليك فأنشدك الله وبالقربة التي قرب الله منك والرحم
الماسة من رسول الله ﷺ أن لا يهراق من أمري محجمة من دم حتى نلقى
رسول الله فتخصمهم...»^(١).

وثقل حال الإمام عليّ عليه السلام واشتد به الوجع فأخذ يعاني آلام الإحتضار،
فالتفت إلى أهله قائلاً: «أخرجوني إلى صحن الدار أنظر في ملكوت السماء»،
فحملوه إلى صحن الدار، فلما استقرّ به رفع رأسه إلى السماء وأخذ يناجي
ربه ويتضرع إليه، وأخذ يتلو آي الذكر الحكيم ويبتهل إلى الله ويناجيه حتى
فاضت نفسه الزكية إلى جنة المأوى، وسمت إلى الرفيق الأعلى، وأخذ
سيد الشهداء في تجهيز أخيه، وقد أعانه على ذلك أخواه محمد بن الحنفية
وأبو الفضل العباس، وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن جعفر وعلي بن
عبد الله بن عباس، فغسله وكفّنه وحنّطه، وبعد الفراغ من تجهيزه؛ أمر عليّ عليه السلام
بحمل الجثمان المقدّس إلى مسجد الرسول لأجل الصلاة عليه، فلما توجه
به الحسين عليه السلام إلى قبر جدّه رسول الله ﷺ ليجدّد به عهداً لحقهم مروان
وجعل يقول: أيّدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي؟! لا
يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف، وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبني
أمية فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت فإنّا
ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله ﷺ لكنّا نريد أن نجدّد به عهداً بزيارته ثم
نردّه إلى جدّته فاطمة بنت أسد فندفنه عندها بوصيته بذلك، وقال الإمام
الحسين عليه السلام للقوم: «والله لو لا عهد الحسن بحقن الدماء وأن لا أهريق في
أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها...» ومضوا

(١) راجع الطبقات الكبرى ٨: ترجمة الإمام الحسن، الحديث ١٥٢، وأعيان الشيعة ٤: ٧٩.

بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد^(١).

ولما دفن الحسن عليه السلام وقف أخوه محمد بن الحنفية على قبره وقال: لئن عزّت حياتك لقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمّنه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضمّن بدنك، وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى، وخامس أصحاب الكساء، غذتك بالتقوى أكفّ الحقّ، وأرضعتك ثديّ الإيمان، وربّيت في حجر الإسلام، فطبت حيّاً وميتاً، وإن كانت أنفسنا غير سخية بفراقك؛ رحمك الله يا أبا محمد... وأنت ابن محمّد المصطفى وابن علي المرتضى وابن فاطمة الزهراء، ثمّ أنشأ يقول:

أأدّهن رأسي أم أطيب محاسني	وخدّك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه	وقد ضمن الأحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة	وما اخضرّ في دوح الحجاز قضيب
غريب وأطراف الديار تحوطه	ألا كلّ من تحت التراب غريب

ولسان حاله أخيه الحسين عليه السلام وهو جالس على قبره الشريف:

بكائي طويل والدّموع غزيرة	وقبرك قلبي والمزار قريب
غريب وأطراف البيوت تحوطه	ألا كلّ من تحت التراب غريب
وليس حريباً من أصيب بماله	ولكنّ من وارى أخاه حريب

(١) راجع الإرشاد للمفيد: ٢٧٩، تاريخ ابن عساكر ٨: ٢٢٨، ومنتهى الآمال ١: ٣٢٥، الباب الرابع، الفصل الرابع.

الليلة الثامنة والعشرون

قبس من السيرة النبوية

قال تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(١)

قال الإمام الحسين بن علي عليه السلام، سألتُ أبي عن رسول الله، فقال عليه السلام: كان رسول الله لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكرٍ، وإذا انتهى إلى قوم، جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، كان رسول الله دائماً البشر، سهلاً الخلق^(٢).

يكفي لأي إنسان منصف أن يلقي نظرة سريعة على حياة ومواقف النبي صلى الله عليه وآله ليخرج بنتيجة واضحة من أن هذا الإنسان الكامل العظيم ذو شخصية فذة وفريدة لا يقاس به أحد باتفاق علماء المسلمين، فهو خير بني آدم الذي اختاره الله لهداية الناس أجمعين وأرسله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين وأنزل عليه الكتاب المبين، القرآن الحكيم.

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٢٨٤.

إن اللسان عاجز عن البيان والكلام في الحديث عن خير الأنام وإن الأقلام قاصرة عن التعبير والتعريف بالنبي الأعظم ﷺ فمهما كتبوا لم يكن إلا قطرة في محيط ذلك النور الساطع .

وللتعرف على حياة هذه الأسوة الحسنة نعرض لمحات عن سيرته النيرة من أدوار ومواقف، و مناسبات عدّة طوال حياته الشريفة وقبس من أخلاقه الحميدة وكلماته المنيرة مستغلين تلك المواقف المشرفة لنذكر الأمة بهذه القدوة، ونقدمه لأبناء الأمة الإسلامية ليتأسوا به في مختلف أبعاد حياتهم، ويتخذوه نبراساً منيراً وأسوة حسنة عملاً بقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١).

لمحة من السيرة النبوية

لقد ولد خاتم النبيين وسيّد المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ في السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل بعد أن فقد أباه، ثم استرضع في بني سعد، ورُدّ إلى أمّه آمنة وهو في الرابعة أو الخامسة من عمره .
وقد توفيت أمّه حين بلغ السادسة من عمره الشريف ﷺ فكفله جدّه واختص به وبقي معه سنتين ثم ودّع الحياة بعد أن أوكل أمر رعايته إلى عمّه الحنون أبي طالب عليه السلام، حيث بقي مع عمّه إلى حين زواجه؛
وسافر مع عمّه إلى الشام وهو في الثانية عشرة من عمره والتقى ببخيرا الراهب في الطريق فعرفه بخيرى وحذّر أبا طالب من التفريط به وكشف له عن

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

تربص اليهود به الدوائر.

وحضر النبي ﷺ حلف الفضول بعد العشرين من عمره وكان يفتخر بذلك فيما بعد، وسافر إلى الشام مضارباً بأموال خديجة عليها السلام وتزوجها وهو في الخامسة والعشرين وفي ريعان شبابه، بعد أن كان قد عُرف بالصادق الأمين، وقد ارتضته القبائل المتنازعة لنصب الحجر الأسود لحل نزاعها فأبدى حنكةً وإبداعاً رائعاً أرضى به جميع المتنازعين؛

وبُعث وهو في الأربعين وأخذ يدعو إلى الله وهو على بصيرة من أمره ويجمع الأتباع والأنصار من المؤمنين السابقين؛

وبعد مضي ثلاث أو خمس سنوات من بداية الدعوة إلى الله، أمره الله بإنذار عشيرته الأقربين ثم أمره بأن يصدع بالرسالة ويدعو إلى الإسلام علانية ليدخل من أحب الإسلام في سلك المسلمين والمؤمنين؛

وفي الثالث أو الرابع للبعثة رجّح بعض المؤرخين تحقق حادثة الإسراء والمعراج والنبي في أوج هذا الحزن والضغط النفسي على النبي ﷺ وهو يرى صدود قريش ووقوفها بكل ثقلها أمام رسالته ففتح الله له آفاق المستقبل بما أراه من آياته الكبرى فكانت بركات المعراج عظيمة للنبي ﷺ وللمؤمنين جميعاً.

وبعد إعلان الدعوة حاولت قريش أن تمنع من انتشار الرسالة في مكة، وعمل النبي ﷺ إلى فتح نافذة جديدة للدعوة خارج مكة فأرسل عدّة مجاميع من المسلمين إلى الحبشة بعد أن حظوا باستقبال ملكها (النجاشي) وترحيبه بقدمهم فاستقروا فيها بقيادة جعفر بن أبي طالب ولم يتركها جعفر

إلا في السنة السابعة بعد الهجرة .

ولم تفلح قريش في تأليب النجاشي على المسلمين، فبدأت بخطة جديدة تمثلت في فرض الحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والذي استمر لمدة ثلاث سنين في شعب أبي طالب عليه السلام، فلما أيست من إخضاع النبي ﷺ وأبي طالب وسائر بني هاشم لأغراضها فكّت الحصار ولكن النبي ﷺ وعشيرته بعد أن خرجوا من الحصار منتصرين أصيبوا بوفاة أبي طالب وخديجة - سلام الله عليهما - في السنة العاشرة من البعثة وكان وقع الحادثين ثقيلاً على النبي ﷺ لأنه فقد بذلك أقوى ناصريه في عام واحد اشتهر بعام الحزن .

وبعد الخروج من الحصار هاجر الرسول ﷺ إلى الطائف لبحث عن قاعدة جديدة ولكنه لم يكسب فتحاً جديداً من هذه البلدة المجاورة لمكة والمتأثرة بأجوائها، فرجع إلى مكة فدخلها، وبدأ نشاطاً جديداً لنشر الرسالة في مواسم الحج حيث أخذ يعرض نفسه على القبائل القاصدة للبيت الحرام لأداء مناسك الحج وللاتجار في سوق «عكاظ» ففتح الله له أبواب النصر بعد التقائه بأهل يثرب، واستمرت دعوته إلى الله وانتشر الإسلام في يثرب حتى قرّر الهجرة إليها بنفسه بعد أن أخبره الله تعالى بكيد قريش حين أجمعت بطونها على قتله والتخلص منه نهائياً، فأمر علياً عليه السلام بالمبيت في فراشه وهاجر هو إلى يثرب بكل حيلة وحذر، في أول من شهر ربيع الأول في سنة ١٣ بعد البعثة ودخلها وأهل يثرب على أتم الاستعداد لاستقباله، فوصل (قبا) في غرة ربيع الأول وأصبحت هجرته المباركة مبدأ للتأريخ الإسلامي بأمر منه ﷺ .

وأسس النبي ﷺ أول دولة إسلامية فأرسى قواعدها طيلة السنة

الأولى بعد الهجرة فبنى المسجد النبوي الذي أعدّه مركزاً لنشاطه ودعوته وحكومته وبالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ليقم بذلك قاعدة شعبية صلبة يقوم عليها بناء الدولة الجديدة، هذا مضافاً إلى كتابة الصحيفة التي نظم فيها علاقة القبائل بعضها مع بعض والمعاهدة التي أمضاها مع بطون اليهود.

لقد استهدفت قريش النبي ﷺ ودولته من خارج المدينة، واستهدف اليهود هذه الدولة من داخل المدينة فرصد النبي تحركاتهم جميعاً، وتتابع ثمان غزوات وسريّتان طيلة العام الثاني بما فيها غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان المبارك حيث افترضت فريضة الصيام وتم تحويل القبلة الذي أعطى لاستقلال الأمة المسلمة والدولة الإسلامية بُعداً جديداً.

واستمرت محاولات قريش العسكرية ضد الإسلام والمسلمين من خارج المدينة ونكثت قبائل اليهود عهودها مع النبي ﷺ عدّة مرّات خلال ثلاث سنوات متتابة، فكانت خمس غزوات - وهي: أحد وبني النضير والأحزاب وبني قريظة وبني المصطلق - ذات ثقل باهض على عاتق النبي ﷺ والمسلمين جميعاً خلال هذه السنين الثلاث.

وردّ الله كيد الأحزاب واليهود معاً في العام الخامس في غزوة الخندق، وانطلق النبي ﷺ بعد صلح الحديبية يتحالف مع القبائل المحيطة به ويستقطبها ليجعل منها قوة واحدة أمام قوى الشرك والإلحاد جميعاً حتى فتح الله له مكّة في العام الثامن ومكّنه من تصفية قواعد الشرك في شبه الجزيرة وكان ذلك فتحاً مبيناً.

ثمّ كانت السنة التاسعة وفيها وقعت غزوة تبوك وكانت هذه السنة عامرة بوفود القبائل التي أخذت تدخل في دين الله أفواجا، منها وفد نصارى

نجران وقصة المباهلة معهم.

وكان العام العاشر عام حجة الوداع وآخر سنة قضاه النبي ﷺ مع أمته وهو يمهد لدولته العالمية ولأتمته الشاهدة على سائر الأمم، حيث عين لها القيادة الحكيمة التي تخلفه وترسم خطاه متمثلة في شخص علي بن أبي طالب عليه السلام، ذلك الإنسان الكامل الذي رباه الرسول الكريم بيديه الكريمتين منذ أن ولد ورعاه أحسن رعاية طيلة حياته، وجسد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كل قيم الإسلام في فكره وسلوكه وخلقه وضرب مثلاً أعلى في الانقياد لرسول الله ﷺ ولأوامره ونواهيه فكان جديراً بوسام الولاية الكبرى والوصاية النبوية.

وقد لبى الرسول الأعظم ﷺ نداء ربّه في الثامن والعشرين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة، وهو ﷺ ابن ثلاث وستين سنة^(١).

وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غيرت مسار التاريخ البشري وفتحت أمام الإنسانية صفحات جديدة ومشرفة من الحضارة والمدنية وبعد عرض هذه السيرة الوجيزة للنبي الأكرم ﷺ من أدوار ومواقف طوال حياته الشريفة ﷺ هلمّ معنا لنقتبس من أخلاقه الحميدة لنطهر به قلوبنا ونحسن أخلاقنا ولننور بها عقولنا وأفكارنا، ونقوي بها إيماننا، فهو أسوة حسنة لنا في دار الدنيا، وشفيع لنا يوم العقبي، فسلام عليه يوم ولد، ويوم ارتحل إلى الرفيق الأعلى، ويوم يبعث حيّاً.

(١) الارشاد ١: ١٨٩، وعنه في إعلام الوري للطبرسي، وقصص الأنبياء للراوندي، ومناقب آل أبي طالب للحلي، وكشف الغمة للأربلي، ويقول الشيخ اليوسفي الغروي: «ولم نثر على مصدر له قبل الارشاد، وإنما اشتهر منه»، (موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٣، العصر النبوي العهد المدني).

قَبَسَ مِنْ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

لقد أكَدَّ القرآن الكريم في آيات كثيرة، على أن النبي الأكرم ﷺ كان قد كَرَّسَ جُلَّ حياته في سبيل دعوة الناس إلى الله تعالى وإلى تعاليمه، دون أن يستعين بأية وسيلة مادية كبيرة أو قوَّة عسكرية هائلة، واستطاع أن يغير مجتمعه المنحط في ربع قرن، فحل الإيمان والعلم والأخلاق في هذا المجتمع مكان الكفر والجهل والفساد الأخلاق والاجتماعي.

فما الذي مكَّن رسول الله ﷺ من إحراز ذلك النجاح الباهر في مجتمع جاهليٍّ مغرق في القسوة والجفاء، وغلظة الطبع وشكاسة الخلق؟! وكيف لم تحتج عملية الهداية المحمدية والتغيير الاجتماعي والفكري العميق إلى زمن طويل؟!!

ويأتي الجواب من القرآن نفسه من خلال وصفه تعالى لرسوله الكريم بالخلق العظيم حيث وصف به نبيه تارة على نحو الإجمال، إذ قال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وتارة بالتفصيل، نسيباً، إذ قال: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا فَعَلْتَهُ وَلَا لَكَ مِنْ شَيْءٍ حِسَابٌ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

لقد سطعت أنوار رسول الله ﷺ في جميع الساحات والميادين، سواء منها الفردية أو الاجتماعية، للمجتمع، وفي كل أمر كبير أو صغير نجده ﷺ

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) الأنفال: الآية ٦٣.

(٤) التوبة: الآية ١٣٨.

يتلألاً نوراً ساطعاً، وقدوة دائمة للبشرية، كيف لا؟! وهو الإنسان الأكمل الذي قدّمه الله قدوة للبشرية، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

وفيما يلي قبس من نور رسول الله ﷺ وبقاة عطرة من خلقه العظيم، وأدبه مع نفسه ومع ربه ومع مجتمعه كانت هي سرّ نجاحه، ورمز خلوده:

وكان من أدب رسول الله ﷺ مع ربه، أكثر ما يصوم يوم الاثنين والخميس، ف قيل له: لماذا؟ قال ﷺ: «الأعمال تُعرض كل اثنين وخميس، فيُغْفَرُ لكل مسلم إلاّ المتهاجرين، فيقول: أخروهما»^(٢)، كان ﷺ لا يدعُ قيام الليل، وكان ﷺ إذا مرض أو كسل صلى قاعداً^(٣)، وكان ﷺ لا ينزل منزلاً إلاّ ودّعه بركتين^(٤).

وكان من أدبه ﷺ مع نفسه لا يضحك إلا تبسماً^(٥)، وكان ﷺ ينفق على الطيب أكثر مما ينفق على الطعام^(٦)، وكان ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسّواك^(٧). وكان من أدبه ﷺ مع أصحابه، إذا جلس، جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً^(٨)، كان ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده^(٩)، وكان ﷺ يتجمل لأصحابه

(١) الأحزاب: الآية ٢١.

(٢) عن أبي هريرة في كتاب مسند أحمد.

(٣) عن عائشة في كتاب سنن أبي داود.

(٤) عن أنس في كتاب المستدرک للحاكم.

(٥) عن جابر بن سمرة، في كتاب، مسند أحمد.

(٦) عن الإمام الصادق عليه السلام، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(٧) عن عائشة، في كتاب صحيح مسلم وغيره.

(٨) عن قرة بن أبياس، في كتاب مسند البزاز.

(٩) عن أنس، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

فضلاً عن تَجَمُّله لأهله^(١)، وكان عليه السلام يداعب ولا يقول إلا حقاً^(٢)، وكان عليه السلام يستشير أصحابه ثم يعزم على ما يريد^(٣).

وكان من أدبه عليه السلام مع عامة الناس أن يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم^(٤)، وكان عليه السلام أخف الناس صلاةً على الناس، وأطول الناس صلاةً لنفسه^(٥)، كان عليه السلام أرحم الناس بالصبيان والعيال^(٦).

النبي عليه السلام في كلام علي عليه السلام

ويصف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أخلاق رسول الله عليه السلام فيما نقله لنا ابنه الإمام الحسين عليه السلام حيث قال: سألت أبي عن رسول الله عليه السلام فقال عليه السلام: «... كان عليه السلام لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكرٍ،... وإذا انتهى إلى قوم، جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك،...، وكان عليه السلام دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا ضخاب، ولا فحاشٍ، ولا عيَّابٍ، ولا مدَّاحٍ، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه،...»^(٧).

(١) نقلاً عن كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(٢) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب مستدرک الوسائل.

(٣) عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، في كتاب المحاسن للبرقي.

(٤) عن سهل بن حنيف، في كتاب مسند أبي يعلي، المعجم الكبير للطبراني.

(٥) عن أبي واقد، في كتاب مسند أحمد.

(٦) عن أنس، في كتاب تاريخ ابن عساکر.

(٧) عيون أخبار الرضا ١: ٢٨٤ب ٢٩، بحار الأنوار ١٦: ١٥٢، ٨.

مواقف النبي ﷺ قبل وفاته

لما أحس رسول الله ﷺ بدنوّ أجله، اتخذ ﷺ مواقف وخطوات مهمة تجاه الأمة ومستقبلها فجعل يقوم في مقام بعد مقام في المسلمين يحذّرهم من الفتنة بعده والخلاف عليه. ويؤكد عليهم بالتمسك بسنته والاجتماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين، ويزجرهم عن الخلاف والارتداد.. وكان أوصى ﷺ: «أيها الناس، إني فرطكم، وأنتم واردون عليّ الحوض، ألا وإني سائلكم عن الثقلين، فانظروني كيف تخلفوني فيهما، فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني، سألت ربي ذلك فأعطانيه، ألا وإني قد تركتهما فيكم، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فلا تسبقوهما فتفرقوا ولا تقصّروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم... أيها الناس، لا ألفتكم بعدي ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.. ألا وإن علي بن أبي طالب أخي ووصيي يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»^(١).

ثم إنه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة، وندبه أن يخرج بجمهور الأمة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيه عليه ﷺ على إخراج جماعة من متقدّمي المهاجرين والأنصار في معسكره، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته ﷺ من يختلف في الرئاسة ويطمع في التقدم على الناس بالإمارة، ويستتب الأمر لمن استخلفه من بعده، ولا ينازعه في حقه منازع، فعقد له الإمرة على من ذكرناه، فأمر أسامة بالخروج عن المدينة ليعسكر بالجرف^(٢)،

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٨٨.

(٢) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة باتجاه الشام. (معجم البلدان: ١٢٨).

وحثَّ الناس على الخروج إليه والمسير معه، وحذَّره من الإبطاء عنه، وحين بدأ به عليه السلام المرض خرج للبقيع واستغفر لمن دفن فيها طويلاً.. ثم قال للإمام علي عليه السلام: «... فإذا أنا مت فاغسلني واستر عورتني، فإنه لا يراها أحد إلا أكمه»^(١).

ثم عاد إلى منزله عليه وآله السلام فمكث ثلاثة أيام موعوكاً، ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس معتمداً على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بيده اليمنى وعلى الفضل بن العباس باليد الأخرى، حتى صعد المنبر فجلس عليه، ثم قال: «معاشر الناس قد حان مني خفوق من بين أظهركم، فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطه إياها، ومن كان له عليّ دين فليخبرني به، معاشر الناس، ليس بين الله وبين أحد شيء نعطيه به خيراً أو يصرف به شراً إلا العمل. أيها الناس، لا يدع مدّع، ولا يتمنّ متمنّ، والذي بعثني بالحق، لا ينجي إلا عمل مع رحمة، ولو عصيت لهويت، اللهم هل بلغت؟»

ومكث في بيت أم سلمة يوماً أو يومين، ثم انتقل إلى بيت عائشة، واستمرّ به المرض أياماً وثقل عليه عليه السلام. وعلم أن بعضاً من أكابر الصحابة قد تأخر عن جيش أسامة، فاستدعاهم وجمعهم في المسجد، ثم قال عليه السلام: «ألم أمركم أن تنفذوا جيش أسامة؟!» قالوا: بلى يا رسول الله. قال عليه السلام: «فلم تأخرتم عن أمري؟»

فقال أحدهم: إنني كنت خرجت ثم عدت لأجدّ بك عهداً، وقال الآخر: يا رسول الله، لم أخرج لأنني لم أحب أن أسأل عنك الركب.

فقال النبي عليه السلام: «فأنفذوا جيش أسامة فأنفذوا جيش أسامة لعن الله

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٨٨.

من تخلف عن جيش أسامة» يكررها ثلاثاً^(١).

وكان بلال يؤذن ثم يأتي الى النبي فيؤذنه بذلك، فأذن يوماً للفجر ثم جاءه وهو مغمور بالمرض، فنادى: الصلاة يرحمكم الله، فأذن رسول الله ﷺ بنداؤه فقال: يصلي بالناس بعضهم فإني مشغول بنفسي. فقالت عائشة: مروا أبا بكر.. وقالت حفصة: مروا عمر! ولما سمع النبي ذلك دعا علياً والفضل بن العباس (وتوضاً) واعتمدهما ورجلاه تخطان الأرض من الضعف، فلما خرج من بيته الى المسجد وجد أبا بكر قد سبق الى المحراب، فحضره وأوماً بيده إليه أن تأخر، فتأخر أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ مقامه وابتدأ الصلاة بتكبيرة الاحرام^(٢)، ولما سلم من صلاته انصرف الى منزله... ثم أغمى عليه من الأسف والتعب الذي لحقه، فارتفع النحيب من ابنته والنساء من أزواجه والمسلمات ومن حضر من أهل بيته والمسلمين، فأفاق عليه وآله السلام ونظر اليهم ثم قال ﷺ: «إيتوني بدواة وكتف، أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً»، فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفاً، فقال له عمر بن الخطاب: ارجع، فإن رسول الله قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله^(٣)!

وكم كانت الأمة بحاجة ماسة الى كتاب الرسول ﷺ هذا، حتى أن ابن عباس كان يأسف كلما يذكر ذلك ويقول: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله^(٤).

(١) صحيح البخاري ١: ١٧٢ ب ٤٦، وصحيح مسلم ١: ٣١٣ ح ٩٤ و ٩٥، دلائل النبوة ٧: ١٨٦.

(٢) راجع الارشاد ١: ١٨٢، وروى الطبري عن عائشة أن أبا بكر صلى بصلاة رسول الله ﷺ: ٣: ١٩٧.

(٣) وفي رواية أخرى قال: فإن الرجل يهجر، وقد روي الحديث العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٣٠: ٧٠ بخمس طرق عن صحيح البخاري كتاب العلم، وبثلاثة طرق عن صحيح مسلم، منها عن جابر بن عبد الله الأنصاري وسائرهما عن ابن عباس، والطبري ٣: ١٩٢.

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤، صحيح البخاري ١: ٢٢، كتاب العلم.

الرَّحِيلُ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى

فتح رسول الله ﷺ عينه وقال لعلي عليه السلام: يا علي، ضع رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله عز وجل، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة، وتولّ أمري، فإذا أنا مت فاعسلني واستر عورتني فإنه لا يراها أحد إلا أكمه وصلّ عليّ أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى وادفني في هذا المكان، وارفع قبري من الأرض أربع أصابع، ورش عليه من الماء^(١).

فأخذ علي عليه السلام رأسه ووضع في حجره، وأغمي على النبي. فاكبت عليه ابنته فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وابيض يُستسقى الغمام بوجهه

ثمّال اليتامى عصمة للأرامل^(٢)

ففتح رسول الله عينيه وقال لها بصوت ضئيل: يا بُنَيَّة، هذا قول عمك أبي طالب، لا تقولي، ولكن قولي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٣)، فبكت، فأوماً إليها بالدنو منه، فدنت، فأسرّ إليها شيئاً تهلل له وجهها.

ف قيل لها: ما الذي أسرّ اليك رسول الله فسرّي عنك ما كان عليك من القلق والحزن من وفاته؟ فقالت: إنّه خبرني أنّني أول أهل بيته لحوقاً به، وأنّه لن تطول المدة بي بعده حتى أدركه، فسرّي ذلك عني^(٤)! فقام الحسنان يبيكان

(١) الارشاد ١: ١٨١، وخبره في أمالي الطوسي: ٦٦٠ م ٣٥ ح ١٣٦٥.

(٢) الثمال: الغياث.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

(٤) والخبر في أمالي الطوسي ح ٣١٦، وفي البخاري ١٢: ٦، ومسلم ٤: ١٩٠٤.

ويصرخان وأقبلا حتى وقعا على رسول الله، فأراد علي أن ينحيهما عنه فأفاق وقال له: يا علي، دعني أشمهما ويشماني، وأتزوّد منهما ويتزوّدا منّي، أما إنهما سيظلمان بعدي ويقتلان ظلماً، ثم قال ثلاثاً: فلعنة الله على من يظلمهما^(١).

وكانت يد علي عليه السلام تحت حنكه عليه السلام، وفاضت نفسه،.....^(٢)، وقد لبّى الرسول الأعظم عليه السلام نداء ربّه في الثامن والعشرين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة، وهو عليه السلام ابن ثلاث وستين سنة^(٣).

وأفاد المفيد في «الارشاد» أنّ علياً عليه السلام لما أراد غسل رسول الله عليه السلام استدعى الفضل بن العباس فعصّب على عينيه - حسب وصيّة النبي - وأمره أن يناوله الماء لغسله. ثم شقّ قميصه من جيبه حتى سُرّته، وتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه^(٤).

وروى الكليني عن الصادق عليه السلام: أن رسول الله أحرم في ثوبين: حجري (من اليمن) وظفاري (صُحاري عُماني) وكُفّن فيهما^(٥).

وروى المفيد بسنده عن ابن عباس قال: لما فرغ علي عليه السلام من غسله (وكفّنه) كشف الإزار عن وجهه ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حيّاً وطبت ميتاً،

(١) أمالي الصدوق: ٥٠٨ م ٩٢ ذيل ح ٦.

(٢) الارشاد ١: ١٨٧، وفي نهج البلاغة خ ١٩٧، وروى ابن اسحاق عن عائشة: أنّه قبض في حجري بين سحري ونحري فقامت أضرب وجهي ٤: ٣٠٥.

(٣) الارشاد ١: ١٨٩، وعنه في إعلام الوري للطبرسي، وقصص الأنبياء للراوندي، ومناقب آل أبي طالب للحلي، وكشف الغمة للأربلي. ويقول الشيخ اليوسفي الغروي: «ولم نعثّر على مصدر له قبل الارشاد، وإنما اشتهر منه»، (موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٣، العصر النبوي العهد المدني).

(٤) الارشاد ١: ١٧٨ ورواه ابن اسحاق في السيرة ٤: ٣١٢.

(٥) فروع الكافي ٤: ٣٣٩ ح ٢، والفتاوى ٢: ٣٣٤ ح ٩٥٩٤، وعنه في الوسائل ٣: ١٦ ب ٥ ح ١.

لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والأنباء،... ولو لا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون بأبي أنت وأمي، اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك. ثم أكب عليه فقبّل وجهه، ومدّ الإزار عليه^(١).

وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمّمهم في الصلاة عليه، وأين يدفن؟! فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال لهم: «إن رسول الله ﷺ إمامنا حياً أو ميتاً»، فدخل إليه فوج إثر فوج (عشرة عشرة) فيصلون عليه بغير إمام فينصرفون، ثم أردف عليه قائلاً: «وإن الله تعالى لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه، وإني دافنه في حجرته التي قبض فيها»، فسلم القوم لذلك ورضوا به^(٢).

ثم نزل علي عليه السلام القبر فكشف عن وجه رسول الله ﷺ ووضع خدّه على الأرض موجّهاً إلى القبلة عن يمينه، ثم وضع اللبّن على اللحد، ثم خرج وهال عليه التراب^(٣)، ورفع من الأرض قدر شبر وأربع أصابع ورش عليه الماء^(٤).

الزّهاء بعد أبيها رسول الله

روي أنّه لما قبض النبي ﷺ امتنع بلال من الأذان قال: لا أوذن لأحد بعد رسول الله ﷺ، وإنّ فاطمة عليها السلام قالت ذات يوم: «إني أشتهي أن أسمع

(١) أمالي المفيد: ١٠٢ م ١٢ ح ٦، نهج البلاغة خ ٢٣٥، ورواه ابن حنبل في مسنده ح ٢٢٨.

(٢) راجع الطبقات الكبرى ٢: ٥٣، أصول الكافي ١: ٤٥٠ ح ٣٥ و ٣٨، وأعيان الشيعة ١: ٢٩٥.

(٣) ((الارشاد للمفيد ١: ١٨٨.

(٤) ((قرب الاسناد: ١٣٦ ح ٥٥٥.

صوت مؤذن أبي عليه السلام بلال» فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباه وأيامه فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول الله عليه السلام شهقت فاطمة عليها السلام وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس لبلال: امسك يا بلال، فقد فارقت ابنة رسول الله عليه السلام الدنيا، وظنوا أنها قد ماتت، فقطع أذانه ولم يتمه، فأفاقت فاطمة عليها السلام وسألته أن يتم الأذان فلم يفعل، وقال لها: يا سيّدة النسوان، إنّي أخشى عليك ممّا تنزلي به بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك^(١)

وعن أنس، قال: لما فرغنا من دفن النبي عليه السلام أتيت إلى فاطمة عليها السلام فقالت: «كيف طاوعتكم أنفسكم على أن تهيلوا التراب على وجه رسول الله عليه السلام؟» ثم بكّت^(٢).

وهكذا أخذت فاطمة عليها السلام بالبكاء والعويل ليلها ونهارها، حتى جزع لذلك جيرانها، فاجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا: يا أبا الحسن! إن فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد ممّا يتهنأ بالنوم في الليل على فراشنا ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معاشنا، وإنّا نخبرك أن تسألها إمّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتّى دخل على فاطمة عليها السلام فقال لها: «يا بنت رسول الله عليه السلام إن شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إمّا أن تبكي أباك ليلاً أو نهاراً»، فقالت: «يا أبا الحسن، ما أقلّ مكثي بينهم، وما أقرب مغيبني من بين أظهرهم»، فاضطرّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى بناء بيت خلف البقيع خارج المدينة وسمّاه «بيت الأحران» وكانت إذا أصبحت

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٥٧.

(٢) أسد الغابة، لابن الاثير ٥: ٥٢٤، وطبقات الكبرى: ج ٢، القسم ٢: ٨٣.

قدّمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها وخرجت إليه وهي تمرّ على البقيع باكية،
فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها ورافقها إلى منزلها^(١).

وهكذا قد دخل على فاطمة الحزن الشديد من فراق النبي الأكرم وكانت
ترثيه وتبكي ومن الرثاء المنسوب إليها:

ماذا على من شمّ تربة أحمد أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبّت على مصائب لوأنّها صبّت على الأيام صرن لياليا

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٧٧ ح ١٥، ثم يقول العلامة المجلسي: وجد في بعض الكتب! هذا الخبر في وفاتها وأحبّ
إيراده وإن لم يجد له أصلاً يعول عليه!

الليلة التاسعة والعشرون

الرضا عليه السلام عالم آل محمد

قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ
وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾^(١).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل
حصني أمن من عذابي، بشروطها وأنا من شروطها»^(٢).

قبسات من أنوار الإمام الرضا عليه السلام

الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام^(٣) ثامن أئمة أهل

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) عرف هذا الحديث بحديث سلسلة الذهب الذي تحدث به الإمام الرضا ٨ عند خروجه مدينة نيسابور في
محافظة خراسان متوجهاً إلى مرو، وقد ورد هذا الحديث في عيون أخبار الرضا ٢: ١٣٥ وعنه في بحار الأنوار
١٢٣: ٤٩ وغيرها من كتب الحديث.

(٣) ورد عن الإمام الجواد ٨ في وجه تسميته بهذا اللقب انه: «رضي به المخالف من أعدائه كما رضي به الموافقون

البيت عليه السلام، ولد في المدينة المنورة في الحادي عشر من ذي القعدة سنة «١٤٤٤ هـ. ق»، وأبوه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وأمه خيزران وقيل نجمة وتكنى بأم البنين وقيل غير ذلك، استشهد بطوس متأثراً بسم المأمون في نهاية صفر سنة «٢٠٣ هـ. ق»، على المشهور، فكان عمره الشريف خمساً وخمسين سنة، قضى أكثر عمره في مدينة جده، إلى أن استدعاه المأمون سنة «٢٠٠ هـ. ق» إلى خراسان، ليكون ولياً للعهد وخليفة من بعده، فعاش فيها ثلاث سنوات من عمره الشريف، إلى أن توفي ودفن فيها، وقيل لم يترك الإمام عليه السلام إلا ولداً واحداً هو الإمام الجواد عليه السلام، وعاش الإمام الرضا عليه السلام مع أبيه نحو ثلاثين عاماً أو تزيد، شاهد فيها أنواع المحن والبلايا التي أحاطت بأبيه الإمام موسى بن جعفر، من قبل الخلفاء العباسيين الثلاثة، المهدي والهادي، ثم هارون الرشيد الذي كان قد اعتقل الإمام عليه السلام، وضيق عليه في ظلمات سجون المرعبة، أربعة أعوام، أو أكثر من ذلك، وهكذا كان ينقل من سجن إلى سجن، إلى أن قضى شهيداً بسم دسه إليه السندي بن شاهك، بمساعدة الوزير يحيى بن خالد البرمكي، هذا والإمام يشاهد بألم ومرارة تلك الأحداث القاسية.

وأقام الإمام الرضا عليه السلام بعد أبيه في إمامة المسلمين عشرين سنة، قال الشيخ المفيد: كان الإمام بعد موسى بن جعفر: ابنه علي بن موسى الرضا عليه السلام، لفضله على جماعة إخوته وأهل بيته وظهور علمه وحلمه، وورعه، واجتماع الخاصة والعامة على ذلك منه، ومعرفتهم به منه، ولنص أبيه عليه السلام على إمامته

من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من ابائه ٨ فلذلك سمي من بينهم الرضا ٨ (عيون أخبار الرضا ١: ١٣) ويقال إن المأمون هو الذي لقب الإمام بهذا اللقب.

من بعده وأشار إليه بذلك دون إخوته وأهل بيته^(١) وبالإضافة إلى النصوص العامة على إمامة الأئمة الاثنى عشر من النبي ﷺ، فلقد كان كل إمام ينص على الإمام من بعده ويؤيِّنه للمسلمين وشيعته، حتى لا يدعي الإمامة غيره.

ومع ذلك لقد ادّعت بعض الفرق من الشيعة في بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم لم يموتوا، وإنما رفعوا كما رفع عيسى بن مريم عليهم السلام، ومن الفرق التي نادى بذلك الواقفية، حيث وقفوا عند الإمام الكاظم عليهم السلام، ولم يرجعوا إلى الإمام الرضا عليهم السلام، وانكروا وفاة الإمام الكاظم عليهم السلام بدعوى أنه القائم من آل محمد ﷺ، وأنه رفع كما رفع المسيح عليهم السلام، وسوف يعود إلى الدنيا مرة أخرى.

ولقد روى أن أوّل من أظهر الوقف على الإمام موسى بن جعفر وعمل على انتشاره جماعة من أعيان أصحابه المقربين إليه، وكان قد عهد إليهم بجباية الخمس من شيعته، وقد اجتمع لديهم مبلغ كبير من المال فلما استشهد الإمام الكاظم عليهم السلام طالبهم الإمام الرضا عليهم السلام، بما عندهم من الأموال فغرتهم الدنيا، وأنكروا موت الإمام الكاظم عليهم السلام، وكان الموقف الصارم من الإمام الرضا عليهم السلام، إزاء هذه الفرقة، وكذلك موقف سائر الأئمة عليهم السلام، وعلماء المذهب الإمامي قد سبّب ضعفها وانقراضها.

من أخلاق الإمام الرضا عليهم السلام

لابدّ وأن يكون الإمام المعصوم، جامعاً لجميع العلوم والمعارف الإلهية

(١) الإرشاد للمفيد: ٣٠٤.

والطبيعية، والفضائل والمكارم الأخلاقية، ليكون مناراً يهتدى به، وأسوة لجميع الناس يقتدى به، لأنّه حجة الله في أرضه على خلقه ولا بدّ أن يكون في جميع هذه الخصائص والصفات أعلى من غيره لتتم الحجة، والإمام الرضا عليه السلام كجده المصطفى ﷺ وآبائه الأئمة البررة، قد اتصف بجميع تلك الخصال والصفات الحميدة، ولم تكن صفة يسمو بها الإنسان نحو الكمال إلّا وهي موجودة فيه.

يقول إبراهيم بن العباس الصولي: ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفاً أحداً بكلمة قط، ولا رأيت قط على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها ولا مدّ رجله بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط ولا رأيت شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيت تفل قط، ولا رأيت يقهقه في ضحكته قط، بل كان ضحكه التبسم، وكان إذا خلا ونصب مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه، ومواليه وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: ذلك صوم الدهر، وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السرّ وأكثر ذلك منه في الليالي المظلمة، فمن زعم انه رأى مثله في فضله فلا تصدّقه^(١).

الرضا عليه السلام أعلم أهل الأرض

أحاط الإمام الرضا عليه السلام بجميع العلوم والمعارف، وكان أعلم أهل زمانه، وذلك ممّا اشتهر وذاع وانتفق عليه المحدثون، وهو الشيء البارز في

(١) عيون أخبار الرضا ٨: ٢: ١٨٠.

شخصية الإمام عليّ عليه السلام ولا يستطيع أن ينكره أحد، وقد لُقّب بـ «عالم آل محمد» كما اعترف المأمون بنفسه الذي كان هو عالم بني العباس بهذه الحقيقة أكثر من مرّة وفي مناسبات عديدة ناصّاً على أن الإمام الرضا عليه السلام أعلم أهل الأرض.

ومن مظاهر علم الإمام ومعرفته التامة إخباره عن كثير من الملاحم والأحداث قبل وقوعها، ومن جملة ما أخبر به نكبة البرامكة وما سيحلّ بهم، وقتل الأمين على يد أخيه المأمون، ودفنه جنب هارون، وقد تحقّق كل ما أخبر به الإمام الرضا عليه السلام^(١).

وقد تجلّت مظاهر علم الإمام عليّ عليه السلام في مناظراته في البصرة وخراسان مع علماء الزرادشت واليهود والنصارى والمسلمين، والتي اعترف له فيها أكثر من مرّة جميع هؤلاء العلماء بالفضل والعلم والتفوّق عليهم^(٢)، وهما نحن نذكر إحدى مناظراته مع علي بن محمد بن الجهم حول عصمة الأنبياء: قال أبو الصلت الهروي: «لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات: من ديانات النصارى واليهود والمجوس والصابئين، وسائر أهل المقالات من أهل الإسلام كسلمان بن حفص المروزي متكلم أهل خراسان، فلم يقم أحد منهم إلّا وقد ألزمه حجته كأنّه ألُقم حجراً ! وقام إليه علي بن محمد بن الجهم، فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال عليه السلام: نعم.

(١) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٤٥، ح ١ و ٢، الباب ٥٠.

(٢) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ١٣٩، الباب ١٢ وص ١٥٩، الباب ١٣. وج ٢: ١٩٩، الباب ٤٥. وبحار الأنوار ٤٩: ٩٥.

قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(١)، وقوله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾^(٢)، وفي قوله عز وجل في يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودَىٰ وَهَمَّ بِهَا﴾^(٣)، وفي قوله عز وجل في داود عليه السلام: ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنْتَمَافَنَنْتُهُ﴾^(٤)، وقوله تعالى في نبيه محمد ﷺ: ﴿وَنُحِىَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾^(٥).

فقال الإمام الرضا عليه السلام: ويحك يا علي، اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله برأيك، فإن الله عز وجل قد قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٦)، وأما قوله عز وجل في آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(٧) فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه، وخليفة في بلاده، لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم عليه السلام في الجنة لا في الأرض، وعصمته يجب أن تكون في الأرض لئتم مقادير أمر الله، فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٨).

وأما قوله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾^(٩)

(١) طه: ١٢١.

(٢) الأنبياء: ٧٨.

(٣) يوسف: ٢٤.

(٤) ص: ٢٤.

(٥) الأحزاب: ٣٧.

(٦) آل عمران: ٧.

(٧) طه: ١٢١.

(٨) آل عمران: ٣٣.

(٩) الأنبياء: ٨٧.

فإنما الظن بمعنى استيقن أنّ الله لن يضيق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾^(١) أي ضيق عليه رزقه، ولو ظن أنّ الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأما قوله عزّ وجلّ في يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا﴾^(٢) فإنّها همّت بالمعصية وهمّ يوسف عليه السلام بقتلها إن أجبرته، لعظم ما تداخله، فصرف عنه قتلها والفاحشة وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾^(٣) يعني القتل والزنا.

وأما داود عليه السلام، فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال علي بن محمد بن الجهم: يقولون إنّ داود عليه السلام كان في محرابه يصلي فتصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع داود عليه السلام صلاته وقام ليأخذ الطير، فخرج الطير إلى الدار فخرج في أثره، فطار الطير إلى السطح فصعد في طلبه، فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطلع داود عليه السلام في أثر الطير فإذا بامرأة أوريا تغتسل، فلما نظر إليها هواها، وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه: «أن قدّم أوريا أمام التابوت»، فقدم فظفر أوريا بالمشرّكين، فصعب ذلك على داود عليه السلام فكتب إليه ثانية: «أن قدّمه أمام التابوت»، فقدم فقتل أوريا، فتزوج داود عليه السلام بامرأته.

قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال عليه السلام: إنا لله وإنا إليه

(١) الفجر: ١٦.

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) يوسف: ٢٤.

راجعون، لقد نسبتهم نبياً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة، ثم بالقتل.

فقال: يا ابن رسول الله فما كانت خطيئته؟

فقال عليه السلام: ويحك إن داود إنما ظن أنه ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب فقالا: ﴿خَصَمَانِ بَعْنِي بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿إلى قوله: ﴿نَجِّنِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾﴾^(١) فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه فقال: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِّنِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾، ولم يسأل المدعي البينة على ذلك، ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع الله عز وجل يقول: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾^(٢).

فقال: يا ابن رسول الله فما قصته مع أوريا؟

فقال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلمها أو قتل لا تنزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلمها كان داود عليه السلام، فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه، فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا.

وأما محمد ﷺ وقول الله عز وجل: ﴿وَنُخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ

(١) ص: ٢١-٢٤.

(٢) سورة ص: ٢٦.

وَتَحْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ﴿١﴾.

فإنَّ الله عزَّ وجلَّ عرَّف نبيه ﷺ أسماء أزواجه في دار الدنيا، وأسماء أزواجه في دار الآخرة، وأنهنَّ أمهات المؤمنين، وإحدى من سمى له زينب بنت جحش، وهي يومئذٍ تحت زيد بن حارثة، فأخفى اسمها في نفسه ولم يبدِه إذ خشي قول المنافقين،... فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَحْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾^(٢)، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ ما تولى تزويج أحد من خلقه إلاَّ تزويج حواء من آدم عليه السلام، وزينب من رسول الله ﷺ بقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾^(٣)، وفاطمة من علي عليه السلام.

فقال علي بن محمد بن الجهم: يا ابن رسول الله أنا تائب إلى الله تعالى من أن أنطق في أنبياء الله بعد يومي هذا إلاَّ بما ذكرته^(٤).

الإمام الرضا عليه السلام ودعبل الخزاعي^(٥)

قد اغتنم الإمام الرضا عليه السلام فرصة ولاية العهد في عهده وأخذ يثقف الناس ويربِّي العلماء والفقهاء، على سنة جدِّه ومذهب أهل بيته عليه السلام، بحيث

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) الأحزاب: ٣٧.

(٤) عيون أخبار الرضا ١: ١٧٠، الباب ١٤، ح ١.

(٥) دعبل الخزاعي: إسمه عبدالرحمن، وإنما دأبته رأته فيه دعاية فقالت دعبل فغلب عليه! وكان يضرب به المثل في دعايته (تاريخ بغداد ٨: ٣٨٥)، وتوفي (أو قتل) دعبل بن علي الخزاعي في سنة (٢٤٦ هـ) وعمره (٩٦) عاماً، في قرية من نواحي بلدة شوش كانت تسمى الطيب بين كور الأهواز وواسط العراق، فحملت جنازته إلى بلدة شوش ودُفن بمقبرتها إلى مقبرة دانيال النبي من أنبياء بني إسرائيل، وقبره ظاهر معلوم يُزار، وله ابنان عبد الله والحسين، (راجع تاريخ ابن الوردي ١: ٢١٩. الأغاني ١٨: ٦٠، ووفيات الأعيان ٢: برقم ٢٧٧).

كان المأمون نفسه إضطرَّ أن يتحدَّث عن فضائل أهل البيت عليهم السلام، واستخدم الخطباء والشعراء وأئمة الجمعة والولاية والأمراء لذلك، وبهذا انتشرت مناقب الإمام وأهل البيت عليهم السلام في جميع الأمصار، وكان في طليعة الشعراء الثوريين، دعل الخزاعي شاعر أهل البيت عليهم السلام، فجدير بنا أن نذكر علاقته مع الإمام عليه السلام، ثم نذكر مقتطفات من قصيدته التائية المعروفة التي نظمها في مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام والإمام الرضا عليه السلام، بعد البيعة بولاية العهد في مرو بحضور إمامه ومقتداه.

لقد كان الإمام الرضا عليه السلام يشجّع الشعراء الرساليين الموالين لأهل البيت عليهم السلام على نظم الشعر من أجل نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام ودورهم العلمي والقيادي في الأمة، وتبيان مظلوميتهم على مرّ التاريخ؛ لأنّ الشعر كان خير وسيلة إعلامية في ذلك العصر؛ لسرعة انتشاره وسهولة حفظه وإنشاده، ومن بين الشعراء كان دعل بن علي الخزاعي وأشعاره في مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام الرضا عليه السلام، أكثر صيتاً وشهرة، وما ذلك إلا بسبب خلوصه وشدة ولائه لأهل البيت عليهم السلام.

كانت ولادة دعل في السنة التي توفي فيها الإمام الصادق عليه السلام (٢٥ من شوال سنة ١٤٨هـ)، ووفاته بمدينة «شوش»^(١) سنة ٢٦٤هـ ودفن فيها فكان عمره ٩٨ سنة، قضى أكثرها في السفر خوفاً من خلفاء زمانه لما قاله في هجائهم، وكان يقول: منذ سنين وأنا أحمل خشبتي على متني^(٢).

(١) شوش: إحدى مدن إيران في محافظة خوزستان، وهي مدينة قديمة عريقة في التاريخ، يقصدها الزوّار والسيّاح من بعيد لما فيها من الآثار والمقامات، منها: مقام النبي دانيال عليه السلام، ومقام بعض أحفاد الأئمة عليهم السلام، ومنها: مقام شاعر أهل البيت عليهم السلام دعل الخزاعي (رحمة الله عليه)، وقد بني وأسس في جنب المقام مجمع ثقافي يهتم بأمور الثقافة الدينية والشعر والأدب في تلك المنطقة.

(٢) إشارة إلى الخشبة التي يصلب عليها الشخص.

ولما انتشر خبربيعة الرضا عليه السلام، لولاية العهد ووصل خبرها إلى دعبل شدَّ الرِّحال قاصداً زيارة إمامه عليه السلام، في مدينة مرو، وبعد تحمل عناء السفر وصل إلى ديار حبيبه، ولعلَّه حضر عنده عليه السلام، أوائل شهر محرم سنة ٢٠٢ هـ فاستقبله الإمام عليه السلام، ورَحَّب به وأجلسه جنبه، ثُمَّ قال دعبل للإمام: يا بن رسول الله، إِنِّي أَنشدْتُ فيكم قصيدة وآليتُ على نفسي أن لا أَنشدها أحداً قبلك، فقال له الإمام عليه السلام: هاتها يا دعبل، فأنشده قصيدته التائية المعروفة وكانت خالية من ذكر ولاية العهد ووافية بذكر مصائب الحسين عليه السلام،^(١) وفيها ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام واستعراض للوقائع التي مرت عليهم من حين وفاة النبي ﷺ مروراً بأحداث السقيفة، وموقف المسلمين من الخلافة، وما جرى عليهم عليهم السلام خلال العهدين الأموي والعباسي، ثم ختم القصيدة بخروج الإمام العادل الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وقد تأثر الإمام بهذه القصيدة وأخذ يبكي، ويقول: «صدقت يا دعبل»، ولما فرغ دعبل من إنشاد قصيدته، قام الإمام عليه السلام، وأنفذ إليه صرة فيها مئة دينار ضربت باسمه، فردَّها دعبل وقال: «والله ما لهذا جئت وإنما جئت للسلام عليه والتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون، وإني لفي غنى فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحب إليّ». فأعطاه الإمام عليه السلام، جبة خز وردَّ عليه الصرة وقال له: «احفظها فستحتاج إليها»، فأخذ دعبل الصرة والجبة وانصرف من مرو قاصداً بغداد، وفي طريقه مرَّ على قافلة على مياه في منطقة كوهان الجبلية التي تقع بين هراة ونيسابور، فاعترضهم اللصوص وكتَّفوا أهلها وأخذوا جميع ما كان معهم فجلسوا ناحية يقسمون ما سلبوه من القافلة، فتمثل رجل منهم بقول دعبل:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

(١) وهي قرينة على حضور دعبل عند الإمام أيام شهر محرم الحرام سنة ٢٠٢ هـ.

فسمعه دعبل الخزاعي وقال له: لمن هذا البيت الذي تتمثل فيه؟ فقال: لرجل من خزاعة يسمّى دعبل، فقال دعبل: أنا صاحب القصيدة التي فيها البيت، فقال الرجل أنشدني القصيدة فأنشده إياها فردّوا عليهم جميع ما أخذوه منهم واعتذروا إليهم، وسار دعبل مع القافلة حتى وصل إلى قم، فأنشد قصيدته، فسألوه أن يبيعهم الجبّة بألف دينار فامتنع، وبعد الإصرار والإلحاح أخذوا منه الجبة ودفعوا إليه ألف دينار، وأعطوه بعضها وانصرف دعبل إلى وطنه في العراق فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله (في بغداد) وكان الرضا عليه السلام قد وصله بصرّة فيها مئة دينار وقال له: «احفظها فستحتاج إليها»، فأعطاه دعبل شيعة العراق فأعطوه مقابل كل دينار منها مئة درهم؛ (بخمسة أضعاف) لأنّها كانت من الدنانير الرضوية التي صكّت باسم الرضا عليه السلام^(١).

ورمدت عينا جارية دعبل فأدخل عليها أهل الطب فيئسوا من اليمنى، ثمّ ذكر بقية الجبة فعصّبها منها بعصابة ليلاً، فأصبحت وعيناها أصحّ مما كانتا من قبل ببركة الرضا عليه السلام^(٢).

وجاء في كتاب (الأغاني): أنّ دعبل كتب قصيدته التائية على ثوب وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في كفه^(٣).

وينبغي هنا أن نذكر على سبيل الاختصار مقتطفات من تلك القصيدة التائية الرائعة مع تعاليق الرضا عليه السلام عن الصدوق:

(١) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٩٤، الباب ٦٦ ح ٣٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٩٤، الباب ٦٦ ح ٣٤.

(٣) الأغاني ٢٠: ١٢٢ و ١٢٦ وأنظر الغدير للأميني ٣: ٤٩٧.

مقتطفات من قصيدة دعبل التائية

أسند الصدوق عن أبي الصلت الهروي^(١) أنه قال: دخل دعبل الخزاعي على الرضا عليه السلام في مدينة مرو بعد بيعة الناس له بولاية العهد، فقال: يا ابن رسول الله ﷺ، إني قد قلت فيك (فيكم) قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال عليه السلام: هاتها، فأنشد (دعبل):

ذكرتُ محلَّ الرِّبعِ من عَرَفاتِ	فأجريتُ دَمَعَ العَيْنِ بالعَبَرَاتِ
مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلاوَةِ	وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفَرُ العَرَصَاتِ
دِيَارُ عَلِيٍّ والحُسَيْنِ وجَعْفَرٍ	وحَمِزَةُ والسَّجَّادِ ذِي الثَّنَاتِ
مَنَازِلُ كَانَتْ لِلصَّلَاةِ ولِلتَّقَى	وَلِلصَّوْمِ وَالتَّطَهِيرِ وَالْحَسَنَاتِ
أَفَاطِمُ لَوْ خِلَتْ الحُسَيْنَ مُجَدَّلًا	وَقَدْ مَاتَ عَطْشَانًا بِشَطِّ فُرَاتِ
إِذْ لِلطَّمَتِ الخَدَّ فَاطِمٌ عِنْدَهُ	وَأَجْرِيَتْ دَمَعَ العَيْنِ فِي الوَجَنَاتِ
أَفَاطِمُ قُومِي يَا ابْنَةَ الخَيْرِ وَانْدُبِي	نُجُومَ سَمَآوَاتٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ
قُبُورُ بَكُوفَانٍ وَأُخْرَى بِطِيبَةِ	وَأُخْرَى بِفَنَخٍ نَالَهَا صَلَوَاتِي
وَقَبْرُ بِأَرْضِ الجَوْزْجَانِ مَحَلُّهُ	وَقَبْرُ بَبَاخْمَرٍ لَدَى الغُرَبَاتِ
قُبُورُ بَجَنَبِ النَهْرِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا	مُعَرَّسَهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ
تُوفُوا عَطَاشِي بِالعَرَاءِ فَلَيْتَنِي	تُوفِّيتُ فِيهِمْ قَبْلَ حِينِ وَفَاتِي
وَقَبْرُ بِبَغْدَادٍ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ	تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الغُرَفَاتِ

(١) أبو الصلت الهروي: هو من أصحاب الرضا عليه السلام، وخادمه.

وهنا روى الصدوق عن الهروي أنَّ الرضا عليه السلام قال لدعبل: أفلا ألحق لك بيتين بهذا الموضع، بهما تمام (كمال) قصيدتك؟، فقال دعبل: بلى يا بن رسول الله، فقال عليه السلام:

وَقَبْرُ بَطُوسٍ يَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ أَحْتُ عَلَى الْأَحْشَاءِ بِالزَّفَرَاتِ
إِلَى الْحَشْرِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ قَائِمًا يُفَرِّجُ عَنَّا الْغَمَّ وَالْكُرْبَاتِ

فقال دعبل: هذا القبر الذي بطوس قبر من؟ فقال الرضا عليه السلام: «قبري، وَلَا تَنْقُضِي الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي حَتَّى تَصِيرَ طُوسٌ مُخْتَلَفَ شِيعَتِي وَزُؤَارِي!، أَلَا فَمَنْ زَارَنِي فِي غُرْبَتِي بِطُوسٍ كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفُورًا لَهُ»^(١). وفي حديث آخر قال عليه السلام: «إن بين جبلي طوس قبضة قبضت من الجنة من دخلها كان آمناً يوم القيامة»^(٢).

المأمون العباسي ليس بمأمون

المأمون الذي قد سعى جاهداً لتكون صورته حسنة ومقدسة وليتصف بأنه خليفة عاقل، سقط في النهاية وانجر إلى الفساد ووسمت حياته بالظلم والقهر كأسلافه الخلفاء العباسيين، ويمكن مشاهدة نماذج من حياة المأمون خلال ١٥ عاماً بعد حادثة ولاية العهد تكشف ستار الخداع والتظاهر عند المأمون، فكان المأمون يحضر المغنيات إلى قصره، وعاش مرفهاً مسرفاً، وكان لديه قاضٍ للقضاة فاسق وفاجر مثل يحيى بن الأكثم.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٩٥، الباب ٦٦، ح ٣٤، وفي بحار الأنوار ٩٩: ٣٩، الباب ٤، ح ٢٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٨٦، الباب ٦٦، ح ٦، وعنه في بحار الأنوار ٩٩: ٣٧، الباب ٤، ح ٣٧.

وما إن مضت على تصدّي الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد سنتان حتى تنكّر له المأمون، وفرض عليه الرقابة الشديدة والإقامة الجبرية في بيته، ومنع العلماء وخواص شيعته من التردّد إليه؛ وما ذلك إلاّ لأنّه لم يحصل على ما أراد من توليته العهد، بل رأى أنّ الإمام قد ترسّخت مكانته، وازدادت شهرته، وارتفعت منزلته في نفوس المسلمين حينما أسندت إليه ولاية العهد؛ لأنّهم رأوا ابتعاده عن مغريات الدنيا، ومعايشته هموم الناس وآلامهم، وعطفه على الضعفاء من جانب، وسعة علومه وإحاطته بما تحتاج إليه الأمة في جميع شؤونها، وشدة تقواه ومعالي أخلاقه، والسير على سنّة جدّه رسول الله ﷺ وآبائه الطاهرين عليهم السلام من جانب آخر، وقد تمثّل نموذج من ذلك في كيفية ذهابه إلى صلاة العيد التي دعاه المأمون لإقامتها حيث خرج الإمام عليه السلام للصلاة كما كان يخرج إليها جدّه رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، حافياً مكبراً، وقد امتلأ خشوعاً وتواضعاً لربه، ولما أحس المأمون بخطورة الأمر أرجع الإمام ومنعه من إقامة الصلاة.

وعليه فقد ابتلي الإمام ابتلاءً شديداً في تصدّيه لولاية العهد، فقد ضيق عليه المأمون غاية الضيق، بحيث سئم الحياة وأخذ يدعو الله تعالى أن يفرّج عنه في هذه الدنيا قائلاً: «اللهم إن كان فرجى ممّا أنا فيه بالموت فعجل لي الساعة...» ولم يزل مغموماً مكروباً إلى أن قبض^(١).

وما اكتفى المأمون بالتضييق على الإمام الرضا عليه السلام بل كان يترصد الفرصة المناسبة ليقضي عليه كما قضى من قبل على وزيره فضل بن سهل ذي الرياستين في حمّام مدينة سرخس لما أحسّ بالخطر منه على خلافته، وهذا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ١٨، الباب ٣٠، وعنه في بحار الأنوار ٤٩: ١٤٠، الباب ١٣.

دأب كل حكام الجور من بني أمية وبني العباس، حيث لا إيمان لهم ولا يؤمن مكرهم وكيدهم وإن لقبوا أنفسهم بألقاب عظيمة كالأمين والمأمون وغيرها من الألقاب، فالمأمون العباسي لم يكن مأموناً؛ ولذا لم يتمكن من إضمار ما في نفسه من مكرٍ على الإمام عليّ عليه السلام، بل وأخذ يحتال ويغتنم الفرص ليتخلص من الإمام، ولو اقتضى ذلك أن يقتله بيده الغادرة، وفي نهاية المطاف عاد المأمون ليختار نفس الأسلوب الذي سلكه أسلافه من قبله وهو قتل الإمام.

المأمون في طريقه إلى بغداد

ذكر المؤرخون والرواة أنه لما استتب الأمر والحكم لمأمون في خراسان قرّر الخروج منها قاصداً بغداد ليتخذها عاصمة جديدة لخلافته وكان يقول للإمام عليّ عليه السلام: سندخل بغداد والامام يقول له ستدخلها أنت وما أنا وبغداد؟! لا أرى بغداد ولا تراني^(١).

وخرج المأمون ومن معه من مرو وكان معهم وزيره فضل بن سهل ووليّ عهده الإمام الرضا عليه السلام، فلما وصلوا إلى سرخس^(٢) أمر المأمون بقتل فضل بن سهل لما تبين له أنه يطمع بالخلافة، فقتل في حمامٍ بسرخس، ووضع الإمام في السجن وأراد أن يقتله كذلك، ولكنه فشل وخاب سعيه، واستمرت القافلة حتى وصلت إلى طوس ونزلوا في دار حميد بن قحطبة الطائي الواقعة في قرية سناباد نوقان والتي فيها قبر هارون الرشيد وعليه قبّة.

وروى أبو الصلت الهروي أنّ الرضا عليه السلام قال له: «غداً أدخل على هذا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٤٤، الباب ٤٩ ح ١، وعنه في بحار الأنوار ٤٩: ٢٨٥، الباب ١٩.

(٢) سرخس: مدينة في شمال شرق إيران، قرب الحدود مع دولة تركمنستان.

(الفاجر) فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس فكلمني أكلمك، وإن خرجت وأنا مغطي الرأس (برداي) فلا تكلمني!!، فلما أصبحنا..... دخل على المأمون، وكان المأمون بين يديه أطباق فواكه ومنها طبق عليه عنب ومنه عنقود بيده، قد أكل بعضه وبقي بعضه، فلما أبصر بالرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه وقبل ما بين عينيه، وأجلسه معه ثم ناوله العنقود وقال له: يا بن رسول الله، ما رأيت عنباً أحسن من هذا! كل منه، فقال له الرضا عليه السلام: تعفيني منه، فقال: لا بد من ذلك! وما ينمك منه! لعلك تتهمنا بشيء! فتناول المأمون العنقود فأكل منه! ثم ناوله الرضا فأكل منه ثلاث حبات ثم رمي به (من يده إلى الطبق) وقام! فقال المأمون: إلى أين؟! فقال: إلى حيث وجهتني! ثم غطى رأسه (بردائه) فلم اكلمه حتى دخل الدار....^(١).

شهادة الرضا عليه السلام في طوس

ذكر معظم المؤرخين والرواة أنَّ المأمون هو الذي أمر بدس السم للإمام في العنب، وقدمه إلى الإمام وأمره أن يأكل منه، وفي رواية أخرى أمر المأمون غلامه عبدالله بن بشير أن يدس السم في الرمان بأظافره المسمومة ثم قدّمه إلى الإمام، وبذلك استشهد الإمام في طوس، قرية سناباد نوقان في آخر شهر صفر سنة ٢٠٣ من الهجرة^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٧١، الباب ٦٣ ح ١.

(٢) لقد اختلف المؤرخون في تعيين يوم شهادته بين أوائل شهر صفر كما عليه المسعودي في التنبيه والإشراف: ٣٠٣ وبين آخر صفر كما عليه الطبرسي في إعلام الوري ٢: ٨٠-٨٦ والعصفري البصري في تاريخ خليفة ٣١٢، واكتفى الكليني والشيخ المفيد بشهر صفر بطوس (أصول الكافي ١: ٤٨٦، الإرشاد ٢: ٤٤٧)، كما في موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٨، عهد الرضا.

وروى أبو الصلت الهروي أنَّ ابن الرضا عليه السلام الإمام الجواد عليه السلام جاء من المدينة بأمر الله سبحانه، وحضر جنازة أبيه وغسله وكفنه وصلى عليه، ولم يعلم المأمون ولا أعوانه بذلك^(١).

وأظهر المأمون الحزن الشديد على وفاة الإمام، وتباكت عيناه وخرج حافياً يضرب على رأسه ويقبض على لحيته ويقول: «ما أدري أيّ المصيبتين أعظم عليّ: فقدي لك وفراقي إياك، أو تهمة الناس لي أنني اغتلتك وقتلتك...»، وأخفى المأمون موت الإمام عليه السلام يوماً وليلة، وبعد ذلك شيع جثمانه في حشد كبير من الناس لم تشاهد خراسان مثيلاً له في جميع أدوار تاريخها، وجيء بالجثمان الطاهر إلى قرية سناباد، وأمر المأمون بحفر قبر له في جهة القبلة من قبر أبيه هارون الرشيد، وواراه فيه، وأقام عند قبره ثلاثة أيام!^(٢)

وسئل المأمون عن السبب من دفن الإمام بالقرب من قبر أبيه فأجاب: «ليغفر الله لهارون بجواره للإمام الرضا عليه السلام»، وقد فند ذلك شاعر أهل البيت عليه السلام دعبل الخزاعي إذ يقول: جاءني خبر موت علي الرضا عليه السلام وأنا بقم وقلت قصيدتي الرائية في مرثيته عليه السلام:

أرى أمية معذورين إن «قتلوا»	ولا أرى لبني العباس من عذرا!
أربع بطوس على قبر الزكي بها	إن كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس: خير الناس كلهم	وقبر شرهم، هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا	على الزكي بقرب الرجس من ضرر

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٧١، الباب ٦٣ ح ١.

(٢) راجع تاريخ يعقوبي ٢: ٤٤٣، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٦٩، الباب ٦٢ ح ١.

هيهات كل امرئٍ رهن بما كسبت له يده فخذ ماشئت أو فذر

نقل أنّه لما وصل خبر هذه الأبيات إلى المأمون ضرب عمامته على الأرض
وقال: صدقت والله يا دعبل.

ومات ابن لدعبل يدعى «أحمد» فرثاه بقصيدة وأردفها بأبيات في
رثاء الرضا عليه السلام ومنها:

ألا أيّها القبر الغريب محلّه بطوس، عليك الساريات هتون
شككت فما أدري أمسقي شربة فأبكيك؟ أم ريب الردى فيهون؟
وأيّهما ما قلت، إن قلت شربة وإن قلت موت، إنّّه لقمين!
فيا عجباً منهم يسمّونك «الرضا» ويلقاك منهم كلحة وغصون

وقدرثاه علي بن عبد الله الخافي في أبيات منها:

يا أرض طوس سقاك الله رحمته ماذا ضمنت من الخيرات يا طوس
طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها شخصٌ ثوى بسناباد مرموس

الملحق

حديث كربلاء

كتاب يتناول بإيجاز مقتل الإمام الحسين عليه السلام
ومصارع أهل بيته عليهم السلام وأصحابه رضي الله عنهم
وقد أعد ليقرأ في يوم عاشوراء

مقتبس من مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرّم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الوقائع والحوادث في تاريخ البشر ليست على حدّ سواء، فلا بُدَّ أن ينظر إليها بحسب محتواها وتأثيرها على المجتمع البشري وتاريخه، وحادثة كربلاء وملحمة عاشوراء هي من إحدى الحوادث المهمة التي أثّرت على المجتمع الإسلامي وغيّرت مجرى تاريخ الإسلام في الماضي والحاضر.

لقد بقيت واقعة كربلاء وحادثة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام محلّ اهتمام العديد من المؤرخين والعلماء والكتاب وغيرهم، طوال العصور، وألفت الكثير من الكتب في هذا المجال، حتى ظهر ما يسمى بكتب (المقاتل) التي تدور أحداثها حول مقتل سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته الأطهار وأصحابه الأخيار، من قبيل (مقتل أبي مخنف)، وغيره من كتب المقاتل. ومن كتب المقاتل المتأخرة التي لفت انتباهي، كتاب (مقتل الحسين

عليه السلام) للعالم الفاضل المرحوم السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم، لما تميّز به من الدقة العلمية، وسلامة التعبير، والتسلسل الجيد للموضوعات، فجزى الله مؤلفه خير الجزاء بما أجهّد نفسه في جمعه وتأليفه.

وقد قام المحقق الفاضل أستاذي المحترم فضيلة الشيخ محمود درياب (دام عزه) بمبادرة، إذ استخرج من كتاب المقتل المذكور كل ما يتعلق بأحداث يوم عاشوراء، فضمّها في مجموعة قيّمة فجّزاه الله خير الجزاء.

وقد استفدت من تجربة سماحته في ذلك، فقامت بتنظيم وإعداد حوادث يوم عاشوراء من المقتل المذكور من جديد، وذلك على الأسس التالية ليصبح مقتلاً موجزاً يقرؤه الخطيب الحسيني يوم عاشوراء:

١- ذكر الحوادث المهمة في ذلك اليوم استناداً إلى أمهات المصادر التاريخية المعتبرة.

٢- العمل على تبسيط اللغة المستخدمة في المقتل من خلال:

أ) توضيح معاني بعض الكلمات الغريبة، بالرجوع إلى المعاجم اللغوية.

ب) تشكيل كلمات أغلب الجمل بالحركات الإعرابية، تيسيراً على

القارئ.

٣- الابتعاد عن التطويل في سرد المقتل، ولذا قد يلاحظ القارئ الكريم

أننا قد انتقينا بعض مصارع الأصحاب وأغلب مصارع الآل وذكرنا كافة

التفاصيل المتعلقة بمقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ليناسب الإلقاء في يوم

عاشوراء من دون أن يعني ذلك المساس بصلب الموضوع.

٤- إضافة ما يحتاجه قارئ المقتل الحسيني من الأشعار سواء القريض منها

أو الشعبي، وذلك مما هو متداول عند الخطباء قراءتها.

ومن منطلق الأهداف المنشودة والمسئولية تجاه المخاطب المسلم العربي من مختلف المذاهب للتعرف على نهضة الإمام الحسين عليه السلام، واهدافها وشخصياتها البطولية الذين ضحوا بأنفسهم لإحياء الدين، قُمنّا بتدوين هذا المقتل شاكرين كل من ساهم في إنجازه وإخراجه بهذه الحلة القشبية، وماتوفيقنا إلا بالله العلي العظيم.

وأخيراً، نسأل الباري عز وجل أن يتقبل منا هذا الجهد القليل، ويوصل ثوابه إلى شهداء كربلاء جميعاً لاسيما سيّد شهدائها أبي عبدالله الحسين وأهل بيته عليه السلام، ونسأله أن يرزقنا زيارتهم في الدنيا وشفاعتهم في العقبى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين عليه السلام وصحبه الأخيار المنتجبين.

قم المقدسة - محرم الحرام ١٤٣١ هـ

الشيخ أيوب الحائري

تعليق

كربلاء حديث خالد وحرارة لا تبرد

قال رسول الله ﷺ: «إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»^(١).

سألت زينب الكبرى أباها عند دنوِّ أجله وقالت: يا أبة حدثني أم أيمن بحديث كربلاء وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال عليّ السلام: «يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، كأي بك وينساء أهلك سبباً بهذا البلد أذلاء خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس فصبراً صبرا فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم...»^(٢).

إنَّ حديث كربلاء وملحمة عاشوراء، حديث خالد وحرارة لا تبرد أبداً لأنَّه حديث الإنسان المصلح والعارف المستعدَّ للشهادة ولقاء المحبوب، حديث قتل ابن بنت رسول الله، وبه يتذكَّر الإنسان تلك التضحيات في سبيل الله، وما جرى على أبي عبد الله الحسين عليّ السلام مع ثلَّة من أهل بيته الأطهار وأنصاره

(١) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٢١٧.

(٢) كامل الزيارات: ٢٦٥ ب ٨٨، بحار الأنوار: ٢٨: ٦٠ ب ٢.

الأخيار في سبيل الدِّفاع عن مبادئ الإسلام ورسالته المحمدية الحقّة، فكان بقاء الشريعة الإسلامية برسولها ورسالتها باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام كما قال كاشف الغطاء: إنّ الإسلام محمدي الحدوث وحسيني البقاء.

وحري بالمسلمين جميعاً، بل كلّ إنسان حرّاً ان يقتدي بهذه النهضة الحسينية المباركة في محاربة الظالمين في أي مكان وزمان، كما فعل الشعب الإيراني المسلم بقيادة الإمام الخميني الراحل واطاح بالنظام الطاغية البهلوي، وكان كل ذلك ببركة نهضة الحسين عليه السلام، حيث كان الامام الراحل يقول: «كل ما عندنا هو من محرم وصفر»، وكما اقتدى الشعب المقاوم اللبناني بنهضة الحسين عليه السلام وهزم الكيان الصهيوني من بلاده، وقد استلهم الشعب الفلسطيني الدروس من الثورة الإسلامية واستفاد من تجربة المقاومة وأخذ يقاوم الاحتلال الإسرائيلي بعزم وصلابة لا مثيل لها في تاريخ الصّراع مع الكيان الغاصب، وهكذا لو اقتدى أيّ شعب مظلوم بثورة الحسين لفاز وانتصر على عدوّه.

عظمة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام

قد يتساءل البعض حول السرّ في عظمة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، دون سائر المصائب مع أهميتها وعظمتها؟

للإجابة على هذا التساؤل لابدّ من إدراك حجم المسؤولية الكبيرة التي كانت ملقاة على كاهل الحسين عليه السلام، حيث كان يرى بأنّ عينه ما كان يتعرض له الإسلام من تحريف وتشويه وتزوير.

فكانت مسؤولية الحسين عليه السلام عظيمة في تلك المرحلة التاريخية الصعبة من تاريخ الإسلام، حيث توقف الحفاظ على خط الأنبياء ورسالتهم من الانحراف على حجم التضحيات التي سببها الحسين عليه السلام.

وبالفعل كانت التضحيات عظيمة، فسالت دماؤه الطاهرة ودماء أهل بيته وأصحابه، على ثرى كربلاء، لتستمر مسيرة الأنبياء وتكون كلمة الله هي العليا، ولذلك ورد في الحديث عن أبي عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ، واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام، واليوم الذي قُتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام، واليوم الذي قُتل فيه الحسن عليه السلام، بالسم؟

فقال عليه السلام: «إنَّ يوم قتل الحسين عليه السلام، أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام وذلك أنَّ أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله كانوا خمسة، فلما مضى منهم النبي ﷺ بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة عليها السلام بقي أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة، فلما قُتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة»^(١).

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٩ نقلاً عن علل الشرايع للصدوق: ٢٢٦.

البكاء على الحسين عليه السلام وزيارته

إنَّ من يقرأ أو يسمع تفاصيل مصيبة الحسين عليه السلام يتألم من غير اختيار، حتى لو لم يكن متمسكاً بدين.

وقد حدث أئمتنا عليهم السلام عن ثواب البكاء على هذه المصيبة في نصوص كثيرة، ذكرها علماؤنا في كتبهم، وذلك لتبقى هذه الذكرى خالدة أبداً، لسرِّ يعلمه الله تعالى، ومن هذه النصوص ما ورد: عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «من تذكَّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكَّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يُحْيى فيه أمرنا لم يمِت قلبه يوم تموت القلوب»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «أَيُّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام، دمعة حتّى تسيل على خدّه بوّاه الله بها في الجنة غرّاً يسكنها أحقّاباً، وأَيُّما مؤمن دمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه لأذَى مسّنا من عدوّنا في الدنيا بوّاه الله مَبوّاً صدق في الجنّة، وأَيُّما مؤمن مسّه أذَى فينا فدمعت عيناه حتّى يسيل دمه على خدّيه من مضاضة ما أُوذِيَ فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»^(٢).

ولقد نالت زيارة الإمام الحسين عليه السلام مكانة مهمّة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، من خلال الحثّ عليها في شتى المناسبات، ومختلف الأحوال. والمطالع لكتاب (مفاتيح الجنان) لمؤلفه الشيخ عباس القمي رحمه الله، يلاحظ ذلك

(١) نفس المهموم ص ٣٩، نقلاً عن البحار ج ٤٤، ص ٢٧٨ نقلاً عن الأمل للصدوق.

(٢) نفس المهموم ص ٤١، عن البحار ج ٤٤، ص ٢٨١، عن كامل الزيارات: ص ١٠٠.

الكمّ الهائل من الزيارات المختصّة بسبط رسول الله ﷺ، سواء المطلقة منها أو المخصوصة.

وتأتي في مقدمة تلك الزيارات، زيارته ﷺ في يوم عاشوراء، وقد بلغ من شدة التأكيد عليها، أنها تقرأ من قرب عند المقام الشريف أو بعد في أي بقعة من الأرض على السواء، فعن أبي عبد الله ﷺ قال: «من زار الحسين ﷺ يوم عاشوراء وجبت له الجنة»^(١).

قراءة المقتل يوم عاشوراء

حيث أنّ نهضة الإمام الحسين ﷺ هي التي فرّقت بين الحق والباطل، وكانت من أهم وسائل الإصلاح، وإحياء معالم الدين، وحفظ المذهب، كان أهل البيت عليهم السلام يتحرّون أساليب مختلفة من البيان توجب توجيه النفوس نحو المجالس الحسينية، وتحريض شيعتهم على عقد المحافل لذكرى هذه الحادثة الخالدة، لاسيّما يوم عاشوراء حيث يتأكد فيه قراءة مقتل الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ومقاتل أصحابه رضوان الله عليهم، عملاً بقول الإمام الصادق عليه السلام لفضيل: «تجلسون وتتحدّثون؟ قال: نعم، جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل رحم الله من أحيى أمرنا»^(٢)، ولذا نرى علماؤنا الكرام من صدر الإسلام إلى يومنا هذا، قد ألّفوا المقاتل العديدة التي تروي واقعة كربلاء من مصادرها الأصيلة، وحثّوا المسلمين عامّة والشيعية خاصّة لقراءتها والجلوس يوم عاشوراء لإستماع حديثها:

(١) تهذيب الأحكام: ٦: ٥١، وكامل الزيارات: ١٧٤.

(٢) قرب الإسناد للحميري ص ١٨، وعنه في وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٣١٩.

حديث كربلاء

(نصُّ المقتل)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين، ولا سيما مولانا بقية الله في الأرضين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك.
عليك مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم.

السلام على الحسين.

وعلى علي بن الحسين.

وعلى أولاد الحسين.

وعلى أصحاب الحسين^(١).

- أعظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليه السلام^(٢).

(١) من زيارة عاشوراء.

(٢) كامل الزيارات: ١٧٤، عن الإمام الباقر عليه السلام، وفي مصباح المتعبد: ٧٧٢، وبحار الأنوار ٩٨: ٢٩٠ ب ٢٤.

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

لما أصبح الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وصلى بأصحابه صلاة الصبح، قام خطيباً فيهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله تعالى قد أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال»^(١) ثم صَفَّهم للحرب، وكانوا اثنين وثمانين فارساً وراجلاً فجعل زهير بن القين في الميمنة، وحبيب بن مظاهر في الميسرة^(٢) وثبت هو عليه السلام وأهل بيته في القلب^(٣)، وأعطى رايته أخاه العباس عليه السلام^(٤). وأمر عليه السلام بحطب وقصب كان من وراء البيوت أن يترك في خندق كان قد حفر هناك وأن يحرق بالنار، مخافة أن يأتوهم من ورائهم^(٥). وأقبل عمر بن سعد نحو الحسين عليه السلام في ثلاثين ألفاً، وجعل على الميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن العامري، وعلى الخيل عذرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجالة شبت بن رباعي، والراية مع مولاة دريد^(٦). ولما نظر الحسين عليه السلام إلى جمعهم كأنه السيل، رفع يديه بالدعاء وقال: «اللهم أنت ثقتي في كل كزب، ورجائي في

(١) إثبات الوصية ص ١٦٣، وكامل الزيارات ص ٧٣.

(٢) الإرشاد للمفيد ص ٢٣٣.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤.

(٤) تاريخ الطبري ج ٣، ص ٣١٧.

(٥) الإرشاد للمفيد ص ٢٣٣.

(٦) تاريخ الطبري ج ٣، ص ٣١٧.

كُلَّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةً وَعُدَّةً...»^(١).

ثم دعا براحلته فركبها ونادى بصوتٍ عالٍ يَسْمَعُهُ جُلُوهُمْ^(٢):

«أَيُّهَا النَّاسُ انْسِبُونِي مَنْ أَنَا، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُوها،
وَانْظُرُوا هَلْ يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي وَانْتِهَاكُ حُرْمَتِي؟ أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ،
وَابْنَ وَصِيِّهِ وَابْنَ عَمِّهِ، وَأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُصَدِّقِ لِرَسُولِهِ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ
رَبِّهِ؟ أَوَلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عَمَّ أَبِي؟ أَوَلَيْسَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ عَمِّي؟ أَوَلَمْ
يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ لِي وَلِأَخِي: هَذَا ابْنُ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ أَمَا فِي هَذَا
حَاجَزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي؟»^(٣).

وقال في خطبة أخرى: «أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ بْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ
السِّلَّةِ (٤) وَالذِّلَّةِ، وَهِيَ هَاتِ مَنَا الذِّلَّةِ، يَا أَبَى اللَّهِ لَنَا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ،
وَحُجُورٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طَاعَةَ
اللِّثَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ، أَلَا وَإِنِّي زَاخِفٌ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ، مَعَ قَلَّةِ الْعَدَدِ
وَحَذَلَانِ النَّاصِرِ»^(٥).

توبة الحرّ

وَلَمَّا سَمِعَ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدِ الرِّيَاحِي كَلَامَهُ وَاسْتَعَاثَتَهُ، أَقْبَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦١.

(٢) المقتل للمقرّم ص ٣٧٣.

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣١٩، الخطبة الأولى للإمام الحسين عليه السلام.

(٤) السِّلَّةُ بكسر السين وتشديد اللام بمعنى استلال السيوف، وكناية عن الحرب والقتال.

(٥) من خطبة الحسين عليه السلام الثانية، اللهوف ص ٩٦، والمقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٦.

سعد، وقال له: أُمُقَاتِلْ أَنْتَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ قِتَالًا أَيْسَرُهُ أَنْ تَسْقُطَ فِيهِ الرُّؤُوسُ، وَتَطِيحَ الْأَيْدِي، قَالَ: مَا لَكُمْ فِيمَا عَرَضَهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخِصَالِ؟ فَقَالَ: لَوْ كَانَ الْأَمْرُ إِلَيَّ لَقَبِلْتُ، وَلَكِنَّ أَمِيرَكَ أَبِي ذَلِكَ، فَتَرَكَهُ وَوَقَفَ مَعَ النَّاسِ. فَأَخَذَ الْحُرُّ يَدْنُو مِنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَلِيلًا قَلِيلًا، فَقَالَ لَهُ الْمُهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ: أَتُرِيدُ أَنْ تَحْمِلَ؟ فَسَكَتَ، وَأَخَذَتْهُ الرُّعْدَةُ^(١)، فَارْتَابَ الْمُهَاجِرُ مِنْ هَذَا الْحَالِ، وَقَالَ لَهُ: لَوْ قِيلَ لِي، مَنْ أَشْجَعُ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَمَّا عَدَوْتُكَ؟ فَمَا هَذَا الَّذِي أَرَاهُ مِنْكَ؟ فَقَالَ الْحُرُّ: إِنِّي أَخَيَّرْتُ نَفْسِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَاللَّهِ لَا أَخْتَارُ عَلَى الْجَنَّةِ شَيْئًا، وَلَوْ أُحْرِقْتُ. ثُمَّ ضَرَبَ جَوَادَهُ نَحْوَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢) مُنْكَسًا رُمَحَهُ، قَالِبًا ثَرَسَهُ^(٣)، وَقَدْ طَاطَأَ بِرَأْسِهِ حَيَاءً مِنْ آلِ الرَّسُولِ، بِمَا أَتَى إِلَيْهِمْ، وَجَعَجَعَ^(٤) بِهِمْ فِي هَذَا الْمَكَانِ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ وَلَا كَلَاءٍ^(٥)، رَافِعًا صَوْتَهُ:

«اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أُنِيبُ، فَتُبْ عَلَيَّ، فَقَدْ أَرْعَبْتُ قُلُوبَ أَوْلِيَائِكَ، وَأَوْلَادِ نَبِيِّكَ، يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنِّي تَائِبٌ، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟».

قال الحسين عليه السلام: «نعم يتوب الله عليك...»^(٦).

(١) الرُّعْدَةُ بكسر الراء وسكون العين الاضطراب يكون من الفزع وغيره، (المنجد).

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٢٠.

(٣) الثَّرَسُ بضم التاء صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه، (المنجد).

(٤) جعجع بالغريم أي طالبه وضيق عليه، المنجد.

(٥) الكَلَاءُ جمعه أكلاء بمعنى العشب رطبه ويابس، (المنجد).

(٦) اللهوف على قَتْلَى الطفوف ص ١.

مقاتل أصحاب الحسين عليه السلام

وتقدّم عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ نحوَ عسكرِ الحسين عليه السلام، ورَمَى بِهِمْ، وقال: اشهدوا لي عند الأمير أنني أولُ مَنْ رَمَى، ثُمَّ رَمَى النَّاسُ، فلم يَبْقَ مِنْ أَصْحَابِ الحسينِ أَحَدٌ إِلَّا أَصَابَهُ مِنْ سِهَامِهِمْ^(١)، فقال عليه السلام لأصحابه: «قُومُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ السَّهَامُ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ» فَحَمَلَ أَصْحَابُهُ حِمْلَةً وَاحِدَةً^(٢)، وَاقْتَتَلُوا سَاعَةً، فَمَا انْجَلَتِ الْغُبْرَةُ إِلَّا عَنْ خَمْسِينَ صَرِيحاً^(٣).

ولما نظر الحسين عليه السلام إلى كثرة من قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ، قَبِضَ عَلَى شَيْبَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ وَصَاح: «أَمَا مِنْ مَغِيثٍ يُغِيثُنَا، أَمَا مِنْ ذَابٍّ يَذْبُ عَنْ حُرْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» فَبَكَتِ النِّسَاءُ، وَكَثُرَ صُرَاخُهُنَّ. وَأَخَذَ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ قَلَّ عَدَدُهُمْ، وَبَانَ النِّقْصُ فِيهِمْ، يَبْرُزُ الرَّجُلُ بَعْدَ الرَّجُلِ، فَأَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ.

مسلم بن عوسجة

فَحَمَلَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ مِنَ نَحْوِ الْفُرَاتِ، فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً، وَفِيهَا قَاتَلَ مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ، فَشَدَّ عَلَيْهِ مُسْلِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضُّبَابِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُشْكَارَةَ الْبَجَلِيُّ، وَثَارَتْ لَشِدَّةُ الْجِلَادِ^(٤) غُبْرَةً شَدِيدَةً، وَمَا انْجَلَتِ الْغُبْرَةُ إِلَّا وَمُسْلِمٌ صَرِيحٌ، وَبِهِ رَمَقٌ، فَمَشَى إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ وَمَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَبِيبُ بْنُ مُظَاهَرٍ فَقَالَ لَهُ

(١) المقتل للمقرم ص ٢٨٦ نقلاً عن مقتل العوالم ص ٨٤.

(٢) اللهوف على قتلى الطفوف ص ١٠١.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢ نقلاً عن محمد بن أبي طالب.

(٤) الجِلاَد بِكَسْرِ الْجِيمِ الْمُضَارَبَةُ بِالسَّيْفِ، (المنجد).

الحسين عليه السلام: «رَحِمَكَ اللَّهُ يَا مُسْلِم»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(١).

ودنا منه حبيبٌ وقال: عَزَّ عَلَيَّ مَصْرَعُكَ يَا مُسْلِمُ أَبَشِّرْ بِالْجَنَّةِ.

فقال بصوتٍ ضعيفٍ: بِشْرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ.

قال حبيبٌ: لو لم أَعْلَمْ أَنِّي فِي الْأَثَرِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ تُوصِيَنِي إِلَيَّ بِمَا أَهَمَّكَ.

فقال مسلمٌ: أوصيك بهذا وأشار إلى الحسين عليه السلام، أن تموتَ دونه.

قال: أَفْعَلُ، وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، وفاضت روحه بينهما.

حبيب بن مظاهر

ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَبِيبٌ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ عَلَى كِبَرِهِ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ رَجُلًا، وَحَمَلَ عَلَيْهِ بُدَيْلُ بْنُ صُرَيْمٍ فَضْرِبَهُ بِسَيْفِهِ، وَطَعَنَهُ آخَرَ مِنْ تَمِيمٍ بِرَمْحِهِ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ، فَذَهَبَ لِيَقُومَ وَإِذَا الْحُصَيْنُ بْنُ تَمِيمٍ يَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ، فَسَقَطَ لَوَجْهِهِ، وَنَزَلَ إِلَيْهِ التَّمِيمِيُّ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ.

فهدَّ مقتله الحسين عليه السلام، فقال: «عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ نَفْسِي وَحُمَاةَ

أَصْحَابِي»^(٢)، ثم قال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

الحُرُّ بْنُ يَزِيدَ الرِّيَّاحِيِّ

وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ الرِّيَّاحِيِّ وَمَعَهُ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ يَحْمِي ظَهْرَهُ،

(١) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧٠ و ٧١، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٢٧.

وَجَعَلَ يُقَاتِلُ رَاجِلاً حَتَّى قَتَلَ نِيفاً وَأَرْبَعِينَ^(١)، ثُمَّ شَدَّتْ عَلَيْهِ الرِّجَالَةُ فَصَرَعَتْهُ، وَحَمَلَهُ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَوَضَعُوهُ أَمَامَ الْفِسْطَاطِ الَّذِي يَقَاتِلُونَ دُونَهُ. وَهَكَذَا يُوْتَى بِكُلِّ قَتِيلٍ إِلَى هَذَا الْفِسْطَاطِ، وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «قَتَلْتُ مِثْلَ قَتْلَةِ النَّبِيِّينَ وَآلِ النَّبِيِّينَ»^(٢)، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْحُرِّ، وَكَانَ بِهِ رَمَقٌ، فَقَالَ لَهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْهُ: «أَنْتَ الْحُرُّ كَمَا سَمَّيْتُكَ أُمُّكَ، وَأَنْتَ الْحُرُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». وَرِثَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَقِيلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَقِيلَ إِنَّهَا مِنْ إِنْشَاءِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، خَاصَّةً^(٣):

لَنِعْمَ الْحُرُّ حُرُّ بَنِي رِيَّاحٍ صَبُورٌ عِنْدَ مُشْتَبَكِ الرِّمَاحِ
وَنِعْمَ الْحُرُّ إِذْ فَادَى حُسَيْنًا وَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ

صلاة الخوف (القصر)

والتفت أبو ثمامة الصائدي إلى الشمس قد زالت، فقال للحسين عليه السلام: نفسي لك الفداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، لا والله لا تُقْتَلُ حَتَّى أُقْتَلَ دُونَكَ، وَأُحِبُّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَقَدْ صَلَّيْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ الَّتِي دَنَا وَقْتُهَا، فَرَفَعَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «ذَكَرْتَ الصَّلَاةَ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الذَّاكِرِينَ، نَعَمْ هَذَا أَوَّلُ وَقْتِهَا، سَلُّوهُمْ أَنْ يَكْفُؤُوا عَلَيْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ». وَقَامَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقِيلَ إِنَّهُ صَلَّى بِمَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٠٠.

(٢) المقتل للمقرم ص ٢٩٦.

(٣) روضة الواعظين ص ١٨٦، والأمالى للصدوق ص ١٣٧ مجلس ٣٠.

صلاة الخوف، وتقدّم أمامه زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي في نصف من أصحابه^(١)، ويقال إنه صلى وأصحابه فرادى بالإيماء^(٢).

ولما فرغ الحسين عليه السلام من الصلاة، قال لأصحابه: «يا كرام هذه الجنة قد فتحت أبوابها، واتصلت أنهارها، وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم، ويتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله ودين نبيه، ودُّبُّوا عن حرم الرسول».

فقالوا: نفوسنا لنفسك الفداء، ودمائنا لدمك الوقاء، فوالله لا يصل إليك وإلى حرمك سوءٌ وفينا عرقٌ يضرب^(٣).

زهير بن القين

وخرج سلمان بن مضارب البجلي وكان ابن عم زهير بن القين، فقاتل حتى قُتل، وخرج بعده زهير بن القين فوضع يده على منكب الحسين عليه السلام مستأذناً، فأذن له الحسين عليه السلام، وأخذ يقاتل ويرتجز ويقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين

فقتل منهم مقتلة، ثم عطف عليه كثير بن عبد الله الصعبي والمهاجر بن أوس فقتلاه^(٤)، فوقف الحسين عليه السلام وقال: «لا يُبعدنك الله يا زهير، ولعن قاتليك لعن الذين مسخوا قرده وخنازير»^(٥).

(١) المقتل للمقرم ص ٢٩٦ نقلاً عن مقتل العوالم ص ٨٨، ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ١٧.

(٢) مثير الأحزان لابن نما ص ٦٥.

(٣) أسرار الشهادة ص ٢٨٣.

(٤) تاريخ الطبري ج ٣، ص ٣٢٧ و ٣٢٨.

(٥) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٠.

جَوْن

ووقف جَوْن مولى أبي ذر الغفاري أمام الحسين عليه السلام يستأذنه فقال عليه السلام: «يا جَوْن، إِنَّمَا تَبَعْتَنَا طَلَبًا لِلْعَافِيَةِ، فَأَنْتَ فِي إِذْنٍ مِنِّي»، فَوَقَعَ عَلَى قَدَمَيْهِ يُقَبِّلُهُمَا، ويقول: أَنَا فِي الرَّخَاءِ الْحَسُّ^(١) قِصَاعَكُمْ، وَفِي الشَّدَةِ أَخَذُكُمْ! إِنَّ رِيحِي لَنَتْنٍ، وَحَسْبِي لِلَّيْمِ، وَلَوْنِي لِأَسْوَدَ فَتَنْفَسُ عَلَيَّ بِالْجَنَّةِ، لِيَطِيبَ رِيحِي، وَيَشْرُفَ حَسْبِي، وَيَبْيَضَّ لَوْنِي، لَا وَاللَّهِ لَا أَفَارُقُكُمْ حَتَّى يَخْتَلِطَ هَذَا الدَّمُ الْأَسْوَدُ مَعَ دِمَائِكُمْ^(٢).

فأذن له الحسين عليه السلام، فقتل خمسة وعشرين، وقُتِلَ.

فوقف عليه الحسين عليه السلام، وقال: «اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ، وَطَيِّبْ رِيحَهُ، وَاحْشُرْهُ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَرِّفْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلِ مُحَمَّدٍ».

فكان مَنْ يُمِيزُ بِالْمَعْرَكَةِ يَشُمُّ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً أَزْكَى مِنَ الْمِسْكِ^(٣).

عَمْرُو بْنُ جُنَادَةَ

وجاء عَمْرُو بْنُ جُنَادَةَ الْأَنْصَارِيَّ بعد أَنْ قُتِلَ أَبُوهُ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، يَسْتَأْذِنُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَبَى، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَذَا غُلَامٌ قُتِلَ أَبُوهُ فِي الْحَمَلَةِ الْأُولَى وَلَعَلَّ أُمَّهُ تَكْرَهُ ذَلِكَ»، فَقَالَ الْغُلَامُ: إِنَّ أُمَّيْ أَمَرْتَنِي، فَأَذِنَ لَهُ فَبَرَزَ وَهُوَ يقول:

(١) لَحَسَ الْقِصْعَةَ أَيَّ لَعَقَهَا وَأَخَذَ مَا عُلِقَ بِجَوَانِهَا بِلِسَانِهِ أَوْ بِإِصْبَعِهِ، (المنجد).

(٢) اللُهَوفُ عَلَى قَتْلِ الطُّفُوفِ ص ٤٧.

(٣) المقتل للمقرم ص ٣٠٥ نقلاً عن مقتل العوالم ص ٨٨.

أميري حسينٌ ونعمَ الأميرُ سرورُ فؤادِ البشيرِ النذيرِ
عليّ وفاطمةُ والداه فهل تعلمونَ له من نظيرِ

فما أسرعَ أن قُتِلَ، ورُمي برأسِه إلى جِهَةِ الحسينِ عليه السلامُ، فأخذتهُ أمُّه،
ومسحتِ الدَّم عنه...^(١)، وعادتْ إلى المَحَيِّمِ فأخذتْ عموداً، وقيل سيفاً،
وأنشأت:

إني عَجوزٌ في النسا ضَعيفة خاويةٌ باليةٌ نحيفة
أضربُكم بضربةٍ عنيفة دُون بني فاطمةَ الشريفة

فَرَدَّهَا الحسينُ عليه السلامُ، إلى الخَيْمَةِ بَعْدَ أَنْ أَصَابَتْ بِالْعَمُودِ رَجُلَيْنِ^(٢).

الغلام التركي

ثم تقدم غلامٌ تركي^(٣) فاستأذن الحسين عليه السلامُ في القتال فأذن له، فحمل
على القوم وقتل جماعة كثيرة، ثم وقع صريعاً، فاستغاث بالحسين عليه السلامُ، فأنه
واعتنقه وبكى عليه، ففتح الغلام عينه ورأى الحسين عليه السلامُ، فتبسَّم، وأخذ
يفتخر ويقول: «مَنْ مثلي وابنُ رسولِ الله واضعٌ خدَّه على خدي» ثم فاضت
نفسه بين يدي الحسين عليه السلامُ.

ولم يزل أصحاب الحسين عليه السلامُ يسارعون إلى القتل بين يديه، واقتتلوا
أشدَّ القتالِ^(٤)، وكان كلُّ من أراد الخروجَ ودَّع الحسين بقوله: السلام عليك

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤، ص ١٠٤، ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٢.

(٢) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٢، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٨.

(٣) كان الغلام للحرث المذحجي وقيل للإمام الحسين عليه السلام.

(٤) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣٠.

يا ابنَ رسولِ الله، فَيُجِيبُهُ الحُسَيْنُ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، وَنَحْنُ خَلْفُكَ»، ثُمَّ يَقْرَأُ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾^(١)، حَتَّى قُتِلُوا بِأَجْمَعِهِمْ ﷺ.

ولما رأى الحسين عليه السلام هؤلاء الأصحاب مجزَّرين كالأضاحي، تأثر لفقدهم. وكأني به بلسان الحال:

أحباي لو غير الحمام أصابكم	عتبت ولكن ما على الموت معتب
إلى الله أشكوا إلى الناس أشتكي	على الأرض أبقى والأخلاء تذهب

(١) المقتل للمقرم ص ٢٩٨، ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٥، والآية ٢٣ من سورة الأحزاب.

مقاتل بني هاشم

علي الأكبر عليه السلام

ولمّا لَمَّ يَتَقَّ مع الحسين عليه السلام، إلّا أهل بيته، عَزَمُوا على مُلاقاة الحُتُوفِ،
ببأسٍ شديدٍ، وحِفاظٍ مُرٍّ، ونفوسٍ أَيْبَةٍ، وأَقْبَلُ بعضهم يودِّعُ بعضاً^(١).

وأوّلُ مَنْ تقدَّمَ أبو الحسنِ عليّ الأكبر، وعمرُه سبع وعشرون سنة^(٢)،
وكان مِرآةَ الجمالِ النبوي، ومِثالَ خُلُقهِ السامي، فاستأذَنَ أباهُ، وَبَرَزَ مُرْتَجِزاً
مُعَرِّفاً بنفسِهِ القُدْسِيَّةِ وغَايَتِهِ السَامِيَّةِ قائلاً:

أنا عليّ بنُ الحسينِ بنِ علي نحنُ وَرَبِّ البَيْتِ أُولى بالنَبِيِّ
تالله لا يحكُمُ فينا ابنُ الدَّعي أَضْرِبُ بالسيفِ أُحامي عن أبي

ضَرَبَ غُلامٌ هاشِمِيٍّ قُرْشي^(٣)

ولم يَتَمالكِ الحسينُ عليه السلام، دونَ أَنْ أرْخى عَيْنَيْهِ بالدموع^(٤)، وصاحَ بِعَمَرَ
بنِ سعد: «مالك؟ قَطَعَ اللهُ رَحِمَكَ كما قَطَعْتَ رَحِمِي، ولم تَحْفَظْ قَرابَتِي مِنْ
رسولِ اللهِ ﷺ وَسَلَّطَ عَلَيْكَ مَنْ يَذْبَحُكَ على فِرَاشِكَ»^(٥).

(١) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٦، ومثير الأحران لابن نما ص ٦٨.

(٢) ولد علي الأكبر في الحادي عشر من شعبان سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة.

(٣) الإرشاد للمفيد ص ٢٣٨.

(٤) مثير الأحران لابن نما ص ٦٨.

(٥) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٠.

ثُمَّ رَفَعَ شَيْبَتَهُ الْمُقَدَّسَةَ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ، فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ أَشْبَهُ النَّاسِ بِرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ خُلُقًا وَخُلُقًا وَمَنْطِقًا»^(١)، وَكَثْنَا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى رُؤْيَا نَبِيِّكَ نَظَرْنَا إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ فَامْنَعِهِمْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، وَفَرِّقْهُمْ تَفَرِّيقًا وَمَزِّقْهُمْ تَمَزِّيقًا، وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قِدَادًا^(٢)، وَلَا تُرْضِ الْوَلَاةَ عَنْهُمْ أَبَدًا، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِنَنْصُرُونَا ثُمَّ عَدَوْا عَلَيْنَا يُقَاتِلُونَنَا، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى ضَجَّ أَهْلُ الْكُوفَةِ لِكَثْرَةِ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ^(٤)، فَلَمْ يُقَابِلْهُ جَحْفَلٌ إِلَّا رَدَّهُ، وَلَا بَرَزَ إِلَيْهِ شَجَاعٌ إِلَّا قَتَلَهُ.

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ، رَجَعَ إِلَى أَبِيهِ يَسْتَرِيحُ، وَيَذْكُرُ مَا أَجْهَدَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَبَكَى الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ: «وَا غُوثَاهُ، مَا أَسْرَعَ الْمُلتَقَى بِجَدِّكَ، فَيَسْقِيكَ بِكَأْسِهِ شَرْبَةً لَا تَظْمَأُ بَعْدَهَا»، وَدَفَعَ إِلَيْهِ خَاتَمَهُ لِيَضَعَهُ فِي فِيهِ^(٥).

وَرَجَعَ (عَلِيٌّ) إِلَى الْمِيدَانِ مُبْتَهَجًا بِالْبِشَارَةِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمِلَاقَةِ جَدِّهِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَزَحَفَ فِيهِمْ زَحْفَةَ الْعَلَوِيِّ السَّابِقِ، وَغَبَرَ وَجُوهَ الْقَوْمِ، وَلَمْ يَشْعُرُوا أَهْوَى (الْأَكْبَرُ) يَطْرُدُ الْجَمَاهِيرَ مِنْ أَعْدَائِهِ؟ أَمْ أَنَّ (الْوَصِيَّ) عَلَيْهِ السَّلَامُ يَزْأُرُ^(٦) فِي الْمِيدَانِ؟ أَمْ أَنَّ الصَّوَاعِقَ تَتْرَى فِي بَرِيقِ سَيْفِهِ؟

(١) ((التهوف على قتلى الطفوف ص ٤٩، ومقتل الخواري ج ٢ ص ٣٠.

(٢) ((طرائق قِدَادٍ أَي فِرْقًا مُخْتَلِفَةً الْأَهْوَاءِ، (المنجد).

(٣) ((سورة آل عمران: ٣٣ و ٣٤.

(٤) ((مقتل الخواري ج ٢ ص ٣٠.

(٥) ((مقتل الخواري ج ٢ ص ٣١، ومقتل العوالم ص ٩٥.

(٦) ((زَارَ الْأَسَدُ أَي صَاتَ مِنْ صَدْرِهِ، (المنجد).

فأكثَرَ القَتْلَى فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ^(١)، فَقَالَ مُرَّةُ بْنُ مُنْقِذِ الْعَبْدِيِّ^(٢): عَلَيَّ آثَامُ الْعَرَبِ إِنْ لَمْ أَثْكِلْ أَبَاهُ بِهِ^(٣)، فَطَعَنَهُ بِالرُّمْحِ فِي ظَهْرِهِ، وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ، فَفَلَقَ هَامَتَهُ، وَاعْتَنَقَ فَرَسَهُ فَاحْتَمَلَهُ إِلَى مُعَشَكِرِ الْأَعْدَاءِ، وَأَحَاطُوا بِهِ حَتَّى قَطَعُوهُ بِسُيُوفِهِمْ إِرْبًا إِرْبًا^(٤).

وَنَادَى رَافِعًا صَوْتَهُ: «عَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَذَا جَدِّي قَدْ سَقَانِي بِكَأْسِهِ شَرِبَةً لَا أَظْمَأُ بَعْدَهَا، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ لَكَ كَأْسًا مَذْخُورَةً»^(٥).

فَأَتَاهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَانْكَبَّ عَلَيْهِ وَاضِعًا خَدَّهُ عَلَى خَدِّهِ^(٦)، وَهُوَ يَقُولُ: «عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَا^(٧)، مَا أَجْرَاهُمْ عَلَى الرَّحْمَنِ وَعَلَى انْتِهَاكِ حَرَمَةِ الرَّسُولِ يَعِزُّ عَلَى جَدِّكَ وَأَبِيكَ أَنْ تَدْعُوهُمْ فَلَا يُجِيبُونَكَ، وَتَسْتَعِثَّ بِهِمْ فَلَا يُغِيثُونَكَ»^(٨).

وَأَمَرَ فِتْيَانَهُ أَنْ يَحْمِلُوهُ إِلَى الْخِيْمَةِ، فَجَاؤُوا بِهِ إِلَى الْفِسْطَاطِ الَّذِي يُقَاتِلُونَ أَمَامَهُ^(٩).

يَا كُوكِبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عُُمْرُهُ وَكَذَا تَكُونُ كُوكَبِ الْأَسْحَارِ

(١) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣١.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٤، ص ٧٤، والأخبار الطوال ص ٢٥٦.

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣١، ومناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٠٩.

(٤) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣١.

(٥) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣١، ومقتل العوالم ص ٩٥.

(٦) اللهوف على قتلى الطفوف ص ٤٩.

(٧) العفاء مصدر بمعنى التراب، المطر، دروس الديار، الهلاك، (المنجد).

(٨) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣١.

(٩) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣١، والإرشاد للمفيد ص ٢٣٩، والمقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٣١.

عبد الله بن مسلم

وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ عَقِيلٍ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأُمُّهُ رُقَيْةُ الْكُبْرَى بِنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١)، فَقَتَلَ جَمَاعَةً بِثَلَاثِ حَمَلَاتٍ^(٢). ورماه يزيد بن الرقاد الجهني فاتقاه بيده فسمّرها إلى جبهته فما استطاع أن يزيلها عن جبهته فقال: «اللهم إنهم استقلّونا واستدلّونا فاقتلهم كما قتلونا»، وبينما هو على هذا إذ حَمَلَ عليه رَجُلٌ بِرُمَحِهِ فَطَعَنَهُ فِي قَلْبِهِ، فقتله ﷺ^(٣).

حملة آل أبي طالب

وَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ حَمَلَ آلُ أَبِي طَالِبٍ حَمْلَةً وَاحِدَةً، فَصَاحَ بِهِمُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ يَا بَنِي عُمُومَتِي، وَاللَّهِ لَا رَأَيْتُمْ هَوَانًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ»^(٤)، فَوَقَعَ فِيهِمْ عَوْنُ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ، وَأُمُّهُ الْعَقِيلَةُ زَيْنَبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَخُوهُ مُحَمَّدٌ، وَأُمُّهُ الْخَوْصَاءُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَبْدُ اللَّهِ وَلَدَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ عَقِيلٍ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وأصابَتِ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى بْنَ الْإِمَامِ الْحَسَنِ السَّبِطِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَمَانِي عَشْرَةَ جِرَاحَةً، وَقُطِعَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى، وَلَمْ يُسْتَشْهِدْ. وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ، وَأُمُّهُ رَمْلَةٌ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ^(٥).

(١) المقتل للمقرم ص ٣١٧، ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣١.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٠٥.

(٣) الإرشاد للمفيد ص ٢٣٩، وجاء في تاريخ الطبري إن عمرو بن صبيح الصدائي رماه بسهم.

(٤) المقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٢٨.

(٥) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٤٣، وفيه أن قاتله هو عبد الله بن عقبة الغنوي.

القاسم بن الحسن عليه السلام

وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ (أخوه لأُمِّه وأبيه) القاسم، وهو غلامٌ لم يَبْلُغِ الحُلُمَ،
فلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ عليه السلام، اعْتَنَقَهُ وَبَكَى^(١)، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ، فَبَرَزَ كَأَنَّ وَجْهَهُ شِقَّةُ
قَمَرٍ، وَبَيْدَهُ السِّيفُ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ وَإِزَارٌ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ، فَمَشَى يَضْرِبُ
بِسَيْفِهِ، فَانْقَطَعَ شِسْعُ^(٢) نَعْلِهِ الْيُسْرَى، فَوَقَفَ يَشُدُّ شِسْعَ نَعْلِهِ.

وبينا هو على هذا إذ شَدَّ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ سَعْدِ بْنِ نُفَيْلٍ الْأَزْدِيُّ، فَقَالَ
لَهُ حُمَيْدُ بْنُ مُسْلِمٍ: وَمَا تُرِيدُ مِنْ هَذَا الْغَلَامِ؟ يَكْفِيكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
اِحْتَوَشُوهُ^(٣)، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَشُدُّنَّ عَلَيْهِ، فَمَا وَلَّى حَتَّى ضَرَبَ رَأْسَهُ بِالسِّيفِ،
فَوَقَعَ الْغَلَامُ لَوَجْهِهِ، فَنَادَى: يَا عَمَّاهُ.

وَأُجِلَّتِ الْغُبْرَةُ وَإِذَا الْحُسَيْنُ عليه السلام، قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ الْغَلَامِ، وَهُوَ يَفْحَصُ
بِرِجْلَيْهِ، وَالْحُسَيْنُ عليه السلام، يَقُولُ: «بَعْدًا لِقَوْمٍ قَتَلُوكَ، خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
جَدُّكَ».

ثُمَّ قَالَ: «عَزَّ وَاللَّهِ عَلَى عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوهُ فَلَا يُجِيبُكَ، أَوْ يُجِيبُكَ ثُمَّ لَا
يَنْفَعُكَ صَوْتُ، وَاللَّهِ كَثُرَ وَاتَرُهُ، وَقَلَّ نَاصِرُهُ»، ثُمَّ احْتَمَلَهُ وَكَانَ صَدْرُهُ عَلَى
صَدْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَرِجْلَاهُ يَخْطَانِ فِي الْأَرْضِ، فَأَلْقَاهُ مَعَ عَلِيِّ الْأَكْبَرِ وَقَتْلَى
حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ^(٤).

وروي أَنَّهُ قَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام: «...، صَبْرًا يَا بَنِي عُمُومَتِي، صَبْرًا يَا

(١) مقتل الخوارزمي ٢ ص ٢٧.

(٢) الشَّعْ: زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها، (المنجد).

(٣) احتوش القوم الرجل أي أحذقوا به وجعلوه في وسطهم، (المنجد).

(٤) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣١، ومقتل الخوارزمي ٢: ٢٧، والإرشاد للمفيد ص ٢٣٩.

أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد ذلك اليوم أبداً^(١)
 إن يبكه عمه حزناً لمصرعه فما بكى قمر إلا على قمر
 يا ساعد الله قلب السبط ينظره فرداً ولم يبلغ العشرين في العمر
 لابن الزكي ألا يا مقلتي انفجري من الدموع دماً يامهجتي انفطري
 مرملاً مذ رآته رملة صرخت يا مهجتي وسروري يا ضيا بصري

إخوة العباس عليه السلام

ولما رأى العباس عليه السلام كثرة القتل من أهله، قال لإخوته من أمه وأبيه
 عبد الله وعثمان وجعفر: تقدّموا يا بني أمي حتى أراكم نصحتكم الله ولرسوله،
 والتفت إلى عبد الله، وكان أكبر من عثمان وجعفر، وقال: تقدّم يا أخي
 حتى أراك قتيلاً وأحتسبك^(٢)، فقاتلوا بين يدي أبي الفضل عليه السلام حتى قتلوا
 بأجمعهم رحمه الله تعالى.

شهادة العباس عليه السلام

ولم يستطع العباس عليه السلام صبراً على البقاء، بعد أن فني صحبه وأهل
 بيته، ويرى أخاه الحسين عليه السلام مكثوراً^(٣) قد انقطع عنه المدد، ملاً مسامحه عويل
 النساء، وصراخ الأطفال من العطش، فطلب من أخيه الرخصة.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤١، الكامل ٤: ٧٤، الارشاد: ٤٦١، اللهوف: ١١٦.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٥٤.

(٣) المكثور أي المغلوب، وهو الذي كثر عليه الناس فقهره، (المنجد).

ولما كان العباسُ عليه السلام، أنفَسَ الذخائرَ عندَ الحسين عليه السلام، لأنَّ الأعداءَ تَحَذَرُ صَوْلَتَهُ وَتَرْهَبُ إِقْدَامَهُ، وَالْحَرَمُ مُطْمَئِنَّةٌ بِوُجُودِهِ، وَهِيَ تَنْظُرُ اللِّوَاءَ مَرْفُوعاً، فَلَمْ تَسْمَحْ نَفْسُ (أَبِي الضَّيْمِ) الْقُدْسِيَّةِ بِمُفَارَقَتِهِ^(١)، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: «يَا أَخِي، أَنْتَ صَاحِبُ لِيَوَائِي فَإِذَا قُتِلْتَ تَفَرَّقَ عَسْكَرِي».

قال العباسُ عليه السلام: «قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين، وأريد أن أَخَذَ بِثَأْرِي مِنْهُمْ»^(٢)، فَأَمَرَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام أَنْ يَطْلُبَ الْمَاءَ لِلْأَطْفَالِ، فَذَهَبَ الْعَبَّاسُ عليه السلام إِلَى الْقَوْمِ، وَوَعَظَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ غَضَبَ الْجَبَّارِ، فَلَمْ يَنْفَعْ، فَنَادَى بِصَوْتٍ عَالٍ: «يَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ هَذَا الْحُسَيْنُ ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ قُتِلْتُمْ أَصْحَابُهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَهَؤُلَاءِ عِيَالُهُ وَأَوْلَادُهُ عَطَاشَى، فَاسْقُوهُمْ مِنَ الْمَاءِ، قَدْ أَحْرَقَ الظُّمَأُ قُلُوبَهُمْ».

فَأَثَّرَ كَلَامُهُ فِي نَفُوسِ الْقَوْمِ، حَتَّى بَكَى بَعْضُهُمْ، وَلَكِنَّ الشَّمَرَ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا ابْنَ أَبِي تُرَابٍ لَوْ كَانَ وَجْهُ الْأَرْضِ كُلُّهُ مَاءً وَهُوَ تَحْتَ أَيْدِينَا لَمَا سَقَيْنَاكَ مِنْهُ قَطْرَةً، إِلَّا أَنْ تَدْخُلُوا فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ.

فَرَجَعَ إِلَى أَخِيهِ يُخْبِرُهُ، فَسَمِعَ الْأَطْفَالُ يَتَصَارَحُونَ مِنَ الْعَطَشِ. فَثَارَتْ بِهِ الْحَمِيَّةُ الْهَاشِمِيَّةُ، فَرَكِبَ جَوَادَهُ، وَأَخَذَ الْقِرْبَةَ، حَتَّى نَزَلَ الْمَشْرَعَةَ فَأَحَاطَ بِهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ نَفَرٍ مِنْ مَعْسَكِرِ ابْنِ سَعْدٍ، فَرَمَوْهُ بِالْنبَالِ^(٣)، فَلَمْ تُرْعِبْهُ كَثَرَتُهُمْ، وَأَخَذَ يَطْرُدُ أَوْلِيَاءَ الْجَمَاهِيرِ وَخُدَهَ، وَلِوَاءَ الْحَمْدِ يَرْفُ عَلَى رَأْسِهِ، وَلَمْ يَشْعُرِ الْقَوْمُ أَهْوِ الْعَبَّاسُ يُجَدِّلُ الْأَبْطَالَ أَمْ أَنَّ الْوَصِيَّ يَزَارُ فِي الْمِيدَانِ؟ فَلَمْ تَثْبُتْ لَهُ الرِّجَالُ وَنَزَلَ إِلَى الْفُرَاتِ مُطْمَئِنّاً غَيْرَ مُبَالٍ بِذَلِكَ الْجَمْعِ^(٤).

(١) المقتل للمقرم ص ٣٢٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٤١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٤١.

(٤) المقتل للمقرم ص ٣٢٥.

ولما اغترف من الماء ليشرب تذكر عطش الحسين عليه السلام، ومن معه، فرمى الماء وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا ردت أن تكوني
هذا حسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

تالله ما هذا فعال ديني

ثم ملأ القرية، وركب جواده، وتوجه نحو المخيم، فقطع عليه الطريق، وجعل يضرب، حتى أكثر القتل فيهم، وكشفهم عن الطريق وهو يقول:

إني أنا العباس أغدو بالسقا لا أرهب الموت إذا الموت زقا
نفسي لسبط المصطفى الطهروقي حتى أوارى في المصاليق لقا

ولا أخاف الشر يوم الملتقى

فكمن له زيد بن الرقاد الجهني من وراء نخلة، وعاونته حكيم بن الطفيل السنبي فضربه على يمينه فبراها، فقال عليه السلام:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجلى النبي الطاهر الأمين

فلم يعبأ يمينه بعد أن كان همّه إيصال الماء إلى أطفال الحسين عليه السلام وعياله^(١)، ولكن حكيم بن الطفيل كمن له من وراء نخلة، فلما مر به ضرب به على شماله فقطعها^(٢)، وتكاثروا عليه، وأتته السهام كالمطر، فأصاب القرية سهم

(١) المقتل للمقرم ص ٣٢٧.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٠٨.

فَأُرِيقَ مَآؤُهَا، وَسَهْمٌ أَصَابَ صَدْرَهُ^(١)، وَضْرِبَهُ رَجُلٌ بِالْعُمُودِ عَلَى رَأْسِهِ، فَفَلَقَ هَامَتَهُ^(٢).

فسقط العباس عليه السلام على الأرض ينادي: عليك مني السلام أبا عبد الله، فأتاه الحسين عليه السلام، فلما رآه على تلك الحالة، نادى: «الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي»^(٣).

يخويه العلم عكبك من يشيله
يخويه وضيم زينب من يزيله
يخويه ظلت اسكينه عويله

وهي الدربك تراهي شابحه العين
وَرَجَعَ الْحُسَيْنُ عليه السلام إِلَى الْمُخَيَّمِ مُنْكَسِرًا حَزِينًا بَاكِيًا، يُكْفِكِفُ دُمُوعَهُ بِكُمِّهِ^(٤)، فَاتَتْهُ سَكِينَةٌ وَسَأَلَتْهُ عَنْ عَمِّهَا فَأَخْبَرَهَا بِقَتْلِهِ، وَسَمِعَتْهُ زَيْنَبُ فَصَاحَتْ: وَآخَاهُ، وَآ عِبَّاسَاهُ، وَاضْيَعَتْنَا بَعْدَكَ، وَبَكَتِ النِّسْوَةُ وَبَكَى الْحُسَيْنُ مَعَهُنَّ، وَقَالَ: وَاضْيَعَتْنَا بَعْدَكَ^(٥).

نادي وقد ملأ البوادي صيحةً صمُّ الصُّخُورِ لَهْوِلِهَا تَتَأَلَّمُ
أُخَيٌّ مَنْ يَحْمِي بَنَاتِ مُحَمَّدٍ إِذْ صِرْنَ يَسْتَرْحِمْنَ مَنْ لَا يَرْحَمُ
مَا خِلْتُ بَعْدَكَ أَنْ تُشَلَّ سَوَاعِدِي وَ تَكْفَّ بِاصْرِتِي وَظَهْرِي يُقْصَمُ

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٤٢.

(٢) المنتخب للطريحي ص ٣١٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥، ص ٤٢.

(٤) الكُم بمعنى مدخل اليد ومخرجه من الثوب (المنجد).

(٥) المقتل للمقرم ص ٢٢٨.

استغاثة الحسين في ساعة وداعه عليه السلام

ولما قَتَلَ العَبَّاسُ عليه السلام التفتَ الحسينُ عليه السلام، فلم يَرِ أَحَدًا يَنْصُرُهُ، وَنَظَرَ إلى أَهْلِهِ وَصَحْبِهِ مُجَزَّرِينَ كالأضاحي، وهو إذ ذاك يَسْمَعُ عَوِيلَ الأيَامَى وَصُراخَ الأَطْفَالِ، فصاح بأعلى صَوْتِهِ: «هل مِن ذابٍّ عن حُرْمِ رسولِ الله؟ هل مِن مُوَحِّدٍ يخافُ اللهَ فينا؟ هل مِن مُغيثٍ يَرْجُو اللهَ في إغاثتنا؟» فَارْتَفَعَتْ أصواتُ النساءِ بالبكاء^(١)، وَنَهَضَ السَّجَّادُ عليه السلام، يَتَوَكَّأُ على عَصَا وَيَجُرُّ سيفَه، فَقَدْ كانَ مريضاً لا يَسْتَطِيعُ الحِركَةَ، فصاح الحسينُ عليه السلام، بِأُمِّ كَلْثُومٍ: «إِحْبِسِيهِ لئَلَّا تَخْلُو الأَرْضُ مِن نَسْلِ آلِ مُحَمَّدٍ، فَأَرْجَعْتُهُ إلى فِرَاشِهِ»^(٢).

ثُمَّ إِنَّهُ عليه السلام، أَمَرَ عِيالَهُ بالسكوتِ وَوَدَّعَهُمْ^(٣)، وكانَ عليه جُبَّةٌ خَزٌّ دَكْنَاءُ^(٤)، وَعِمَامَةٌ مُورَدَّةٌ، أَرْخَى لَهَا ذُؤَابَتَيْنِ، وَالتَحَفَ بِبُرْدَةِ رسولِ الله J، وَتَقَلَّدَ سيفَه^(٥)، وَطَلَبَ ثوباً لا يَرُغَبُ فِيهِ أَحَدٌ، يَضَعُهُ تَحْتَ ثِيَابِهِ، لئَلَّا يُجَرَّدَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَقْتُولٌ مَسْلُوبٌ.

ثُمَّ طَلَبَ عليه السلام، أَنْ يُقَدَّمَ لَهُ الجِوَادُ، فلم يجد في الخيامِ أَحَدًا سِوَى النساءِ والأَطْفَالِ فَأَتَتْهُ أختُه الحِوَرَاءُ زَيْنَبُ وَكَأَنِّي بلسانِ حالهما:

من ذا يقدّم لي الجواد ولامتي	والصحب صرعى والنصير قليل
فأنته زينب بالجواد تقوده	والدمع من ذكر الفراق يسيل
وتقول قد قطعت قلبي يا أخي	حزناً فياليت الجبال تزول

(١) اللهوف على قتلى الطفوف ص ١١٦.

(٢) الخصائص الحسينية ص ١٨٨.

(٣) كان هذا الوداع الأول لعياله.

(٤) فروع الكافي ج ٦ ص ٤٥٢، و(دكناء) بمعنى مال لونه إلى السواد، (المنجد).

(٥) المقتل للمقرم ص ٣٣٠، نقلاً عن المنتخب للصريحي صفحة ٣١٥.

أرأيت أختاً قدّمت لشقيقها فرس المنون ولا حمى وكفيل
فتبادرت منه الدموع وقال يا أخته صبراً فالمصاب جليل
فبكت وقالت يا ابن أُمي ليس لي وعليك ما الصبر الجميل جميل
يا نور عيني يا حشاشة مهجتي من للنساء الضائعات دليل
ودنت إلى نحو الخيام بعولة عظمى تصبّ الدمع وهي تقول
قوموا إلى التوديع إنّ أخي دعا بجواده إن الفراق طويل
فخرجن ربّات الخدور عواثراً وغدا لها حول الحسين عويل

الإمام الحسين عليه السلام والطفل الرضيع

وَدَعَا الإمام الحسين عليه السلام بِوَلَدِهِ الرضيع يُودِّعُهُ، فَاتَّهَ زَيْنَبُ عَلَيْهَا بِابْنِهِ
عَبْدِ اللَّهِ، وَأُمُّهُ الرِّبَابُ، فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ يُقَبِّلُهُ، وَيَقُولُ: «بُعْدًا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
إِذَا كَانَ جَدُّكَ الْمُصْطَفَى خَصَمَهُمْ»، ثُمَّ أَتَى بِهِ نَحْوَ الْقَوْمِ يَطْلُبُ لَهُ الْمَاءَ، فَرَمَاهُ
حَزْمَلَةُ بْنُ كَاهِلٍ الْأَسَدِي بِسَهْمٍ فَذَبَحَهُ، فَتَلَقَّى الْحُسَيْنُ الدَّمَ بِكَفِّهِ، وَرَمَى بِهِ
نَحْوَ السَّمَاءِ.

ومنعطفٍ أهوى لتقبيلِ طفله فقبّل منه قبله السهمُ منحرا
لقد وُلدَ ا في ساعةٍ هو والرّدى ومن قبله في نحره السهمُ كبرى

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: فلم تَسْقُطْ مِنْهُ قَطْرَةٌ^(١)، وفيه يقول حُجَّةُ
آلِ مُحَمَّدٍ عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ: «السلام على عبدِ اللَّهِ الرضيعِ المَرْمِي الصَّرِيعِ

(١) اللهوف على قتلى الطفوف ص ١١٧.

الْمُتَشَحِّطِ دَمًا وَالْمُصْعَدِ بَدَمِهِ إِلَى السَّمَاءِ، الْمَذْبُوحِ بِالسَّهْمِ فِي حِجْرِ أَبِيهِ،
لَعَنَ اللَّهُ رَامِيَهُ حَزْمَلَةَ بْنَ كَاهِلِ الْأَسَدِيِّ وَذَوِيهِ»^(١).

ثُمَّ قَالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هُوَ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى (٢)، اللَّهُمَّ لَا
يَكُونُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصِيلِ نَاقَةٍ صَالِحٍ، إِلَهِي إِنْ كُنْتَ حَبَسْتَ عَنَّا النِّصْرَ
فَاجْعَلْهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَانْتَقِمْ لَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣)، وَاجْعَلْ مَا حَلَّ بِنَا فِي
الْعَاجِلِ ذَخِيرَةً لَنَا فِي الْآجِلِ (٤)، اللَّهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَشْبَهَ
النَّاسِ بِرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ»^(٥).

وَسَمِعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلًا يَقُولُ: دَعُهُ يَا حُسَيْنَ، فَإِنَّ لَهُ مُرَضِعًا فِي الْجَنَّةِ^(٦).
ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ فَرَسِهِ وَحَفَرَ لَهُ بِجَفْنِ سَيْفِهِ وَدَفَنَهُ مُرَمَّلًا بَدَمِهِ، وَصَلَّى
عَلَيْهِ، وَيُقَالُ، وَضَعَهُ مَعَ قَتْلَى أَهْلِ بَيْتِهِ^(٧).

(١) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٢٧٠.

(٢) اللهوف على قتلى الطفوف ص ١١٧.

(٣) مثير الأحزان لابن نما ص ٧٠.

(٤) المقتل للمقرم ص ٣٣٣، نقلاً عن ظلم الزهراء: ص ١٢٢.

(٥) المقتل للمقرم ص ٣٣٣ نقلاً عن المنتجب للطريحي ص ٣١٣.

(٦) المقتل للمقرم ص ٣٣٣ نقلاً عن تذكرة الخواص ص ١٤٤.

(٧) الإرشاد للمفيد ص ٢٤٠، ومثير الأحزان لابن نما ص ٧٠.

مقتل الإمام الحسين عليه السلام

شجاعة الإمام الحسين عليه السلام

وتقدّم الحسين عليه السلام نحو القوم مُصْلِتاً سَيْفَهُ آيساً مِنَ الْحَيَاةِ، ودعا الناس إلى البراز، فلم يَزَلْ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ بَرَزَ إِلَيْهِ، حَتَّى قَتَلَ جَمْعاً كَثِيراً، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْمِيْمَةِ وهو يقول:

الموتُ أَوَّلِي مِنْ رُكُوبِ الْعَارِ والعَارُ أَوَّلِي مِنْ دُخُولِ النَّارِ

وحمل على الميسرة وهو يقول:

أَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ أَلَيْتُ أَنْ لَا أَنْثَنِي
أَحْمِي عِيَالَتي أَبِي أمضي على دين النبي

قال عبد الله بن عَمَّارِ بْنِ يَعُوثَ: ما رأيتُ مَكْثُوراً^(١) قَطُّ قُتِلَ وَلَدُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَصَحْبُهُ أَرْبَطَ جَأْشاً مِنْهُ، وَلَا أَمْضَى جَنَاناً وَلَا أَجْراً مَقْدِماً، وَلَقَدْ كَانَتِ الرِّجَالُ تَنْكَشِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا شَدَّ فِيهَا، وَلَمْ يَثْبُتْ لَهُ أَحَدٌ^(٢).

فصاح عُمرُ بْنُ سَعْدٍ بِالْجَمْعِ: هَذَا ابْنُ الْأَنْزَعِ الْبَطِينِ، هَذَا ابْنُ قَتَالِ الْعَرَبِ، إِحْمِلُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٣)، فَاتَتْهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ نَبْلَةً، وَحَالَ الرِّجَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

(١) المكثور أي المغلوب، وهو الذي كثر عليه الناس فقهروه، (المنجد)، وقيل الأصح «مكسوراً».

(٢) مثير الأحزان لابن نما، ص ٧٢، وفي وقعة الطف عن الطبري.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١١٠.

رَحِلْهُ، فصاح بهم عليه السلام: «يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم غريباً كما تزعمون».

فناداه الشمز: ما تقول يا ابن فاطمة؟ قال عليه السلام: «أنا الذي أقاتلكم والنساء ليس عليهن جناح، امنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً».

قال اقصدوني بنفسي واتركوا حرمي

قد حان حيني وقد لاحت (١) لوائحه

فقال الشمز: لك ذلك^(٢).

وقصده القوم، واشتد القتال، وقد استبد به العطش، فحمل من نحو الفرات على عمرو بن الحجاج، وكان في أربعة آلاف، فكشفهم عن الماء وأقحم^(٣) الفرس الماء، فلما هم الفرس ليشرب قال الحسين عليه السلام: «أنت عطشان وأنا عطشان، فلا أشرب حتى تشرب»، فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام، ولما مد الحسين عليه السلام يده ليشرب ناداه رجل (ألتذ بالماء وقد هتكت حرمتك؟) فرمى الماء ولم يشرب، وقصد الخيمة^(٤).

ثم إنه عليه السلام ودع عياله ثانياً، وأمرهم بالصبر ولبس الأزر^(٥)، وقال: «استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميتكم وحافظكم، وسينجيكم من

(١) لاح بمعنى بدا وظهر، (المنجد).

(٢) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٣.

(٣) أقحم فرسه النهر أي أدخله بعنف فيه، (المنجد).

(٤) بجار الأنوار: ج ٤٥ ص ٥١.

(٥) الأزر بضم الهمزة والزاي بمعنى العفاف، (المنجد).

شَرُّ الأَعْدَاءِ، وَيَجْعَلُ عَاقِبَةَ أَمْرِكُمْ إِلَى خَيْرٍ، وَيُعَذِّبُ عَذُوبًا بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَيُعَوِّضُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ وَالْكَرَامَةِ، فَلَا تَشْكُوا وَلَا تَقُولُوا بِالسِّنِّتِكُمْ مِمَّا يُنْقِصُ مِنْ قَدْرِكُمْ»^(١).

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: «وَيَحْكُمُ إِهْجُمُوا عَلَيْهِ مَا دَامَ مَشْغُولًا بِنَفْسِهِ وَحُرْمِهِ، وَاللَّهِ إِنْ فَرِغَ لَكُمْ، لَا تَمْتَازُ مَيَمَّنَّتُكُمْ عَنْ مَيْسَرَتِكُمْ»، فَحَمَلُوا عَلَيْهِ يَرْمُونَهُ بِالسَّهَامِ حَتَّى تَخَالَفَتِ السَّهَامُ بَيْنَ أَطْنَابِ الْمُخَيَّمِ، وَشَكَ سَهْمٌ بَعْضَ أَزْرِ النِّسَاءِ، فَدُهِشْنَ وَأُرْعِبْنَ وَصَحْنَ وَدَخَلْنَ الْخِيْمَةَ يَنْظُرْنَ إِلَى الْحُسَيْنِ كَيْفَ يَصْنَعُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ كَاللِّيثِ الْغَضْبَانِ، فَلَا يَلْحَقُ أَحَدًا إِلَّا بَعَجَهُ بِسَيْفِهِ فَقَتَلَهُ، وَالسَّهَامُ تَأْخُذُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَهُوَ يَتَّقِيهَا بِصَدْرِهِ وَنَحْرِهِ»^(٢).

وَلَمَّا ضَعُفَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنِ الْقِتَالِ، وَقَفَ يَسْتَرِيحُ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ بِحَجَرٍ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَخَذَ الثَّوْبَ لِيَمْسَحَ الدَّمَ عَنْ عَيْنَيْهِ، فَرَمَاهُ آخَرُ بِسَهْمٍ مُحَدَّدٍ لَهُ ثَلَاثُ شُعَبٍ وَقَعَ عَلَى قَلْبِهِ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»، وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «إِلَهِي، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ رَجُلًا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ابْنُ بِنْتٍ نَبِيٍّ غَيْرِي».

ثُمَّ أَخْرَجَ السَّهْمَ مِنْ قَفَاهُ، وَانْبَعَثَ الدَّمُ كَالْمِيزَابِ^(٣)، فَوَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ الْجُرْحِ، فَلَمَّا امْتَلَأَتْ رَمَى بِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَؤُلَاءِ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينُ اللَّهِ»، فَلَمْ يَسْقُطْ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ قَطْرَةٌ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ وَضَعَهَا ثَانِيًا فَلَمَّا

(١) المقتل للمقرم ص ٣٣٧، نقلاً عن جلاء العيون للعلامة المجلسي بالفارسية.

(٢) مثير الأحزان للجواهري ص ٨٦.

(٣) اللهوف على قتلى الطفوف ص ١٢٠، ومقتل الخواري ج ٢ ص ٣٤.

امْتَلَأْتُ لَطَخَ بِهِ رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ وَلَحِيَّتَهُ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَكَذَا أَكُونُ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ وَجَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مُخَضَّبٌ بِدَمِي».

عبد الله بن الحسن عليه السلام

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَبِثُوا هُنَيْهَةً، وَعَادُوا إِلَى الْحُسَيْنِ، وَأَحَاطُوا بِهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْأَرْضِ، لَا يَسْتَطِيعُ النُّهُوضَ، فَنَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّبِطُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً إِلَى عَمِّهِ، وَقَدْ أَخَذَقَ بِهِ الْقَوْمُ، فَأَقْبَلَ يَشْتَدُّ نَحْوَ عَمِّهِ، وَأَرَادَتْ زَيْنَبُ حَبْسَهُ فَأَقْلَتَ مِنْهَا، وَجَاءَ إِلَى عَمِّهِ، وَأَهْوَى بِحُرِّ بْنِ كَعْبٍ بِالسِّيفِ لِيَضْرِبَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَصَاحَ الْغَلَامُ: يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ أَتَضْرِبُ عَمِّي؟ فَضْرِبَهُ وَاتَّقَاهَا الْغَلَامُ بِيَدِهِ، فَأَطْنَهَا^(١) إِلَى الْجِلْدِ، فَإِذَا هِيَ مُعَلَّقَةٌ، فَصَاحَ الْغَلَامُ: يَا عَمَّاهُ، وَوَقَعَ فِي حِجْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا ابْنَ أَخِي اضْبِرْ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ، وَاحْتَسِبْ فِي ذَلِكَ الْخَيْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُلْحِقُكَ بِآبَائِكَ الصَّالِحِينَ»، وَرَفَعَ يَدَيْهِ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ إِنَّ مَتَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ، فَفَرَّقْتَهُمْ تَفْرِيقًا، وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قَدَدًا، وَلَا تُرْضِ الْوَلَاةَ عَنْهُمْ أَبَدًا، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا ثُمَّ عَدَوْا عَلَيْنَا يَقَاتِلُونَنَا»^(٢).

وَرَمَى حَرْمَلَةُ بْنُ كَاهِلٍ الْغَلَامَ بِسَهْمٍ فَذَبَحَهُ وَهُوَ فِي حِجْرِ عَمِّهِ^(٣). وَبَقِيَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَلِيًّا جَالِسًا، وَلَوْ شَاءُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ لَفَعَلُوا، إِلَّا أَنَّ كُلَّ قَبِيلَةٍ تَتَكَلَّمُ عَلَى غَيْرِهَا، وَتَكْرَهُ الْإِقْدَامَ عَلَى قَتْلِهِ^(٤).

(١) أَطْنَهَا بِمَعْنَى قَطَعَهَا، الْمُنْجَد.

(٢) تَارِيخُ الطَّبْرِجِيِّ ج ٣ ص ٣٣٣، وَمُثِيرُ الْأَحْزَانِ لابْنِ نَمَاصٍ ص ٧٤.

(٣) اللَّهْوُفُ عَلَى قَتْلِ الطُّفُوفِ ص ١٢٢.

(٤) الْأَخْبَارُ الطَّوَالُ ص ٢٥٨.

شهادة الإمام الحسين عليه السلام

ولما اشتدَّ الحالُّ بالحسين عليه السلام، رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا، فَإِنَّهُمْ عَرَّوْنَا وَخَذَلُونَا وَعَدَرُوا بِنَا وَقَتَلُونَا، وَنَحْنُ عِزَّةُ نَبِيِّكَ، وَوَلَدُ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي اصْطَفَيْتَهُ بِالرِّسَالَةِ، وَاتَّيَمَنْتَهُ عَلَى الْوَحْيِ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا فَرْجًا وَمَخْرَجًا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، (١) صَبْرًا عَلَى قَضَائِكَ يَا رَبِّ، لَا إِلَهَ سِوَاكَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ (٢)، مَا لِي رَبُّ سِوَاكَ، وَلَا مَعْبُودَ غَيْرُكَ، صَبْرًا عَلَى حُكْمِكَ، يَا غِيَاثَ مَنْ لَا غِيَاثَ لَهُ، يَا دَائِمًا لَا نَفَادَ لَهُ، يَا مُحْيِيَ الْمَوْتَى، يَا قَائِمًا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، أُحْكِمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» (٣).

وَأَقْبَلَ الْفَرَسُ يَدُورُ حَوْلَهُ وَيُلَطِّخُ نَاصِيَّتَهُ بَدَمِهِ (٤)، فَصَاحَ ابْنُ سَعْدٍ: دُونَكُمْ الْفَرَسَ، فَإِنَّهُ مِنْ جِيَادِ خَيْلِ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَحَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ، فَجَعَلَ يَزْمَحُ بِرِجْلَيْهِ، حَتَّى قَتَلَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا وَعَشْرَةَ أَفْرَاسٍ، فَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: دَعُوهُ لِنَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَمِنَ الطَّلَبُ، أَقْبَلَ نَحْوَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَرَّغَ نَاصِيَّتَهُ بَدَمِهِ، وَيَشْمُهُ وَيَصْهَلُ صَهِيلًا عَالِيًا (٥).

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: كان يقول: «الظَلِيمَةُ، الظَلِيمَةُ، مِنْ أُمَّةٍ قَتَلَتْ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهَا» (٦).

(١) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٣٤٨، نقلاً عن المصباح للشيخ الطوسي ص ٧٥٩.

(٢) أسرار الشهادة ص ٤٢٤.

(٣) المقتل للمقرم ص ٣٤٥ نقلاً عن رياض المصائب ص ٣٣.

(٤) الأملالي للصدوق ص ١٣٨ مجلس ٣٠، ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٧.

(٥) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٥٧، وتظلم الزهراء ص ١٢٩.

(٦) المقتل للمقرم ص ٣٤٦، وراجع بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٦٦ و ٣٠٨.

وأقبل الفرسُ يَرْكُضُ نحوَ المخيم وهو يَضْهَلُ وَيَضْرِبُ برأْسِهِ الأرضَ عند خيمة النساء، فلَمَّا نَظَرَتْ أَخَوَاتُ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنَاتُهُ وَأَهْلُهُ إِلَى الفرسِ، ليس عليه أحدٌ، رَفَعْنَ أَصْوَاتَهُنَّ بِالصُّرَاخِ وَالْعَوِيلِ وَنَادَتْ أُمُّ كُلْثُومُ زَيْنَبَ الْعَقِيلَةَ: «وا مُحَمَّداه، وا أَبتاه، وا عَلِيَّاه، وا جعفرَاه، وا حَمَزَتَاه، هذا حُسَيْنٌ بِالْعِرَاءِ، صَرِيحٌ بِكَرْبَلَاء»^(١)، ثُمَّ نَادَتْ: «لَيْتَ السَّمَاءَ أَطْبَقَتْ»^(٢) عَلَى الْأَرْضِ، وَلَيْتَ الْجِبَالَ تَدَكَّدَكْتَ عَلَى السَّهْلِ»^(٣).

وانتهت (زَيْنَبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) نَحْوَ الحُسَيْنِ، وَقَدْ دَنَا مِنْهُ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَصَاحَتْ: «أَيُّ عُمَرُ، أَيَقْتُلُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ؟» فَصَرَفَ بَوَجهَهُ عَنْهَا وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لَحْيَتِهِ^(٤).

ثم قالت: وَيَحْكُمُ أَمَا فِيكُمْ مُسْلِمٍ؟ فلم يُجِبْهَا أَحَدٌ^(٥)، ثُمَّ صَاحَ ابْنُ سَعْدٍ بِأَصْحَابِهِ: انْزِلُوا إِلَيْهِ وَأَرِيحُوهُ، فَبَدَرَ إِلَيْهِ الشَّمْرُ فَرَفَسَهُ بِرِجْلِهِ، وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَبَضَ عَلَى شَيْبَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ضَرْبَةً، وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ الْمُقَدَّسَ^(٦).

رحم الله من نادى واحسيناه وا إماماه وا مظلوماه وا عطشاناه وا غريباه
وا شهيداه وا قتيلاه...

(١) المقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٣٧، وبحار الأنوار ج ٤٥، ص ٥٨.

(٢) وفي تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣٤ تطابقت.

(٣) اللهوف على قتلى الطفوف ص ٥٤.

(٤) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣٤، والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧٨.

(٥) الإرشاد للمفيد ص ٢٤٢.

(٦) المقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٣٦ و ٣٧، ومقتل العوالم ص ١٠٠.

أَفَاطِمُ لَوْ خَلَّتِ الْحُسَيْنَ مُجَدَّلًا وَقَدْ مَاتَ عَطْشَانًا بِشَطِّ فُرَاتِ
إِذْ لِلطَّمَتِ الْخَدَّ فَاطِمٌ عِنْدَهُ وَأَجْرِيَتْ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي الْوَجَنَاتِ
أَفَاطِمُ قَوْمِي يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ وَانْدُبِي جُومَ سَمَاوَاتٍ بِأَرْضِ فَلَاةِ
قُبُورٍ بِجَنبِ النَّهْرِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا مُعَرَّسَهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ
تُوفُوا عَطَاشِي بِالْعَرَاءِ فَلَيْتَنِي تُوفِّيتَ فِيهِمْ قَبْلَ حِينِ وَفَاتِي

حديثُ الختام

وا حسيناہ ذبیحاً مِن قفا وا حسيناہ غسیلاً بالدمما

ذكر المحدث الشيخ عباس القمي عليه السلام في كتابه نفس المهموم^(١): أن السيد نصر الله الحائري ذكر في ديوانه نقلاً عن بعض الثقات من أهل البحرين أن بعض الأخيار رأى فاطمة الزهراء عليها السلام في الرؤيا مع لمة من النساء وهنّ ينحن على الحسين المظلوم عليه السلام بهذا البيت المذكور، فذيله السيد نصر الله بالأبيات التالية للمرحوم السيد الشريف الرضي عليه السلام:

وا حسيناہ ذبیحاً مِن قفا وا حسيناہ غسیلاً بالدمما

وا ذبیحاً يتلظى عطشاً وأبوءُ صاحبُ الحوضِ غدا
وا قتيلاً حرقوا خيمته وهي للدين الحنيفي وعاء
وا صريعاً عالج الموتِ بلا شدّ الحَيْن ولا مدّ ردا
غسلوه بدم الطعن وما كفّنوه غيرَ بؤغاءِ الثرى

(١) وللمزيد من التفاصيل راجع القصة بالكامل في كتاب نفس المهموم للشيخ عباس القمي عليه السلام: ٦٠٤.

قَتَلُوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمْ	أَنَّهُ خَامِسُ أَصْحَابِ الْكِسَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا فَاطِمَةَ	يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُزْتَضَى
عَظَّمَ اللَّهُ لَكَ الْأَجْرَ بِمَنْ	كَظَّ أَحْشَاهُ الظَّامَا حَتَّى قَضَى
يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ عَايَنْتَهُمْ	وَهُمْ مَا بَيْنَ قَتْلَى وَسَبَا
لَرَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْهُمْ مَنَظَرًا	لِلْحَشَى شَجْوًا وَلِلْعَيْنِ قَدَى

كلمة الختام

لقد تطرّقنا في موسوعة الليالي والأيام التي تحتوي على ثلاثة أجزاء إلى المواضيع والمعارف الإسلامية التي تعين المبلغ الديني في أداء رسالته التبليغية، في نشر العلوم والثقافة الإسلامية، ففي الجزء الأول تجد مجموعة من البحوث والنصوص التي تناسب شهري محرم الحرام وصفر ومما احتواه الجزء الثاني مجموعة من البحوث الأخلاقية في شرح الخطبة الشعبانية النبوية والمناسبات الرمضانية، وفي الجزء الثالث من الموسوعة تطرّقنا إلى المناسبات الإسلامية في بقية أشهر السنة القمرية وبعض المناسبات الشمسية والميلادية، وقد أدمجنا بعض المناسبات في بعضها لوحدة الموضوع وغناه، ولكي يتسنى للقارئ التركيز في طلب المعلومات والاستفادة منها.

ولعلّه هناك مناسبات أخرى حسب التقويم الهجري القمري أو الشمسي أو الميلادي لم نتطرق إليها في الموسوعة حيث لا يحتفل بها غالباً في مجالس العامة ولا تذكر وتبحث بصورة مستقلة في مواسم التبليغ فتركنا ذكرها للإختصار، فله الحمد على إتمام تأليف هذه الموسوعة بعد ثلاث سنين من الجهد المتواصل، فمنه التوفيق وعليه التكLAN.

وأخيراً أشكر كل من ساهم في هذا الإنجاز من إبداء فكر ومراجعة أو إخراج وطباعة وأسأل الله أن يجعله ذخراً لاخرتهم، وأخص بالذكر فضيلة العلامة اليوسفي الغروي على ما بذله من جهد في مراجعة هذه الموسوعة

وتقويمها.

هذا وأرجو من الله العزيز أن يتقبَّل بكرمه ولطفه ماقدَّمناه في هذه الموسوعة وأن يجعله مصداقاً للحديث النبوي الشريف المشهور: «إذا مات ابن آدم (المؤمن) انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعوه له»^(١)، فيكون - إن شاء الله تعالى - علماً ينتفع به المسلمون وأنتفع به أنا: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٢﴾﴾^(٢)، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

محرم الحرام سنة ١٤٣١ هـ قم المقدسة

ايوب الحائري

(١) عوالي اللئالي ١: ٩٧، بحار الأنوار ٢: ٢٢٢ب.

(٢) الشعراء: الآيتين ٨٨، ٨٩.

فهرس مصادر الموسوعة

- القرآن الكريم.
- نهج البلاغة / جمع الشريف الرضي، تحقيق مؤسسة نهج البلاغة، ط. الثانية ١٤١٦هـ.
- الصحيفة السَّجادية / مجموعة أدعية الإمام السَّجاد.
- مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي.
- الغيبة / النعماني، مكتبة الصدوق، طهران ١٣٩٧ هـ.
- كشف الغمة / علي بن عيسى الإربلي، مكتبة بني هاشم، ايران ١٣٨١ هـ.
- الاحتجاج / أحمد بن علي الطبرسي إنتشارات إسوة، ايران.
- وفيات الأعيان / ابن خلكان، دار الفكر، بيروت ١٤٢١ هـ.
- منتخب الأثر / الصَّافي الكلبايكاني، مؤسسة الوفاء، بيروت.
- الصواعق المحرقة / ابن حجرالعسقلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧ هـ.
- بحار الأنوار / العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، ط. الرابعة، بيروت ١٤٠٤ هـ.

- دلائل الإمامة / محمد بن جرير الطبري، دار الذخائر للمطبوعات، قم.
- الغيبة / الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط. الأولى، قم.
- إعلام الوری / أمين الإسلام الشيخ الطبرسي، دار الكتب الإسلامية، ط. الثالثة، قم.
- أصول الكافي / الشيخ الكليني، دار الكتب الإسلامية، ط. الرابعة، طهران.
- صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤ م.
- كمال الدين وتمام النعمة / الشيخ الصدوق، دار الكتب الإسلامية، ط. الثالثة، قم.
- منهاج السنة النبوية / ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٤٠٦ هـ.
- منتهى الآمال / الشيخ عباس القمي، الدار الإسلامية، بيروت ١٩٩٤ م.
- الإرشاد / الشيخ المفيد، سعيد بن جبير، ط. الأولى، قم ١٤٢٠ هـ.
- علل الشرايع / الشيخ الصدوق، انتشارات مكتبة الداوري، قم.
- كنجینه آثار قم / الشيخ عباس فيض، مهر استوار، ط. الأولى، إيران ١٣٥٠ هـ.
- عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق، ذوي القربى، ط. الأولى، قم ١٤٢٧ هـ.
- ترجمة تاريخ قم / الحسن بن علي القمي، انتشارات زائر، ط. الثانية،

- قم ١٤٣٠ هـ.
- أعلام الهداية / لجنة التأليف، المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، ط.
- الأولى، قم ١٤٢٢ هـ.
- منتخب التواريخ / محمد هاشم الخراساني، إنتسارات إسلامية، ط. السادسة، طهران ١٤٢٥ هـ.
- موسوعة التاريخ الإسلامي / اليوسفي الغروي، مجمع الفكر الإسلامي، ط. الأولى قم ١٤٣١ هـ.
- جغرافيا تاريخ هجرت امام رضا عليه السلام (بالفارسية) / جليل عرفان منش، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، ط. الثانية، مشهد ١٤٢٠ هـ.
- أصل الشيعة وأصولها / آل كاشف الغطاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٣.
- مسند أحمد / أحمد ابن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٩ م.
- لسان العرب / محمد بن مكرم ابن منظور، دار الفكر ط. الأولى، بيروت ١٩٩٠ م.
- الغدير / العلامة الأميني، دار الكتاب الإسلامية، طهران ١٣٧١ هـ.
- وسائل الشيعة / الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم ١٤٢٦ هـ.
- تحرير الوسيلة / الإمام الخميني، سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ١٩٩٨ م.
- معجم رجال الحديث / السيد أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء، بيروت

ت ١٤١٣هـ

- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية / الشهيد الثاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

- الميزان / محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة إسماعيليان، إيران، قم ط. الرابعة، ١٤١٣هـ.

- الذريعة / آقا بزرك الطهراني، المكتبة الإسلامية، طهران، ط. الأولى، قم ١٣٧٤ هـ.

- التفسير الكبير / الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (بت)

- صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج القشيري، دار الكتب العلمية، ط. الأولى بيروت، ١٩٩٥ م.

- كنز العمال / المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩ م.

- شرائع الإسلام / المحقق الحلي، الاستقلال، ط. الرابعة، قم ١٤٠٣هـ.

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة - بيروت ١٩٩٢ م.

- نظام حقوق زن در اسلام (بالفارسية) / مرتضى مطهري، انتشارات صدرا، قم.

- جواهر الكلام / محمد حسن النجفي، مؤسسة التاريخ العربي، ط. السابعة، بيروت

- سنن النسائي / النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى،

١٩٩٥ م.

- مجمع البيان / أمين الإسلام الشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٩٥.

- الفقه على المذاهب الخمسة / الشيخ جواد مغنية، مؤسسة الصادق، ط. الخامسة، طهران ١٩٩٨ م.

- الحقائق في محاسن الأخلاق / الفيض الكاشاني، دارالكتاب الإسلامي، قم ١٤٠٩ هـ.

- المراقبات / الملكي التبريزي، انتشارات الإمام المهدي، قم ١٤٠٤ هـ.

- آداب النفس / الموسوي المياموي، منشورات المكتبة المرتضوية، قم ١٣٨٠ هـ.

- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق / مسكويه الرازي، انتشارات بيدار، ط. الثانية، قم ١٤١٠ هـ.

- سِر الصلاة / الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط. الأولى، طهران ١٩٩٥ م.

- مصباح الشريعة / المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، انتشارات قلم، ط. الأولى، قم ١٤١٤ هـ.

- مكارم الأخلاق / الحسن بن الفضل الطبرسي، نشر حبيب، ط. الأولى، قم ١٤٢٠ هـ.

- منهاج النجاة / الفيض الكاشاني، مؤسسة البعثة، ط. الأولى، طهران ١٤٠٧ هـ.

- من شواهد المبلغين / الشيخ أكرم جزيني، مؤسسة الفكر الإسلامي، ط٣، بيروت ٢٠٠٢م.
- الصحيح من سيرة النبي الأعظم / جعفر مرتضى العاملي، دارالسيرة، بيروت.
- عدة الدّاعي / أحمد بن فهد الحلبي، دارالكتاب الإسلامي، قم ١٤٠٧هـ.
- ثواب الأعمال / الشيخ الصدوق، دارالرضي، قم ١٤٠٦هـ.
- معاني الأخبار / الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٣هـ.
- مستدرك الوسائل / المحدث النوري، مؤسسة آل البيت، قم ١٤٠٨هـ.
- غرر الحكم / عبد الواحد التميمي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم ١٤٠٨هـ.
- من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٣هـ.
- البداية والنهاية / ابن كثير الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، ط. الأولى، بيروت ١٩٨٨م.
- أنساب الأشراف / أحمد بن يحيى البلاذري، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٧٤م.
- سير أعلام النبلاء / شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م.

- الإصابة / ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت ط. الأولى، ١٩٩٥ م.
- ذخائر العقبى / محب الدين الطبري، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦ هـ.
- الدر المنثور / جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت (ب.ت).
- العباس بن علي / عبدالرزاق المكرم، دار الأضواء، ط. الأولى، بيروت ٢٠٠١ م.
- تاريخ اليعقوبي / أحمد بن أبي يعقوب الإصفهاني، دار صادر، بيروت (ب.ت).
- جامع السعادات / محمد مهدي النراقي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف (ب.ت).
- بشارة المصطفى / عماد الدين الطبري، المكتبة الحيدرية، النجف ١٣٨٣ هـ.
- أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت.
- عوالي اللئالي / ابن أبي جمهور الأحسائي، دارسيد الشهداء، قم ١٤٠٥ هـ.
- أمالي الصدوق / الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف ١٤٠٤ هـ.
- الخصال / الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٣ هـ.
- تحف العقول / ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي،

قم ١٤٠٤هـ.

- تفسير القمي / علي بن ابراهيم القمي، دارالكتاب الإسلامي، قم

١٤٠٤هـ.

- شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد المعتزلي، مكتبة آية الله المرعشي،

قم ١٤٠٤هـ.

- شواهد التنزيل / الحاكم الحسكاني، مؤسسة النشر الإسلامي،

قم ١٤١١هـ.

- مجموعة ورّام / ورّام بن أبي فراس، مكتبة الفقيه، قم، (ب.ت).

- مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب، مؤسسة العلامة للنشر، قم

١٣٧٩هـ.

- الصوارم المهرقة / نور الله التستري، مطبعة النهضة، طهران ١٣٦٧هـ.

- أجوبة الإستفتاءات / الإمام الخامنئي، دارالنبأ، ط. الأولى، بيروت

١٩٩٥ م.

- مصباح الشريعة / منسوب للإمام الصادق، مؤسسة الأعلمي، ط.

الأولى، بيروت ١٩٨٠ م.

- الخرائج والجرائح / قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي،

قم، (ب.ت).

- إمتاع الإسماع / أحمد بن علي المقرئ، دارالكتب العلمية،

ط. الأولى، بيروت ١٩٩٩ م.

- مهج الدعوات / السيد بن طاووس الحلبي، أنوار الهدى، ط الخامسة،

قم ١٤٢٩هـ.

- جامع آحاديث الشيعة / الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم

١٣٩٩هـ.

- الكامل في التاريخ / ابن الأثير، دار صادر، بيروت ١٩٦٥ م.

- بارقة من سماء كربلاء / المصباح اليزدي، دار التعارف للمطبوعات،

ط. ١، بيروت ٢٠٠٤ م.

- مقتل الحسين / عبدالرزاق المقرم، منشورات بصيرتي، ط. الخامسة،

قم ١٢٩٤هـ.

- اللهوف / ابن طاووس (علي بن موسى)، الأنوار الهدى، قم،

(ب.ت).

- إقبال الأعمال / ابن طاووس، مكتب الإعلام الإسلامي، ط. الأولى،

قم ١٤١٤هـ.

- مثير الأحران / ابن نما الحلبي، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٥٠ م.

- بلاغات النساء / ابن طيفور البغدادي، إنتشارات الشريف الرضي،

قم.

- الإمامة والسياسة / ابن قتيبة الدينوري، إنتشارات الشريف الرضي،

ط. ١، قم ١٤١٣هـ.

- السيرة النبوية / ابن هشام الحميري، مكتبة محمد علي واولاده، مصر

١٩٦٣ م.

- روضة الواعظين / الشهيد الفتال النيشابوري، دار الرضي قم.

- ميزان الحكمة / محمدالري شهري، دار الحديث، قم ١٤١٧هـ.
- كتاب سليم بن قيس / سليم بن قيس الهلالي، دارالهادي، قم ١٤١٥هـ.
- وقعة صفين / نصر بن مزاحم المنقري، مكتبة آية الله المرعشي، قم ١٤٠٣هـ.
- تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي، دارالكتب العلمية، بيروت، (ب.ت).
- رجال النجاشي / النجاشي الأسدي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (ب.ت).
- المصباح / الكفعمي، مؤسسة الأعلمي، ط. الثالثة، بيروت ١٩٨٣م.
- تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي، منشورات ذوي القربى، ط. الأولى، قم ١٤٢٧هـ.
- في رحاب نهج البلاغة / الشهيد مرتضى المطهري، الدار الإسلامية، ط. الأولى، بيروت ١٩٩٢.
- وقعة الطف / أبو مخنف بتحقيق الشيخ اليوسفي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط. ١، قم ١٤٠٩.
- مقاتل الطالبين / أبو فرج الإصفهاني، منشورات الرضي، ط. الثانية، قم ١٤٠٥هـ.

الأقراص الكمبيوترية (CD)

- ١- جامع الأحاديث: (٤٤٢ مجلد في ١٨٧ عنوان من ٩٠ مؤلف)، إصدار مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، قم - الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الإصدار الثاني.
- ٢- جامع التفاسير: إصدار مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، قم - الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الإصدار الأول.
- ٣- مكتبة أهل البيت عليه السلام: (٤٤٦٧ مجلد): إصدار مركز المعجم الفقهي للمرجع الديني آية الله السيد الكلبيكاني، الإصدار الأول.

صدر للمؤلف

- الغدير
- الأمة الواحدة
- المناسبات النبوية
- المناسبات العلوية
- المسلم ومعتقداته
- ذكريات شهري الحج
- قبسات من نهج البلاغة
- الإسلام والمشكلة الجنسية
- بلاد الشام، أرض المقدّسات
- مزارات أهل البيت عليهم السلام في إيران
- الإمام علي عليه السلام، أدوار ومواقف
- ثلاثون سؤالاً وشبهة حول المرأة
- عشرون سؤالاً وشبهة حول المرأة
- دليل الأماكن المقدّسة في سورية
- الإمام المهدي المصلح العالمي المنتظر

- التبليغ الديني على ضوء الكتاب والسنة
- موسوعة المناسبات الإسلامية والعالمية
- الزواج لمؤقت في شريعة سيدنا محمد
- أفضل الليالي (ثلاثون ليلة في ضيافة الرحمن)
- ماذا حدث في الثامن عشر من ذي الحجة السنة العاشرة للهجرة
- لمحات من حياة الإمام الرضا عليه السلام وأخته فاطمة المعصومة عليها السلام
- حديث عاشوراء (مقتل الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام)

سيصدر للمؤلف:

- مشكاة الأنوار (قبسات من أنوار النبي وأهل بيته عليهم السلام)

المصادر

- ١ - المعرس: بفتح الراء وتشديدها هو المكان.
- ٢ - الصواعق المحرقة: ١٤٨.
- ٣ - تاريخ الطبري ٣: ٢٧٩، الكامل في التاريخ ٣: ٢٦٧.
- ٤ - المناقب ٤: ١٠٨، بحار الأنوار ٤٥: ٤٠، ب ٣٧، نفس المهموم: ٢٣٠.
- ٥ - بحار الأنوار ٤٥: ٤٠، ب ٣٧، نفس المهموم: ١٤٨.
- ٦ - مقتل الحسين، للمقرم: ٣٤٠.
- ٧ - منتخب الطريحي: ٣١٦، ونفس المهموم: ٣٤٦.
- ٨ - الخطيب المرحوم الشيخ سعيد المنصوري.
- ٩ - روح المعاني ٢٦: ٧٣، وتذكرة الخواص ٢: ١٩٦.
- ١٠ - البداية والنهاية ٨: ١٩٢. ومقاتل الطالبين: ٨٠.
- ١١ - شذرات الذهب ١: ٦٩.
- ١٢ - من قصيدة للمرحوم السيد هاشم البحراني.
- ١٣ - بحار الأنوار ٤٣: ٢١٦.
- ١٤ - من قصيدة للشاعر الدكتور مصطفى جمال الدين رحمه الله وهي مخطوطة تطوق ضريح السيدة رقيه عليها السلام.
- ١٥ - أنساب الأشراف: ٣٣٣.

- ١٦- عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ٢٨٠، الباب، ٦٥ ح ٢، وراجع أخبار شعراء الشيعة، للمرزباني: ٩٣.
- ١٧- (ديوان الإمام علي: ١٥٢، بحار الأنوار ٢٢: ٥٢٣، ب ٢.
- ١٨ - وقعة صفين: ٣٤١.
- ١٩- من قصيدة تنسب إلى الأسود الدؤلي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، (تاريخ الطبري ٥: ١٥٠، وفي ديوانه: ٣٢)، أنساب الأشراف ٢: ٤٠٩، الحديث ٥٩٢.
- ٢٠- تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥، مروج الذهب ٢: ٤٢٨.
- ٢١ - الربع: موضع في عرفات، يتوقف به ويطمأن.
- ٢٢ - العرصات: الساحات.
- ٢٣ - الثفنات: علامات في الجبهة من كثرة السجود.
- ٢٤ - وَقَبْرٌ بِأَرْضِ الْجَوْزْجَانِ: هو قبر يحيى بن زيد الشهيد، وهناك ثلاث مراقد تذكره، إحداها في مدينة جوزجان في أفغانستان وهو أقرب للصواب كما جاء في قصيدة دعبل، والأخرى في ميامي تبعد عن مدينة مشهد حوالي (٦٠ كم)، والمرقد الثالث في مدينة جرجان (القديمة) والتي لم يبق منها سوى الأطلال وهي قرب مدينة كنبد كاووس في شمال إيران.
- ٢٥ - فنخ: موقع بمكة وقعت فيه حادثة فنخ حيث استشهد جمع من بني هاشم على يدي أعوان بني العباس.
- ٢٦ - باخمري: مكان بين الكوفة والواسط في العراق، فيه قبر القاسم أخ الإمام الرضا عليه السلام.

٢٧ الغرفات: غرف الجنة.

٢٨ - الزّفرات: تتابع الأنفاس من شدة الغم والحزن.

٢٩ - أي: إن كان لك من الدين حظّ اربع واجلس بطوس على قبر الرضا عليه السلام.

٣٠ - عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨٠، الباب ٦٥، ح ٢، وراجع أخبار شعراء الشيعة للمرزباني: ٩٣.

٣١ - مقاتل الطالبين: ٢٨٠.

٣٢ - عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨٠، الباب ٦٥، ح ١، وقوله مرموس أي: مدفون.

٣٣ - زقا بمعنى صاح، (المنجد).

٣٤ - يقال: (هو من مصاليت الرجال) أي من شجعانهم.

٣٥ - المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٠٨.

٣٦ - مثير الأحزان لابن نما: ص ٧٢.

٣٧ - المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١١٠.

٣٨ - من قصيدة لدعبل الخزاعي يرثي بها الإمام الحسين عليه السلام قرأها عند الإمام الرضا عليه السلام في مرو.

الفهرس

٥.....	الفهرس الإجمالي للموضوعات
٧.....	مقدمة الناشر
٩.....	مقدمة المؤلف
١٥.....	الليلة الأولى: من صفات شيعة أهل البيت عليه السلام
١٧.....	الإمام الصادق عليه السلام، والخراساني
١٨.....	هل يكفي حب أهل البيت عليه السلام ؟
٢٠.....	شيعة أهل التقوى
٢١.....	آثار التقوى في الدنيا والآخرة
٢٤.....	صدق الحديث وأداء الأمانة
٢٥.....	الشيعة وكثرة ذكر الله تعالى
٢٧.....	الشيعة وموالاتة أهل البيت عليه السلام
٢٧.....	شيعةنا يحزنون لحزننا
٢٨.....	الإمام الرضا عليه السلام، وأيام محرم
٣٠.....	الليلة الثانية: معرفة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليه السلام
٣١.....	أهل البيت عليه السلام في الكتاب والسنة

- ٣٤..... مودة النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام
- ٣٥..... إطاعة النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام
- ٣٦..... الصلاة على النبي ﷺ وعلى أهل بيته عليه السلام
- ٣٨..... حق النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام من الغنائم
- ٣٩..... زيارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام
- ٤٠..... نشر فضائل وعلوم النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام
- ٤٠..... ذكر مصائب النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام
- ٤٣..... الليلة الثالثة: عنصر الإصلاح في النهضة الحسينية
- ٤٣..... معاني الإصلاح
- ٤٥..... إصلاح المجتمع من الفساد
- ٤٦..... أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٨..... كاشف الغطاء، والامر بالمعروف
- ٤٩..... مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٥١..... خروج الحسين عليه السلام من المدينة
- ٥٤..... الليلة الرابعة: الأبعاد الأخلاقية، في النهضة الحسينية
- ٥٤..... الإسلام والأخلاق
- ٥٦..... أخلاق النبي الأكرم ﷺ
- ٥٧..... أبعاد النهضة الحسينية
- ٥٨..... نظرة عامة في سلوك الثورات
- ٥٩..... نظرة في جرائم الجيش الكوفي الأموي
- ٦٠..... المعطيات الاخلاقية في النهضة الحسينية

- ٦١..... الأمر الأول - التصريح بأهداف النهضة
- ٦٢..... الأمر الثاني - الرحمة بالعدو واللفظ به
- ٦٣..... الأمر الثالث - العناية بالمولى من الأنصار
- ٦٤..... الأمر الرابع - الوفاء بالعهد والوعد
- ٦٥..... الأمر الخامس - احترام الحسين عليه السلام، لو شريحة القربى
- ٦٦..... الأمر السادس - عدم استغلال النساء كترس حماية
- ٦٧..... الأمر السابع - المحافظة على العواطف ومراعاة الأحاسيس
- ٦٨..... الأمر الثامن - العفو عن العدو
- ٦٩..... الأمر التاسع - الهداية لا إراقة الدماء
- ٧٠..... الأمر العاشر - لا إكراه على المناصرة
- ٧٠..... التصريح بأهداف النهضة ثانية
- ٧٢..... الليلة الخامسة: السفير والسفارة في الإسلام
- ٧٣..... أنواع الرسل من الملائكة
- ٧٧..... السفارة وأنواعها (الرسل من البشر)
- ٧٧..... النوع الأول - السفارة الربانية
- ٧٧..... النوع الثاني - السفارة الدينية
- ٧٩..... النوع الثالث - السفارة السياسية
- ٨٠..... النوع الرابع - السفارة الدينية والسياسية
- ٨٠..... شخصية مسلم ومنشور سفارته
- ٨٢..... مسلم في بيت المختار الثقفي
- ٨٤..... دخول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة

- مسلم لا يغدر حتى بعدوّه ٨٤
- مسلم في دار طوعة ٨٦
- شهادة مسلم ابن عقيل ٨٨
- الليلة السادسة: الصحبة والصدّاقة في الإسلام ٩٠
- معنى الصدّاقة وصفات الصديق ٩٢
- آثار الصدّاقة في الدنيا والآخرة ٩٤
- من حقوق الصديق ٩٦
- إختبار الصديق ٩٦
- الحسين عليه السلام يختبر أصحابه ٩٧
- ما رأيت أصحاباً أبرّ وأوفى من أصحابي ٩٨
- من مواقف اصحاب الحسين عليه السلام ٩٩
- الليلة السابعة: الولاء الحقيقي لأهل البيت عليه السلام ١٠٢
- ولاية أهل البيت عليه السلام ١٠٢
- أولاً - الولاء العاطفي لأهل البيت عليه السلام ١٠٤
- ثانياً - الولاء العقائدي لأهل البيت عليه السلام ١٠٥
- ثالثاً - الولاء العملي لأهل البيت عليه السلام ١٠٦
- من سيرة أبي الفضل العباس عليه السلام ١٠٧
- من فضائل أبي الفضل العباس عليه السلام ١٠٩
- العباس عليه السلام، والولاء العاطفي ١١٠
- العباس عليه السلام، والولاء العقائدي ١١١
- العباس عليه السلام، والولاء العملي ١١١

الليلة الثامنة: نظرة الإسلام إلى الشباب	١١٤
الإسلام والشباب	١١٤
مراحل عمر الانسان	١١٥
خصوصيات مرحلة الشباب	١١٦
تعامل الأبوين مع شبابهم	١١٧
إغتنموا فرصة الشَّباب	١١٩
الشَّباب وطلب العلم	١٢٠
الشباب والصدقة	١٢٠
الشباب وإختيار العمل	١٢١
الشباب ومسألة الزَّواج	١٢٢
نماذج من الشباب القدوة	١٢٤
الشاب حارثة بن مالك	١٢٤
الإمام الخامنئي <small>عليه السلام</small> يذكر لنا أيام شبابه	١٢٥
فتيان الحسن <small>عليه السلام</small> في يوم عاشوراء	١٢٥
الفتى الأول: الحسن بن الإمام الحسن <small>عليه السلام</small>	١٢٥
الفتى الثاني: عبدالله الأكبر (المكنى بأبى بكر)	١٢٦
الفتى الثالث: عبدالله الأصغر	١٢٧
الفتى الرابع: القاسم ابن الحسن <small>عليه السلام</small>	١٢٨
الليلة التاسعة: الإسلام وحقوق الأبناء	١٣٠
مراحل النمو في الأبناء	١٣١
أولاً- تربية الولد تربية صالحة	١٣٢

- ثانياً- تعليم الولد ١٣٣
- ثالثاً - المعاملة الحسنة مع الولد ١٣٥
- أولاد الحسين يوم عاشوراء ١٣٦
- ١- فاطمة بنت الحسين عليها السلام ١٣٧
- ٢- السيدة سكينة ١٣٧
- ٣- عبدالله الرضيع ١٣٩
- ٤- علي الأكبر عليه السلام ١٤٠
- مصرع علي الأكبر عليه السلام ١٤١
- الليلة العاشرة: الهجرة، الجهاد، الشهادة ١٤٤
- الهجرة في سبيل الله ١٤٥
- نماذج تاريخية للهجرة ١٤٥
- معالم الجهاد في الإسلام ١٤٨
- انواع الجهاد في الإسلام ١٥٠
- ١- الجهاد الابتدائي: ١٥٠
- ٢ - الجهاد الدفاعي: ١٥١
- ليلة الشهادة ويوم الشهيد ١٥٣
- الليلة الحادية عشر: دور المرأة في النهضة الحسينية ١٥٦
- دور المرأة في الدفاع عن الدين ١٥٦
- دور المرأة في النهضة الحسينية ١٥٨
- أدوار الحوراء زينب عليها السلام في نهضة الحسين عليه السلام ١٦١
- الدور الأول: المحافظة علي البقية من أهل البيت عليهم السلام ١٦١

الدور الثاني: الدور الإعلامي للحوراء زينب عليها السلام	١٦٣
زينب عليها السلام ومرحلة الأسر في الكوفة	١٦٣
زينب عليها السلام ومرحلة الأسر في الشام	١٦٥
زينب عليها السلام بعد الأسر في المدينة	١٦٦
الدور الثالث: زينب عليها السلام وسبايا كربلاء	١٦٧
الليلة الثانية عشر: الإمام زين العابدين عليه السلام ومأساة الطف	١٦٩
ليلة شهادة الإمام السجاد عليه السلام	١٦٩
قبسات من سيرة الإمام السجاد عليه السلام	١٧٠
علي بن الحسين عليه السلام في كربلاء	١٧٢
الإمام السجاد عليه السلام في الكوفة	١٧٢
الإمام زين العابدين عليه السلام في الشام	١٧٤
خطاب الإمام السجاد في الشام	١٧٦
الإمام السجاد عليه السلام في المدينة	١٧٩
بكاء الإمام زين العابدين	١٨٠
الليلة الثالثة عشر: مكانة الشهيد والشهادة في الاسلام	١٨١
حق الشهيد على الناس	١٨٢
الإنذفاع نحو الشهادة	١٨٤
المسلمون يطلبون الشهادة	١٨٥
أهل البيت عليهم السلام والشهادة	١٨٦
البكاء علي الشهيد	١٨٧
دفن شهداء كربلاء	١٨٨

- الليلة العشرون: خاصية عدد الأربعين وآثار الزيارة ١٩٣
- خاصية عدد الاربعين ١٩٤
- مفهوم الزيارة وآثارها ١٩٦
- الزيارة ومشروعيتها ١٩٧
- زيارات الإمام الحسين عليه السلام ٢٠٠
- خروج سبايا أهل البيت عليهم السلام من الشام ٢٠٢
- خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد ٢٠٤
- خطبة الإمام السَّجَّاد عليه السلام في الشَّام ٢٠٥
- وصول السبايا إلى كربلاء ٢٠٦
- الليلة الواحدة والعشرون: البلاء والامتحان الالهي ٢٠٩
- البلاء العام والبلاء الخاص ٢٠٩
- فلسفة الإبتلاء والامتحان ٢١٠
- تنوع الإبتلاء بالخير والشر ٢١٢
- أسباب واقسام الإبتلاء ٢١٣
- موقف الإنسان من الإبتلاءات ٢١٥
- المعالجة الروحية للمصائب ٢١٦
- مجالس العزاء على مصاب الشهداء ٢١٨
- أمُّ البنين تندب الحسين عليه السلام ٢١٩
- الليلة الثانية والعشرون: المرأة والكمالات الإلهية ٢٢٢
- آسيا مثل ضربه الله للمؤمنين ٢٢٥
- مريم بنت عمران أسوة المؤمنين ٢٢٦

- ٢٢٨..... خديجة الكبرى أم المؤمنين
- ٢٢٩..... فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين
- ٢٣١..... السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام
- ٢٣٣..... السيدة نفيسة المصرية
- ٢٣٥..... السيدة فاطمة (أم البنين)
- ٢٣٨..... زينب الحوراء عليها السلام أسوة المجاهدين
- ٢٤١... الليلة الثالثة والعشرون: العلاقات الاجتماعية في الإسلام
- ٢٤٢..... القسم الأول: العلاقات الاجتماعية العامة
- ٢٤٣..... الاهتمام بأمور الناس
- ٢٤٤..... الإحسان إلى الناس
- ٢٤٥..... العطف على الصغير وإحترام الكبير
- ٢٤٦..... علاقة الجار بالجار
- ٢٤٧..... ما هي حقوق الجار
- ٢٤٩..... علاقة المسلم بغير المسلمين
- ٢٥١..... القسم الثاني: العلاقات الاجتماعية الخاصة
- ٢٥١..... علاقة الإنسان مع أرحامه
- ٢٥٣..... صلة الرحم وآثارها
- ٢٥٤..... ملاحظة مهمة
- ٢٥٥..... الأسرة، حقوق وواجبات
- ٢٥٦..... أ - علاقة الأب مع الأسرة
- ٢٥٧..... ب - علاقة الزوجة مع الزوج

- ٢٥٨..... جدور الأب والأم في الأسرة
- ٢٥٩..... د - دور الأولاد في الأسرة
- ٢٦٣..... حدود طاعة الوالدين
- ٢٦٣..... المعاملة الخاصة مع ذرية الرسول ﷺ
- ٢٦٤..... السيدة رقية عليها السلام في خربة الشام
- ٢٦٦..... الليلة الرابعة والعشرون: إنتفاضات وثورات بعد الطف
- ٢٦٧..... واقعة الحرّة وإنتفاضة أهل المدينة
- ٢٦٩..... نتائج الحقد الأموي على المدينة
- ٢٧١..... ثورة المختار الثقفي (سنة ٦٤ للهجرة)
- ٢٧٢..... موقف المختار من الأمويين
- ٢٧٢..... موقف المختار من أهل البيت عليهم السلام
- ٢٧٤..... انتقام المختار من قتلة الحسين عليه السلام
- ٢٧٧..... موقف أهل البيت عليهم السلام من المختار
- ٢٧٨..... مصير المختار وأنصاره
- ٢٧٩..... ثورة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام
- ٢٨٢..... الإمام الصادق عليه السلام وثورة زيد
- ٢٨٥..... خروج يحيى بن زيد بعد أبيه
- ٢٨٧..... نهاية الخلافة الأموية
- ٢٩١..... الليلة الخامسة والعشرون: حقيقة الموت وفلسفة الشهادة . . .
- ٢٩٢..... أبى الله أن يكون لي سرور دون لقائه
- ٢٩٣..... أسباب الخوف من الموت

- السبب الأول: عدم التعرف على حقيقة الموت ٢٩٤
- السبب الثاني: الخوف من الأعمال الفاسدة ٢٩٥
- السبب الثالث: التعلق بالدنيا ٢٩٥
- الموت في سبيل الله ٢٩٦
- لا بدّ من الموت ٢٩٧
- الليلة الخامسة والعشرون: الإمام علي عليه السلام وحروبه الثلاث ... ٣٠٠
- قتال القاسطين (وقعة صفين) ٣٠٣
- شهادة الصحابي عمار عليه السلام ٣٠٥
- فتنة رفع المصاحف ٣٠٦
- القبول بالتحكيم ٣٠٨
- الحكماء في دومة الجندل ٣٠٩
- الإمام علي عليه السلام في الكوفة ٣١١
- قتال المارقين (خوارج نهروان) ٣١٢
- شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ٣١٤
- الليلة السابعة والعشرون: صلح الحسن عليه السلام وثورة الحسين عليه السلام ٣١٨
- قبس من أنوار الإمام الحسن عليه السلام ٣١٩
- من وصايا الإمام ومواعظه لجنادة ٣٢٠
- صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية ٣٢٢
- المؤامرة لقتل الحسن عليه السلام ٣٢٦
- شهادة الحسن عليه السلام ومراثيه عليه السلام ٣٢٧
- الليلة الثامنة والعشرون: قبس من السيرة النبوية ٣٣٠

- لمحة من السيرة النبوية ٣٣١
- قبس من أخلاق رسول الله ﷺ ٣٣٦
- النبي ﷺ في كلام علي عليه السلام ٣٣٨
- مواقف النبي ﷺ قبل وفاته ٣٣٩
- الرحيل إلى الرفيق الأعلى ٣٤٢
- الزَّهراء بعد أبيها رسول الله ٣٤٤
- الليلة التاسعة والعشرون: الرضا عليه السلام عالم آل محمد ٣٤٧
- قبسات من أنوار الإمام الرضا عليه السلام ٣٤٧
- من أخلاق الإمام الرضا عليه السلام ٣٤٩
- الرضا عليه السلام أعلم أهل الأرض ٣٥٠
- الإمام الرضا عليه السلام ودعبل الخزاعي ٣٥٥
- مقتطفات من قصيدة دعبل التائية ٣٥٩
- المأمون العباسي ليس بمأمون ٣٦٠
- المأمون في طريقه إلى بغداد ٣٦٢
- شهادة الرضا عليه السلام في طوس ٣٦٣
- مقتبس من مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرَّم ٣٦٩
- مقدمة ٣٦٩
- تمهيد ٣٧٣
- كربلاء حديث خالد وحرارة لا تبرد ٣٧٣
- عظمة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام ٣٧٤
- البكاء على الحسين عليه السلام وزيارته ٣٧٦

- ٣٧٧..... قراءة المقتل يوم عاشوراء
- ٣٧٨..... حديث كربلاء (نصُّ المقتل)
- ٣٧٩..... الحسين عليه السلام يوم عاشوراء
- ٣٨٠..... توبة الحرّ
- ٣٨٢..... مقاتل أصحاب الحسين عليه السلام
- ٣٨٢..... مسلم بن عوسجة
- ٣٨٣..... حبيب بن مظاهر
- ٣٨٣..... الحرّ بن يزيد الرياحي
- ٣٨٤..... صلاة الخوف (القصر)
- ٣٨٥..... زهير بن القين
- ٣٨٦..... جَوْن
- ٣٨٦..... عمرو بن جنادة
- ٣٨٧..... الغلام التركي
- ٣٨٩..... مقاتل بني هاشم
- ٣٨٩..... علي الأكبر عليه السلام
- ٣٩٢..... عبد الله بن مسلم
- ٣٩٢..... حملة آل أبي طالب
- ٣٩٣..... القاسم بن الحسن عليه السلام
- ٣٩٤..... إخوة العباس عليه السلام
- ٣٩٤..... شهادة العباس عليه السلام
- ٣٩٨..... استغاثة الحسين في ساعة وداعه عليه السلام

٣٩٩.....	الإمام الحسين عليه السلام، والطفل الرضيع
٤٠١.....	مقتل الإمام الحسين عليه السلام
٤٠١.....	شجاعة الإمام الحسين عليه السلام
٤٠٤.....	عبد الله بن الحسن عليه السلام
٤٠٥.....	شهادة الإمام الحسين عليه السلام
٤٠٨.....	حديثُ الختام
٤١٠.....	كلمة الختام
٤١٣.....	فهرس مصادر الموسوعة
٤٢٣.....	الأقراص الكمبيوترية (CD)
٤٢٥.....	صدر للمؤلف
٤٢٦.....	سيصدر للمؤلف
٤٢٧.....	المصادر
	الفهرس